

اهداءات ٢٠٠٣

أمرة المرحوم الأستاذ/محمد سعيد السويدي

الإسكندرية

١٠٨

الألف كتاب (الثاني)

مكتبة الشرق المعاصر [٤]
إشراف
د. أنور عبد الملك

الثورة الإصلاحية في اليابان

الألفا كتاب الثاني

الإشراف العام

و. سمير سرهان
رئيسة مجلس الإدارة

رئيس التحرير

لمنّى المطيعي

مدير التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

محمود عبده

الإشراف الفني

محمد قطب

الإخراج الفني

مراد نسيم

الثورة الإصلاحية في اليابان

«ميجي أشن»

إعداد
ناجى متشيو
ميجول أورشيا
ترجمة
عادل عوض



المهنة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

هذه هي الترجمة العربية الكاملة لكتاب :

Meiji Ishin :
Restoration and Revolution

Nagai Nichio
Miguel Urrutia

تحرير

صبرى الفضل

مقدمة

بسقوط حكم طوكوجاوا (Tokugawa) والحكام العسكريين (Shoguns) الذين كانوا يساندون ذلك الحكم في عام ١٨٦٨ ، انتهت العزلة القومية التي فرضتها اليابان حول نفسها ، وانتهى حكم الاقطاع للبلاد الذي استمر قرابة ثلاثة قرون ، وأخذت اليابان تخطو أولى خطواتها نحو بناء دولة حديثة مستقلة ذات سيادة منفتحة على بقية العالم . ويعرف هذا التحول الاجتماعي الكبير باسم « مييجي » (*) اشن (MEIJI ISHIN)

(★) صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة « جامعة الأمم المتحدة » عن التحولات الاجتماعية التي تعنى بدراسة التحولات الاجتماعية التي طرأت على المجتمعات غير الأوربية ، مثل تلك التي حدثت في اليابان ، والصين ، وروسيا ، والمكسيك خلال القرن الماضي . ومشروع جامعة الأمم المتحدة عن الدراسات المقارنة للتحولات الاجتماعية يبحث التفاعلات بين العوامل الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والبيئية العالمية المختلفة ذات الأثر في تلك التحولات والمحاولات لإيجاد مفاهيم جديدة لمثل هذه العلاقات المتبادلة .

وكتاب « المييجي اشن » ، هو نتاج مؤتمر دولي ، عنى بدراسة هذا الحدث الهام في تاريخ اليابان من وجهات نظر نظرية مختلفة لعلماء مختصين من اليابان ، والصين ، والانداد السموفيني ، والولايات المتحدة الأمريكية .

والجزء الثاني من هذه السلسلة « سلسلة التحولات الاجتماعية » ، وهو حاليا تحت الاعداد ، سوف يبحث في الثورة المكسيكية .

يستخدم الكتاب كلمة Restoration بمعنى « الاستعادة » كمقابل للمصطلح اشن في الانجليزية ، ولكن هذه الترجمة ليست بالترجمة الدقيقة للفظ كما سينضح للعارئ فيما بعد . ومن ثم فضلنا استخدام الكلمة اليابانية ذاتها ايشارا للدقة (المرجع) .

والترجمة الحرفية لكلمة (ishin) يمكن أن تكون « التجديد » - renewal ، أو « الابتكار » - innovation ، ولكن هناك على الأقل تعبيرين انجليزيين قد تم استخدامهما بتوسع ، أحدهما "restoration" بمعنى الإصلاح والاستعادة ، ويعكس هذان الحقيقة الهامة للانطلاق الاجتماعي الذي حدث آنذاك ، ألا وهو استعادة الامبراطور لسيطرته على مقاليد الحكم . ومن القرن الثامن عشر الى القرن التاسع عشر استقرت قوة سياسية وعسكرية حقيقية في أيدي قادة الطبقة المحاربة ، والتي كان مقرها الرئيسى فى كاماكورا فى أول الأمر ، ثم فى ميروماتشى بكيوتو (Kyoto) ، ثم انتقلوا الى مدينة ايدو (EDO) أثناء فترة حكم طوكوجاوا (Tokukawa) . وفى تلك الفترة صار الامبراطور وحاشيته الارستقراطية مجرد رمز تقليدى أو شعار للدولة . ومع التغيرات الكبيرة التى حدثت فى السنوات الأولى من فترة الميجى ، شهد العالم مولد دولة مركزية حديثة ، وأصبح الامبواطور مركزا للقوة السياسية مرة أخرى . وبذلك يمكننا القول بأن عبارة « ميجى اشن » تعنى استعادة الامبواطور لمركزه الامبراطورى الجدير به .

وهناك ترجمة أخرى لعبارة « الميجى اشن » . وهذه الترجمة هى ثورة الميجى (Meiji Revolution) . وقد نشر مورى أرينورى Mori Arinori - أول ممثل رسمى لليابان بالولايات المتحدة - بحثا باللغة الانجليزية فى نيويورك عام ١٩٨٢ بعنوان التعليم فى اليابان ، وسمى ما كان يحدث فى اليابان «ثورة» ، وأعلن أنه شارك فى هذه الثورة مع بقية زملائه . ورغم ذلك فلم يستخدم اصطلاح ثورة ميجى (Meiji Revolution) فى اليابان أو غيرها من البلاد الا نادرا .

ومن بين الذين اشتركوا فى مؤتمر جامعة الأمم المتحدة Conference of the United Nations University الذى عقد بشأن «الميجى اشن» ، البروفسور كواباراتاكيو Kuwabara Takeo ، والبروفسور اميرتوس Emeritus بجامعة كيوتو Kyoto ، وفرنك جيبنى Frank Gibney الذى عمل فى مجلس ادارة تحرير دائرة المعارف البريطانية لسنوات عديدة . وجميعهم يستخدمون كلمة « ثورة » ، ويصفون الميجى اشن بأنها ثورة ثقافية ، ويقولون انها أحدثت تغيرات ثورية فى ميدان الثقافة . ومن المرجح أن مورى أرينورى - وهو من الشخصيات القيادية فى ميدان التعليم والثقافة فى الفترة المبكرة من ذلك العهد - كان يعنى « الثورة » باستخدامه لهذا المصطلح فى ذلك الميدان .

ولم يرض علماء آخرون عن الترجمة الانجليزية لعبارة « مييجي اشن » . لذلك كفوا عن ترجمتها ، واكتفوا بكتابتها بالأحرف اللاتينية . وتجدر الإشارة الى أن هذا الكتاب يستخدم عبارة « المييجي اشن » بصورتها اليابانية للتمييز بينها وبين مصطلح آخر هو المييجي كاكومي Meiji Kakumei الذى يعنى ثورة المييجي . والأمـر ليس مجرد معركة ، فمن الناحية التاريخية ، يمكن القول بأن عبارة « المييجي اشن » تعنى الاستعادة بمعناها السياسى . أما من الناحية الثقافية ، فانها تعنى الثورة . وتشير هذه العبارة الى التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى وقت تجمعت فيه كل الخيوط وتسابكت لتكون نسيجاً واحداً (*) .

الحوار بين مدارس الفكر المختلفة :

لعل مشكلة اختلاف الآراء بشأن تاريخ المييجي اشن نفسه أشد تعقيداً من مشكلة اختلاف الآراء بشأن توصيف المصطلح . فقد اشتد الجدل فى اليابان بين الاقتصاديين الماركسيين حول تعريف عبارة المييجي اشن ، فاعتبرها أصحاب مدرسة رونو - Rono بمثابة ثورة برجوازية ، أما أصحاب مدرسة كوزا - Koza فاعتبروها عهداً ساد فيه الحكم المطلق نتيجة المهادنة بين الحكام الاقطاعيين والطبقة البرجوازية . ويستند التفسيران الى النظرية الماركسية للتاريخ . ولا يلتزم كثير من الباحثين اليابانيين بهذين التفسيرين ، ويؤكدون على ضرورة التمسك بالحقائق القائمة على البحث التجريبي . . وليست ظاهرة انقسام الرأى ازاء فهم التاريخ ظاهرة مقصورة على اليابان وحدها ، فواء الاختلاف فى الفكر ، هناك الصدام العالمى بين دول المعسكر الاشتراكى ودول المعسكر الغربى . لذلك يختلف تفسير كل معسكر من هذين المعسكرين للعبارة .

وليست جامعة الأمم المتحدة فى وضع يؤهلها للحكم بصواب رأى وخطأ الرأى الآخر فيما يتعلق بتفسير هذه العبارة ، ويتفق الكاتب مع زميله الناشر ميجول أورتيـا Miguel Urrtia - الذى كان آنذاك يشغل منصب نائب عميد جامعة الأمم المتحدة . ونرى أن ذلك المؤتمر هو بمثابة منتدى يتبادل فيه العلماء من مختلف أرجاء العالم الحوار الحر فيما بينهم . ولم نحرص على استدعاء العلماء اليابانيين الذين تتعدد آراؤهم

(*) كان عنوان الكتاب فى الأصل « المييجي اشن : الاستعادة والثورة Meiji Ishin : Restoration and revolution » . ولما كان العنوان بذلك الصور مد ينطوى على بعض الغموض ، فضلاً عن أن حركة المييجي اشن لم تنظر فى واقع الأمر على استعادة حبيعية للسلطة الملكية كما كان الحال فى أوروبا ، بل كانت بداية الانطلاق اليابانية ، فقد عدلنا العنوان الى صورته الحالية (المترجم) .

حول تفسير العبارة فحسب ، بل حرصنا على دعوة العلماء من بلدان كثيرة كالاتحاد السوفيتي ، والصين ، والولايات المتحدة لمشاركتنا الرأى حول هذا الموضوع . وكانت آراؤهم تفيض بالحماس والتراء ، ويضم الكتاب بعض تلك الآراء . وعقد ذلك المؤتمر بجامعة الأمم المتحدة فى الفترة من ١٨ الى ٢٢ أكتوبر عام ١٩٨٣ .

شهدت اليابان الميجى اشين ، أو ما يمكن أن نطلق عليه الاصلاح والثورة ، فى القرن التاسع عشر . وقد قامت فى مخلف أرجاء العالم ثورات اجتماعية كبيرة فى بداية القرن العشرين ، مثل الثورة الاشتراكية فى روسيا عام ١٩١٧ ، وثورة الصين الوطنية عام ١٩١١ ، ثم ثورتها عام ١٩٤٩ ، والتسورة المكسيكية فى الفترة من عام ١٩١١ الى ١٩١٧ ، ولا زال العالم يشهد تحولات اجتماعية كبرى حتى يومنا هذا . واذا كانت تلك الورت قد أحدثت تغيرات حقيقية ناجحة ، فينبغى لنا أن ننظر للتحولات الاجتماعية العظمى الماضية وللمجريات التاريخية ، التى نتج عنها الفشل والنجاح ، نظرة موضوعية .

لقد قامت جامعة الأمم المتحدة بالتعاون مع جامعة المكسيك بعقد مؤتمر دولى بشأن الثورة المكسيكية فى مارس عام ١٩٨٥ بمدينة مكسيكو سيتي . وستنشر نتائج ذلك المؤتمر أيضا فى كتاب .

وانى أنتهز هذه الفرصة للتعبير عن خالص امتنانى لجميع من شاركوا فى هذا المؤتمر من كافة أنحاء العالم ، ولجميع العاملين بجامعة الأمم المتحدة ، لحسن تعاونهم لانجاح هذا المؤتمر . كما أعبر عن خالص شكرى للعاملين بمركز الاتصالات لما قاموا به من الاشراف على أعمال الترجمة والنشر وترجمة الأبحاث التى تقدم بها فرنك بولدوين ، وأندرو بارشاي ، وسوزان موراتا ، وباترشيا موراي ، ولين ريجز ، وتاكيثشى مانابو .

ناجى متشيو

كبير مستشارى عميد جامعة الأمم المتحدة

٢٧ مايو ١٩٨٥

أولا :

نظرة على الميڭى ايشين

على المرء التفرقة بين المصاعب التى كانت تعانيها فى الداخل وتلك التى تعانيها فى الخارج • كما أسهمت العزلة الكاملة التى عرفتها اليابان قبل « انفتاحها » على العالم ، الذى كان الغرب سببا فيها ، فى تضخيم النتائج المترتبة على تأثير اليابان بالعالم الخارجى فى الأذهان •

وقد زادت حدة الصعوبات التى واجهها النظام القديم فى الفترة من ١٨٣٠ الى ١٨٤٤ ، وعرفت تلك الفترة بفترة تمبو TEMPO ، عندما قضت المجاعة على الأخضر واليابس فى وسط اليابان وفى شمالها • وزادت حدة المجاعة بسبب سوء الادارة وعدم تشجيع الحكام للناس وحشهم على المقاومة • وعرفت اليابان الثورات فى تلك الفترة ، ومن أشهرها الثورة التى نزعها أوشيويها تشيرو OSHIO HEINACHIRO ، أحد كبار الساموراي الذين يتبعون مذهب كونفوسىوس الدينى فى مدينة أوساكا ، والذى حث الناس على السورة [وأصدر بيانها] ، مما جعل المؤرخين اللاحقين الذين كثيرا ما يؤرخون للنورة المخلصة من تاريخ البيان الرسمى الذى أصدره ، يعتبرونه بطلا قوميا • وكانت تلك النورة حلقة واحدة فى سلسلة كبيرة من الثورات التى قامت آنذاك ، واتسع نطاق تمرد الفلاحين ، وزادت أعمال الشغب بالمدن مع النمو بشكل مطرد لاقتصاد اليابان المتناسك ، وانتشرت موجة التمرد - تمرد تمبو - بسرعة على امتداد طرق المواصلات ، وازداد تأييد الناس لحركات التمرد ، وكانوا يعتبرون قادتها شهداء ، ومنهم أوشيوي OSHIO الذى اعتبره الشعب بطلا •

رغم تلك الثورات التى تفجرت فى تلك الفترة ، الا أنها لم تقدم بدائل من شأنها تغيير النظام الاجتماعى والاقتصادى الذى أقرزها واتخذت المنشورات والالتماسات التى تقدم بها الثوار صورة مطالب وطنية محدودة • وساعدت طرق المواصلات على نشر موجة الاحتجاج وساهمت القرى فى نقل المتمردين من مكان لآخر بما لديها من دواب ، بل وأحيانا على ظهور الرجال • وزادت الحاجة الى خدمات النقل التى تقدمها القرى فى عهد طوكوجاوا بصورة ملحة •

تمثلت استجابة الحكومة لتلك القلاقل فى شكل اصلاحات التمبو • وقاد ميزونو تداكونى Mizuno Tadakuni تلك الاصلاحات عام ١٨٤١ • وشملت تلك الاصلاحات اصدار فرمانات تنهى عن الانغماس فى الترف وتحظر الهجرة من الريف الى المدن • كما ألغت تلك المراسيم نقابات التجار ومنحت المزارعين الاقطاعيين فى حكومة ياكوفو(*) BAKUFU فسحة

(*) حكومة السلطة الشوجونية • والمعنى الحرفى للكلمة « حكومة الخيمة » ، ويمكس الاصل المسمى لحكم الشوجن ، ويحمل فكرة أنها حكومة الطبقة العسكرية • المترجم •

من الوقت حتى يتمكنوا من تحصيل قيمة الديوان المستحقة لهم من أتباعهم، وحصرت نطاق أراضي حكومة باكوفو في نصف دائرة قطرها ٤٠ كيلو مترا فيما بين مدينتي ايدو EDO واوساكا OSAKA وضربت المصالح المشتركة لرجال البلدية والمزارعين الاقطاعيين بحكومة باكوفو BAKUFU ولم تحقق تلك الفرمانات شيئا من النجاح ، فقد استقال ميزونو بعد عامين ونصف من بدء الاصلاح ، في الوقت الذي حظيت فيه الاصلاحات الأخرى التي شهدتها بعض الاقطاعيات الكبيرة مثل : ساتسوما وتشوشو بنصيب أوفر من النجاح . ولم يستطع المزارعون الاقطاعيون تحصيل الايرادات المستحقة لهم من المزارعين الآخرين ، مما ساعد على تفاقم الأزمة التي لم تكن قد استفحلت بعد . وبدأت الأزمة تشتد حينما استخدمت الحكومة وسائل أقل مرونة لعلاج المشكلات . وأكدت اللغة التي استخدمت في الأربعينات والخمسينات من القرن التاسع عشر على ضرورة التمسك بالماضي ، أى التمسك بالتقاليد القديمة . ولم يكن مفهوم السلطة المركزية قد نضج بعد في عقول القائمين على تصريف أمور البلاد . وأخذ الضعف يصيب الشواجنة Shoguns (*) شيئا فشيئا ، مما أدى الى التصلب البيروقراطي . وأثارت محاولات ميزونو لاستعادة أملاك المزارعين الاقطاعيين ، وجعلها في شكل قوس حول أكبر مدينتين بالبلاد ، موجة من الاحتجاج ، رغم أنه تبنى بالاجراءات الضرورية التي سيتخذها المصلحون لعلاج الأزمة فيما بعد . وظلت حكومة باكوفو تؤيد التمسك بالنظام القديم ، واستمر كبار المستشارين يحكمون على أساس دورات التناوب الشهرية ، وألغى نظام التناوب عقب سقوط حكم طوكوجاوا عام ١٨٦٧ .

وكان نصيب الحكومة من الدخل القومي محدودا . كما أن الطابع الروتيني الذي غلب على ادارة شئون البلاد وعلى نظام الضرائب لم يتيح الفرصة لاجراء أية تغيرات جوهرية .

ولم يكن في وسع حكومة باكوفو الحصول الا على نسبة من الدخل القومي تعد الأكبر فيما بين نظائرها من الاقطاعيين . وقد ترتب على ذلك ضعف قدرة النظام الحاكم على توفير المال اللازم لصيانة الأسلحة التقليدية أو لشراء أسلحة حديثة .

وأصبح ذلك عقبة ازاء الاستجابة المؤثرة في مواجهة الأزمات الخارجية التي كانت تهدد أمن البلاد لسنوات طويلة . وشعر المنقفون

(*) يمكن تشبيه نظام الشواجنة (من شوجون Shogun بمعنى الحاكم العسكري وجمعها شواجنة) بنظام الممالك في مصر مع الفارق . إذ أن الساموري والشوجون كانوا من أبناء البلاد ، فالشوجون مثل سلطان الممالك كان يدين في الاسم بالولاء للإمبراطور مثلما كان يدين السلطان بالولاء الاسمي للخليفة (المترجم) .

بالتوتر ازاء الخطر الخارجى الذى ظل يتهدد البلاد طوال القرن التاسع عشر ، وزاد توتر الناس عقب هزيمة الصين فى حرب الأفيون فى الفترة ما بين عامى ١٨٣٨ و ١٨٤٢ •

تحكمت عدة حركات فكرية فى استجابة اليابان لذلك الخطر الداهم ، وذلك بعد أن أصبحت اليابان على دراية واسعة بعلوم الغرب ومعارفة • فقد ازدهرت حركة ترجمة الكتب التى أتى بها الهولنديون فى الربع الأخير فى القرن الثامن عشر • وبذلت الحكومة قصارى جهدها للاستفادة من تلك المعرفة بأمور الغرب • واستبد القلق بعقول الناس ، فأخذوا يبالغون فى تقدير تلك المعرفة • وفى مدينة ناجازاكي كان بمقدور المثقفين اليابانيين الاطلاع بسهولة أكثر على المؤلفات الصينية التى جلبها التجار الصينيون معهم من الصين • ومن ثم تأكد حجم الخطر الذى كان يتهدد البلاد من الخارج • وتعارضت تلك المعرفة مع الرغبة القومية فى التأكيد على النزعة القومية التى عرفت باسم كوكى جاكى Kokugaku فى فكر القرن الثامن عشر • وقد أكد كل ذلك على الدور الذى تلعبه المؤسسات القومية – الخاضعة للامبراطور – فى الحفاظ على التقاليد القومية العريقة بالبلاد • وقد ساعد شعار الاصلاح أو الاستعادة Restoration الذى قال : بجلوا الامبراطور ! ••• واطردوا البرابرة ! – وهو ما يعرف بتسعار سونوجوى Sonno-Joi – على امتزاج روح الولاء للوطن مع مناوأة كل ما هو أجنبى ، وذلك كاتجاه قوى نحو تأكيد العرقية •

ازداد تأييد العلماء الكونفوشيين للفكر الموالى للامبراطور أثناء حكم طوكوجاوا ، وأصبح العرش الامبراطورى هو المركز الذى يستمد منه كثير من الناس أخلاقياتهم وقيمهم • وقامت مجموعة من العلماء بوضع القواعد التى يتعين على المؤيدين [لاستعادة الامبراطور لهيئته] – [أو ما يعرف بالاستعادة] – الالتزام بها • وقد جمعت تعاليم ازاوا سيشيزاى Aizawa Seishisai عام ١٨٢٥ بين التحذير من الغرب والاصرار على اظهار الطبيعة المقدسة التى يتمتع بها النظام الامبراطورى الحاكم • وازداد تأثير تلك التعاليم فى الخمسينات من القرن التاسع عشر حينما أخذ السادة الاقطاعيون باقطاعية ميتو Mito ينتقدون سياسة الشواجنة •

فتح الموانئ ومزيد من المشاركة السياسية :

كان نظام حكم طوكوجاوا الذى تعاونه حكومة باكوفو نظاما معقدا بصورة جعلت عملية اتخاذ القرارات ذات الأهمية القومية مقصورة على المزارعين الاقطاعيين الذين كانوا يقومون بالاشراف على المجالس المركزية •

ولم يستطع سادة الاقطاعيات الكبيرة ، أو حتى أرباب الأسر الكبيرة التي تدين بالولاء للامبراطور ، كأسرة ميتو Mito ، المشاركة في عملية صنع القرار . وبذلك لم يكن لها صوت يمثلها في السياسة . ولم يختلف حال نبلاء البلاط عن ذلك ، فلم تمكن التقاليد السائدة أو السياسة التي كانت الحكومة تتبعها أولئك النبلاء من الاتصال بالعسكريين ، بل عزلتهم عن العمل السياسى . وفى نفس الوقت ، فإن الأزمة التي حلت بالبلاد اثر المطالب التي تقدم بها الكومادور « بيرى » Commodore Perry عام ١٨٥٣ ، جعلت الأسرة الحاكمة تسعى لنيل المزيد من الاجماع حول القرارات الخاصة بالشئون الخارجية . وسرعان ما انتهز تلك الفرصة بعض من كانوا يسعون لأن يكون لهم رأى فى الشئون السياسية . وفى الحقبة التي تلت ذلك ، استقطب الرأى داخل وخارج حكومة باكوفو . ولم يلبث أن تحول المزارعون الاقطاعيون ومواليهم فى عهد طوكوجاوا الى العمل السياسى بعد أن عم السخط وانتشر خارج مركز صنع القرار الأصلي .

عندما تقدم الكومادور بيرى بمطالبة لليابان ، كان أبى ماساهيرو Abi Masahiro على رأس حكومتها (١٨١٩ - ١٨٥٧) . وأرسل ماساهيرو تلك المطالب للبلاط يطلب استيضاح ذلك الأمر ، كما أرسل للمزارعين الاقطاعيين آنذاك يطلب منهم اسداء النصيح له . واختلفت الآراء بشأن تلك المطالب ، الا أنها اتفقت على ضرورة تجنب الصراع المباشر ، وإن نادى البعض بضرورة الاستعداد لخوض غمار الحرب مع الغربيين حتى أن البلاط أصدر أمرا يقضى بهصر أجراس المعابد لصنع المدافع . وفى الأعوام القليلة التي تلت ذلك ، سعت حكومة باكوفو للحصول على تأييد السادة الاقطاعيين daimyo عند اتخاذ القرارات الصعبة ، بل انها طلبت منهم مشاركتها فى تحمل عبء الكوارث التي حلت بها ، كما أن البلاط وضع خطة تحتم على السادة الاقطاعيين ، أو على الأقل البيوتات العريقة ، مشاركته الرأى .

وأدت الاتفاقية التي عقدها بيرى الى استقدام تاونسند هاريس ليشغل منصب القنصل ، كما أن الاتفاقية التجارية التي عقدها مع اليابان عام ١٨٥٨ ، كانت علامة حقيقية لانفتاح اليابان أمام التجارة الخارجية وإقامة الأجانب بها . وقد استفاد هاريس من الكوارث التي حلت بالصين حين رفضت سياسة الانفتاح ، أثناء محاوراته مع الساسة اليابانيين . وكانت حكومة باكوفو تخشى تعرض اليابان للمتعاب التي عانت منها الصين ، مما جعلها تسارع بالتوقيع على اتفاقيات مماثلة لتلك الاتفاقيات التي فرضت على الصين .

كان من الصعب على البلاط الموافقة على اتفاقية هاريس وتعقدت الأمور . ففي كيوتو Kyoto اقترنت الموافقة على اتفاقية هاريس بالتنازع على منصب الشوجون . ولم يكن أولئك الذين يتمسكون بالتقاليد من أبناع طوكوجاوا فى وضع يسمح لهم بقبول أى تدخل لحل ذلك النزاع . ولدرء ذلك الخطر الداخلى ، نسكلت حكومة باكوفو برئاسة لى ناوسوكه Ii Naosuke ، الذى قام بالتوقيع على اتفاقية هاريس وتسوية النزاع للفوز بمنصب الحاكم العسكرى لصلاح ايموشى Iemochi . وبذلك تجاهل ناوسوكه نرشيح ابن ميتو Mito ، أحد السادة الاقطاعيين . ثم قام بمعاينة الحكام الاقطاعيين الذين مارسوا ضغوطا كثيرة لحمل البلاد على تلبية رغباتهم . وامتدت حملة التطهير التى قام بها لتشمل العملاء الذين استعان بهم السادة الاقطاعيون فى كيوتو Kyoto ، كما أنه أرغم عددا من الاقطاعيين الكبار على التقاعد . وعلى المستوى الأدنى صدرت الأحكام بادانته أكثر من مائة رجل ، واعداد ثمانية رجال ، ضربت أعناق ستة منهم كما تضرب أعناق المجرمين العاديين . وكان يوشيدا شوين Yoshida Shoin ، وهو من رجال التعليم ، من بين من أعدموا ، فأصبح بعد موته مثالا للوطنية والولاء .

لم يقتصر الأمر على الأزمة الخارجية ، بل تعرضت البلاد للمواجهة السياسية اثر حملة التطهير التى قام بها أنسى Ansei . فقد أغتيل ناوسوكه فى مارس ١٨٦٠ على يد مجموعة موالية لميتو Mito ، ومجموعة الفرسان الموالين لساتسوما Satsuma ، وقد أكد المنشور الذى أعلنته تلك الجماعات على أن جريمة ناوسوكه هى عدم الاهتمام بالامبراطور أو تنفيذ رغباته . وكان مقتل ناوسوكه بداية النشاط الارهابى الذى شهدته البلاد طوال عقد الاستعادة .

لم تهدأ حدة الأزمة الخارجية بالطبع ، فقد كانت الاتفاقيات التى عقدتها حكومة باكوفو مع القوة الغربية تطبق من جانب واحد ، وساعد وحود الغربين بالبلاد على إثارة موجة الارهاب . كما ساعدت التجارة التى جلبها الغربيون لليابان ، وسعيهم لترويج تلك التجارة داخل البلاد ، على زيادة معدلات التضخم . وأثر ذلك التضخم على العمال وأصحاب الرواتب ، فى الوقت الذى طالب فيه السادة أولئك العمال بالتخلي عن بعض من رواتبهم حتى يتمكنوا من جمع المال اللازم للانفاق على الاستعدادات العسكرية . وتعرضت حكومة باكوفو لعاصفة شديدة من النقد عقب توقيع اتفاقية لفتح موانئ جديدة لليابان . كما تعرضت لضغوط داخلية للاقلال من الامتيازات التى يحصل عليها الأجانب ، وتعرضت لضغوط خارجية لكبح جماح الارهاب ضد الأجانب . ولم توفق الإدارة فى مسعاها ، إذ أنها لم تنجح فى تنفيذ أية مهمة من هاتين المهمتين .

تقدم الغربيون بمطالب للتعويض عما تعرضوا له من ارباب في اليابان ، مما أرغم النظام الحاكم على اعطاء الكثير للأجانب ، في الوقت الذي وعد فيه الشعب باعطاء القليل لأولئك الغربيين . وأرسلت الحكومة أول بعثة للخارج عام ١٨٦٠ ، ثم توالى ارسال البعثات للخارج ، فأرسلت بعثة للولايات المتحدة للتصديق على اتفاقية هاريس . وقد وقفت الحكومة على مقدار تفوق القوة الأجنبية بفضل تلك البعثات ، في الوقت الذي كانت تعد فيه بوضع جدول زمني لابعاد الأجانب عن البلاد ، فلا عجب أن الكثير من المسئولين البيروقراطيين الذين تولوا مسئولية ادارة الشؤون الخارجية ، قد انتهى مستقبلهم السياسى فى وقت قصير ، فى مثل تلك البيئة التى استحالت فيها الحفاظ على سياسة واحدة لا تتغير . أقرت الحكومة نظام جايكوكو بوجيو Gaikoku Bugyo عام ١٨٥٨ ، وقد ضم ٧٤ مسئولا فى عام ١٨٦٧ . وطوى النسيان السفراء الذين أرسلتهم الحكومة للولايات المتحدة عام ١٨٦٠ ، كما واجه كثير من المسئولين فى أواخر عهد طوكوجاوا نفس المصير ، فى الوقت الذى استمر فيه بعض المسئولين الأقل درجة فى السفر للخارج ، وازداد نفوذهم ، وان ظل الخطر يتهددهم باعتبارهم موالين للغرب .

المجاهدون الأوفياء

شهدت البلاد فترة من العنف عقب اغتيال ناوسوكه عام ١٨٦٠ . وقد ترك ذلك العنف بصماته على سياسة حكم طوكوجاوا ، وكان مدبرو الاغتيال من بين المجاهدين الأوفياء ، الذين عرفهم التاريخ باسم شيشى Shishi أو « الرجال ذوى الغاية النبيلة » ، وهم رجال من العامة والبسطاء الذين عانوا من انخفاض الدخل وتدنى المكانة . وعاش رجال شيشى فى عالم أكثر بساطة من دنيا سادتهم ، وأتيحت لهم فرصة الاتصال بالآخرين ممن يعملون بالاقطاعات الأخرى . ولم يكن الشيشيون ينتمون الى الطبقة الحاكمة ، وعانوا مرارة أشد من الاحباط المتولد عن ضالة الفرصة المتاحة لهم فى الرقى ، ومن ثم اشتد تدمرهم ، فأخذوا ينتفدون رؤساءهم الذين كانوا على جانب كبير من الحذر . وتلقى كثير من رجال شيشى تعليمهم فى المعاهد الخاصة على أيدي المعلمين الذين غرسوا فى أذهانهم الولاء والمثالية ، وان افتقر كثير منهم الى المعرفة بالقضايا السياسية والدبلوماسية ، ولكنهم استيقظوا من غفلتهم ، وشاركوا فى الجهاد اثر الدعوة التى وجهت لهم للاشتراك فى الاستعداد العسكرى الذى صاحب فتح الموانئ ، وانزال العقاب بساداتهم أثناء حملة التطهير التى تزعمها أنسى . وكانوا يميلون الى الحلول البسيطة التى تقتضى العمل المباشر .

اقترن الاحباط الذى كان يعانىة رجال الساموراي الاقل رتبة بعدم الرضا الذى كان يشعر به الاشراف المحليون من خارج دائرة الساموراي . وساعدت مسئوليات الادارة فى الريف على خلق طبقة مثقفة من القادة الريفيين . فعلى سبيل المثال ، قامت جماعة من زعماء القرى بمقاطعة توسا Tosa بتوزيع وثائق سرية وصفوا فيها أنفسهم بأنهم الممثلون الحقيقيون للنظام الامبراطورى ، وأنهم أسمى مكانة من طبقة الساموراي (*) التى تسكن القلاع بالمدينة وتدين بالولاء للسادة الاقطاعيين . واقترن ذلك الاحباط على المستويين - الاجتماعى والسياسى - بالأزمة القومية ، وساعد على خلق مجتمع من الشباب أخذوا يحكمون على أنفسهم وعلى رؤسائهم طبقا لمعايير الولاء المطلق للواجب ، لا مجرد التبعية لمن هم أعلى رتبة كما يقضى العرف . واحتج كثيرون منهم على رؤسائهم ، بل كانوا يضربونهم فى كثير من الأحيان ، ويتركون العمل تحت امرة أسيادهم ، ليمتهنوا حرفا أخرى فى المدن والمراكز الوطنية وحيث المناخ السياسى أكثر اثارة ، وهناك عرفوا باسم رونين Ronin .

قام رجال شيشى بكافة الأنشطة السياسية فى البلاد ، حتى بلغت تلك الأنشطة ذروتها . وكان الشواجنة يحركون خيوط تلك الأنشطة ، وأثرت شجاعتهم وحدة طباعهم على تشكيل سياسة طوكوجاوا وأنجبوا أبطالا لتاريخ المجاهدين الأوفاء فيما بعد . وأضفى اصرارهم على التحكم فى رؤسائهم بالاقتاعات الأخرى طابع الحزبية والتنافس فيما بينهم ، فحارب بعضهم بعضا ، كما حاربوا رؤسائهم ، واستخدم سيد ساتسوما Satsuma فئة منهم لضرب فئة أخرى . وأدت العداوات الايدولوجية والحزبية الى نشوب حرب أهلية فى اقطاعية ميتو Mito ، مما أضعف نفوذهم فى تلك الاقطاعية . وفى تشوشو Choshu ، وجد المجاهدون الأوفياء حلفاء لهم بين رؤسائهم . وبانتهاء التعاون بينهم وبين رؤسائهم ، كانوا قد نجحوا فى قلب موازين السياسة بالاقطاعية . وسطع نجم أولئك الرجال بمقاطعة نوسا Tosa لفترة من الزمن عقب اغتيال أحد الوزراء البارزين ، ولكن سرعان ما كانت تتلاشى المكاسب التى يفوزون بها ، أو تتحول تلك المكاسب الى خسائر ، اذا ما عاد سيد سابق ببرنامج جديد ، يؤكد فيه سيطرته على سياسة الاقطاعية .

اتخذ اللاجئون الموالون للنظام الحاكم من المراكز الوطنية ملجأ لهم ، ولاسما العاصمة الامبراطورية كيوتو Kyoto . وأصبح أولئك اللاجئون يعرفون باسم رونين Ronin ، وكثيرا ما كانوا يجدون المأوى والعمل فى

(*) ساموراي بمعنى محارب . كان مجمع طوكوجاوا ينقسم رسميا الى أربع طبقات : محاربون ، وفلاحون ، وحرثيون ، وتجار . والمحاربون هم الحكام - المترجم .

بلاط النبلاء ، أو يحظون بحماية الاقطاعيات الأخرى الصديقة . وكان لوزراء الشواجنه وللممثلين الأجانب ما يدعوهم الى الخوف من المقاتلين البارعين الذى كان الواحد منهم مسلحا بسيفين . ولا توجد احصائية يمكن الاعتماد عليها فيما يتعلق بالعنف الشخصى فى مجال السياسة . وبلغ العنف السياسى حدا من القوة بحيث صار يشبه فى تأثيره الأثر الذى يحدثه ظهور الأجانب على الشواطئ التى ظلت مغلقة لفترة طويلة . وامتلات مقابر معبد كيوتو Kyoto بجثث المئات من الرجال الذين سقطوا ضحايا للهزات والمؤامرات المضادة ، وكان هجوم تشوشو Choshu على القصر ذاته عام ١٨٦٤ أكبر تلك المؤامرات .

التنافس الاقليمى :

كان باستطاعة رجلين مسلحين أن يثيرا القلاقل ، ولكن الأمر يتطلب جهدا طائلا من أجل تغيير المنهاج السياسى الذى اتبعه حكم طوكوجاوا . وقد اتحدت عدة مقاطعات للتخفيف من سطوة ذلك الحكم واسقاطه فى نهاية الأمر . وكانت تلك المقاطعات على استعداد لايواء المجاهدين ، ومد يد العون المادى لهم . وكان ذلك بمثابة القاعدة التى ارتكز عليها البناء السياسى فى الستينيات من القرن التاسع عشر ، وأصبح القائمون على تلك السياسة هم القادة الذين اعتمدت عليهم حركة الميجى Meiji Movement فيما بعد .

كانت تلك الاقطاعيات قادرة على الاستقلالية فى العمل ، وبالمقارنة بين الاقطاعيات التى تسيطر عليها أسرة طوكوجاوا ، كانت اقطاعية ساتسوما Satsuma أكثرها قدرة على الاستقلال ، وجاءت اقطاعية ساتسوما Choshu فى المرتبة التاسعة ، وجاءت اقطاعية ميتو Mito فى المرتبة الحادية عشر ، وجاءت اقطاعية توسا Tosa فى المرتبة التاسعة عشرة .

اختلفت نسبة عدد المحاربين الساموراي فى كل اقطاعية . وكانت تلك الاقطاعيات عبارة عن وحدات متكاملة لها حدود طبيعية واضحة المعالم ، وتاريخ اقليمى تعتد به ، وموارد تعتمد عليها فى بناء قوتها العسكرية . ظلت طبقة المصارين الساموراي فى اقطاعيتى ساتسوما Satsuma وتشوشو (١٠) Choshu ، بالإضافة الى الطبقات الدنيا باقطاعية توسا Tosa تضرر العدا لحكم أسرة طوكوجاوا Tokugawa الحاكمة ، وبقي البناء السلطوى التقليدى متماسكا ، ولم تثر الجهود التى بذلت لتقوية الاقتصاد فى بعض الاقطاعيات أى احتجاج ، وان أثارت جهودا مماثلة كثيرا من الاستياء فى الاقطاعيات

الأخرى الخاضعة للحكام العسكريين Shoguns . ولكن عندما رأى السادة الاقطاعيون ، ومعظم القائمين على حكم الاقطاعيات الأخرى ، الأخطار التى يمكن أن تهدد البلاد عندما يسيئون الحكم على الأمور فى الأوقات العصيبة ، فقد فضلوا الاحتفاظ بمواردهم وآرائهم حتى يستقر الوضع . وشهدت بعض المناطق انعدام الثقة فى حكومة الميجى التى أخذت تضرب بجذورها فى سياسة كل منطقة فى الستينات من القرن التاسع عشر .

وفى الأعوام التى تلت ذلك ، تنافست اقطاعيات ساتسوما وتشوشو وتوسا لاختيار أفضل السبل للاتيان بالتغيرات السياسية التى من شأنها زيادة تمثيلهم وزيادة تمثيل البلاط فى السياسة القومية . وفى نهاية الأمر ، استقر الرأى على أن يتولى ممثل من البلاط قيادة مسيرة عسكرية ، ويتجه بها الى ايدو Edo ، على أن يرافق جيش الاقطاعية تلك المسيرة . وأدت تلك الجهود الى اصلاحات عام ١٨٦٢ التى بشرت بالمصالحة بين البلاط والعسكريين، أو ما يعرف بكوبوجاتاي Kobu Gattai . لم يكتب النجاح لتلك الاصلاحات ، فقد عملت على اذكاء روح التنافس والشك ، وأضعفت قبضة الشوجونية Shogunate على مقاليد الحكم بالاقطاعية ، كما خففت قيود الاقامة الجبرية التى فرضت على السادة الاقطاعيين للاقامة بمدينة ايدو Edo ، ثم ما لبثت أن تلاشت تلك القيود شيئاً فشيئاً ، وتحددت وظائف جديدة ليوشينوبو Yeshinobu ، أحد أبناء أسرة طوكوجاوا الحاكمة . ولم يستطع ذلك الرجل الحصول على منصب الشوجونية عام ١٨٥٨ . وبدد ماتسوديرا شونجاكى - أحد الرجال الذين تولوا وظيفة ثانوية لدى أسرة طوكوجاوا الحاكمة - السلطة المركزية التى تولوها . وقام الشوجون يموتشى Iemochi بزيارة الامبراطور فى كيوتو ، حيث أبدى خضوعه للامبراطور بالسير فى المواكب الشعائرية المتجهة الى زيارة أضرحة العائلة الامبراطورية ، ثم حصل على تفويض بالحكم من الامبراطور اثر تقدمه بطلب لذلك . ومن ثم فقد أسبقيته فى السلطة على الامبراطور لأنه حصل على سلطته بطلب منه ، ثم توفى فى أوساكا Osaka ، وهو لا يزال فى ريعان شبابه ، أثناء زيارته الثالثة للعاصمة . وخلفه يوشينو بو فى الحكم .

ولم يقم بزيارة مقر الشوجان فى ايدو Edo أثناء فترة حكمه القصير كحاكم عسكري . ولقد أصبحت كيوتو عاصمة منافسة للبلاد .

ويدل وعد الاداريين الجدد بالعمل على طرد الغربيين عام ١٨٦٣ على مدى الضعف الذى أصاب الشوجونية . فقد تعرضت اقطاعيتي ساتسوما Satsuma وتشوشو Chashu لقصف المدافع

الأجنبية ، حينما حاولت اقطاعية تشوشو طرد الغربيين بمفردها ، بعد أن قامت بضرب سفن الشحن الأجنبية البعيدة عن شواطئها عام ١٨٦٣ . وتعرضت اقطاعية ساتسوما للقصف حينما رفضت دفع الدية التي فرضت عليها نظير قتل رجل انجليزى فى نفس العام . وتوقف الحديث عن طرد الأجانب من البلاد حينما أدركت اليابان مدى فاعلية المدافع الأجنبية ، وان ظل السياسيون يستخدمون عبارة « طرد البرابرة » فى خطبهم السياسية . وفى الأعوام التى تلت ذلك ، أرسلت اقطاعية ساتسوما بعثات من الطلاب للدراسة بالخارج ، كما فعلت حكومة باكوفو Bakufu . وأقام قادة ساتسوما علاقة مع السفارة البريطانية . وبدأت حكومة باكوفو فى الحديث عن طلب المساعدة من الحكومة الفرنسية ، نانى أكبر امبراطورية فى العالم بعد الامبراطورية البريطانية . وبذل الوزير الفرنسى ليون روش قصارى جهده لتشجيع العلاقات العسكرية والتكنولوجية والاقتصادية بين فرنسا ونظام طوكوجاوا .

ووصلت الامتيازات السياسية الاقليمية الى طريق مسدود فيما بين عامي ١٨٣٦ و ١٨٦٤ . فلم تثق اقطاعيتى ساتسوما وتشوشو فى بعضهما البعض بقدر عدم ثقتهما فى حكومة باكيو . وفى عام ١٨٦٣ ساعدت قوات ساتسوما قوات طوكوجاوا على طرد تشوشو خارج كيوتو . وحينما حاولت تشوشو السيطرة على قصر كيوتو فى العام التالى ، اتحدت اقطاعية ساتسوما مع حكومة باكيو ، وقامت بتجريد حملة ضد تشوشو التى وصفت بأنها « عدو البلاط » . وحينما اقتربت الحملة من حدود اقطاعية تشوشو ، حلت ادارة محافظة جديدة محل ادارة المجاهدين الأوفياء بعد أن اضطربت صفوفها . ورضخت الادارة الجديدة لمطالب باكوفو التى أجرت آنذاك اصلاحات عسكرية ونقدية وادارية ، وكان يحدوها الأمل فى التمكن من استعادة أسبقيتها فى الحكم . وفى بادىء الأمر ، اقتصرت تلك الاصلاحات على ما حول مدينة ايدو Edo موطن أسرة طوكوجاوا الحاكمة . ويمكننا القول بأن ذلك كان بمثابة امتداد للتنافس الاقليمى ، وتحولت باكوفو نفسها الى قوة اقليمية مرهوبة الجانب بفضل ذلك التنافس .

ائتلاف الاصلاح :

عادت موجة المد بسرعة بعد أن انحصرت فترة من الزمن . فقد ثار المؤيدون لتشوشو على قبول شروط التسليم ، وتولوا زمام السلطة فى الاقطاعية مرة أخرى . ولم تستطع باكوفو الحصول على موافقة اقطاعية ساتسوما حين أعلنت تجريد حملة تأديبية أخرى على اقطاعية تشوشو .

وعانت جيوش باكوفو الأمرين على يد وحدات اقطاعية تشوشو التي أبليت بلاء حسنا في القتال . وكانت تلك الوحدات تتكون من المحاربين الساموراي ، بجانب العامة والدمماء ، واستبسلت في الدفاع عن الاقطاعية . واتخذت باكوفو من وفاة ايموشي - الشوجون - ذريعة لوقف القتال . كما توفي أيضا الامبراطور كومي Komci عقب رحيله . وسرعان ما تحالفت اقطاعيتي ساتسوما وتشوشو في السر فيما بينهما ضد حكومة باكوفو . وفي تلك الاثناء ، اقتضى الأمر الإسراع في اجراء اصلاحات في نظام الحكم . وبذلك كان هناك برنامجان يرميان الى التغيير الشامل في البلاد ، أحدهما تحت قيادة ساتسوما وتشوشو ، والآخر تولى مصلحو باكوفو تنفيذه .

استندت تلك الأحداث على خلفية تسودها تهديدات المجاهدين والعنف والمطالب الأجنبية لفتح موانئ جديدة والحصول على امتيازات جديدة . وتصاعدت معدلات التضخم في المدن بشكل كبير ، مما خلق مصاعب كثيرة أمام الرجل الياباني العادي . لذا فقد بلغت حركات التمرد مداها فيما بين عامي ١٨٦٦ و ١٨٦٧ . وظلت حكومة باكوفو تحتفظ بميزان الادارة المركزية وقوة الدفع ، في الوقت الذي أدرك فيه الجميع ضرورة الحاجة الى اجراء تعديل في الهيكل السياسي برمته حتى تظهر اليابان بالمظهر المهيب الجدير بها في دنيا السياسة والدبلوماسية .

تقدم أهالي اقطاعية توسا Tosa باقتراح ينص على استقالة الشوجون . وقدم السادة الاقطاعيون ذلك الاقتراح لحكومة باكوفو في أواخر عام ١٨٦٧ . وكانت اقطاعية توسا في وضع يؤهلها لذلك العمل ، فقد كانت على وفاق مع ساتسوما وتشوشو ، وحازت على ثقة حكومة باكوفو ، وكان بها قائد ذكي يتصف بالقوة والمهارة . وأفسحت استقالة الشوجون الطريق أمام تشكيل حكومة جماعية تحت رعاية الامبراطور بحيث يشغل الشوجون منصبا قياديا في تلك الحكومة ، باعتباره أعظم السادة الاقطاعيين . وقبل « الشوجون » الحاكم العسكري ذلك الاقتراح وقدم استقالته للعرش في نوفمبر عام ١٨٦٧ .

فاق قادة ساتسوما وتشوشو الحاكم العسكري في القدرة على المناورة ، كما تفوقوا على حلفائهم في توسا ، وحصلوا على تفويض من البلاط لمباشرة مهامهم دون الرجوع الى الامبراطور . ولم يكونوا مستعدين لقبول أية تسوية جزئية تهدد مركز الصدارة الذي كانوا يتمتعون به . ونجحوا في حمل البلاط على دعوة طوكوجاوا يوشينوبو للتنازل عن اراضيه وألقابه . وفي ٣ يناير عام ١٨٦٨ ، أعلن البلاط استعادة الحكم

الامبراطورى ، ورضخ يوشينوبو لتوسلات رجاله بالمقاطعة ، الذين كانوا يحثونه على الانتقال من اوساكا الى كيوتو للاحتجاج لدى البلاط . وفى أواخر شهر يناير ، منيت قواته بهزيمة منكرة على يد قوات ساتسوما وتشوشو . ومن ثم وصم بأنه « عدو البلاط » . وبدأت الحرب لاستعادة سلطة الامبراطور حين تقدمت القوات ، التى أطلق عليها لقب « الجيش الامبراطورى » ، نحو الشرق والشمال ، وخاضت غمار الحرب ضده وانتتهت باستسلام أسطوله فى منطقة هاكودت Hakodate فى يونيو عام ١٨٦٩ .

ولم يلق الجيش الامبراطورى مقاومة تذكر قبل سقوط ايدو Edo التى استسلمت دون مقاومة فى ٥ ابريل . وبعدها لم تعد المعارضة موجهة للبلاط ، بل كانت تتوجس خيفة من محاولة أهل الجنوب القيام بتشكيل حكومة جديدة لباكوفو ، وكان الشوجون السابق قد طمان ممثلى الدول الأجنبية فى تصريح أصدره فى مستهل عام ١٨٦٨ أن الجميع منفقون على سيادة الامبراطور على البلاد . اذن لو نظرنا « للميجى اشن » باعتبارها انقلابا ، لوجدنا هذا الانقلاب ناتجا عن المنافسة الحادة بين القادة لتولى قضية إعادة بناء البلاد والارتقاء بها . وكان هناك اجماع عام على ضرورة اجراء تعديل جديد فى هيكل الحكومة صاحبة القرار .

من استعادة السلطة الى الثورة :

فى ٦ ابريل ، والقتال فى مراحله الأولى ، أصدرت الحكومة الجديدة تعهدا اشتمل على خمسة بنود تطمئن فيه السادة الاقطاعيين بأن للجميع مكانا فى النظام الجديد . وقد صيغ هذا التعهد بعبارات عامة تجنبت ببراعة التحديد والتفصيل ، ووعدت فيه الحكومة بتكوين مجالس لتدبير شئون البلاد ، وأعلنت عن الفرص العظيمة التى سيحظى بها عامة الشعب والمسئولين . كما أكدت على الغاء « الممارسات السيئة التى عرفت فى الماضى » ، وعلى أن كل شئ سيستند على « قوانين الطبيعة العادلة » . كما أكدت على ضرورة البحث عن المعرفة فى « شتى بقاع الأرض » حتى تستطيع اليابان دعم أسس الحكم الامبراطورى . وكشف ذلك التعهد عن الأدوار المتعددة التى يمكن لوثيقة واحدة القيام بها ، وكان يهدف الى طمأنة السادة الاقطاعيين بأنه لن تشكل حكومة باكوفوية جديدة تحل محل الحكومة السابقة ، كما أن الفرص ستتاح للجميع على اختلاف طبقاتهم ورتبهم . وفى واشنطن ، وبعد ذلك بعدة سنوات ، اندهش كيدو تاكويوشى Kido Takayoshi - أحد قادة الحكومة اليابانية الجديدة - عندما ذكر بإمكانية الاستفادة من ذلك التعهد كمصدر يمكن الاعتماد عليه عند صياغة

لائحة رسمية للبلاد • وتم الاستشهاد به فى مواضع عدة باعتباره سابقة للديموقراطية فى اليابان المعاصرة •

كان النظام الجديد يبتعد عن الممارسات الأنانية التى اتبعها النظام السابق فى سياسه ، كما تجنب أية اشارة الى اجراء تغييرات جوهرية • وعلقت بيانات تدعو عامة الشعب الى الانصراف الى أعمالهم كسابق عهدهم • كما وجهت الحكومة الشكر للمجاهدين للدور الذى قاموا به ، وأصدرت لهم الأوامر بالعودة الى السلطات الاقطاعية التابعين لها • كما احتفظت الحكومة لنفسها بالجزء الأكبر من أراضى طوكوجاوا ، ولكنها حرصت على ألا تظهر بمظهر من يريد اضافة أراض جديدة إليها • وبعد تجارب عديدة من جانب الحكومة لادخال نظم ادارية جديدة ، وعلى نسق الصورة الأولى لتمثيل المقاطعات الاقطاعية فى الحكومة ، أعادت الحكومة تشكيل مجلس الدولة – أو ما يعرف بالداجوكان Dajokan – الذى عرفته البلاد فى القرن السابع للدلالة على رغبتها فى العودة للماضى •

اتخذت الحكومة عدة خطوات لتحقيق النجاس بين الاقطاعيات توطئة لتوحيد البلاد ، وأصدرت الأوامر لسادة الاقطاعيات لتوحيد نظم الادارة وفصل الأمور الشخصية عن الأمور العامة والميزانية • وفى عام ١٨٦٩ تقدم السادة الاقطاعيون باقطاعيات تشوشو وساتسوما وتوسا وساجا بالتماس للبلاط باعادة سجلاتهم مرة أخرى • وقبلت الحكومة ذلك الالتماس بعد تردد ، وأصدرت أوامرها برد السجلات الى سائر الاقطاعيات الأخرى • ثم قامت بتعيين السادة الاقطاعيين السابقين كمحافظين • وفى خريف عام ١٨٧٠ ، أصدرت الحكومة أوامرها باجراء اصلاحات فى ادارة الاقطاعيات • وقامت بنصنيف الاقطاعيات حسب حجمها ، فهناك الكبيرة والمتوسطة والصغيرة • وفى عام ١٨٧١ ، ألغت الحكومة نظام الاقطاعيات ، لتبدأ عملية اعادة توحيد البلاد ، واعادة تقسيم المناطق ، فبعد أن كانت البلاد تضم ٢٥٠ اقطاعية أصبحت تضم ٥٠ ولاية •

حتى ذلك الحين كان من الصعب تحديد مفهوم « الحكومة الجديدة » ، فكان موظفو تلك الحكومة من الشباب حديثى السن ، أمثال أنوو كاودو ، الذين لم يتمتعوا بنفوذ كبير فى اقطاعياتهم ، فى الوقت الذى سعت فيه شخصيات كبيرة نحو القوة ، أمثال كيدو Kido فى (تشوشو) واكوبو Okubo فى (ساتسوما) وايتاجاكي Itagaki فى (توسا) ، فسيطروا على مجالسها • وفى نوفمبر عام ١٨٧١ ، كانت البلاد قد استقرت بدرجة تسمح لبعض رجال الحكومة بالقيام بجولة حول العالم تحت رئاسة اواكورا Iwakura ، وكان بينهم شخصيات بارزة

أمثال إيتو Ito وأوكبو Okubo وكيدو Kido . وأتيحت لهم فرصة دراسة طرق وأساليب المؤسسات الأجنبية في عدة دول . وعادوا عام ١٨٧٣ ، بعد أن أنهوا دراستهم . وتعهدت الحكومة المؤقتة بعدم القيام بأية تعديلات أثناء غيابهم الا بعد استشارة الأطراف الأخرى ، فكانوا على ثقة في أنهم سيتولون نفس وظائفهم السابقة بعد عودتهم .

كان لزاما على الحكومة الجديدة اعادة طبقة الساموراي بالقطاعية بعد أن فرضت سيطرتها الكاملة على جميع القطاعات . وفي البداية تم تصنيف الرتب العسكرية ، فكانت هناك رتبة الكازوكو Kazoku التي حصل عليها السادة القطاعاتيون ، ورتبة الشيزوكو Shizoku التي حصلت عليها طبقة الساموراي ذات المستوى المتوسط ، ورتبة سوتسوزوكو Sotsuzoku التي حصلت عليها طبقة الساموراي ذات المستوى الأدنى . ولم يمض وقت طويل حتى ألغيت رتبة سوتسوزوكو ، وأصبح معظم الحاصلين على تلك الرتبة من عامة الشعب . وسمح لعامة الشعب بامتطاء صهوة الجياد وحمل أسماء عائلاتهم ، كما سمح لهم بقاء عائلاتهم بنظام القيد الذي تأسس عام ١٨٧١ . وبعد صدور قرار يقضي بإلغاء القطاعات عام ١٨٧١ ، صدر قرار آخر ينص على حرية السفر وحرية الانتقال وحرية اختيار المحاصيل الزراعية وحرية الزواج بين العامة والفئات الأخرى . وتم ترقية المجموعات شبه المنبوذة الى مرتبة العامة ، أو ما يعرف بالهيمين Heimin

اضطرت المشاكل المالية الحكومة الى اجراء اصلاحات أخرى . ولما كانت طبقة الساموراي التي حصلت على رتبة الشيزوكو Shizoku تنقاضي روابتها من الحكومة ، اضطرت الحكومة الى تقليل النفقات لتوفير الموارد ليتسنى لها الاتفاق على التسليح والدفاع عن البلاد . وأثبتت التجارب التي مرت بها البلاد في الستينيات من القرن التاسع عشر أن لطبقة الساموراي ميزة مزدوجة ، اذ كان بإمكان الحكومة الانتفاع بها في الحفاظ على تماسك البلاد وفي تدريب جيش حديث . وقد نأثر القادة اليابانيون بالقصص التي كانت تحكى عن اشتراك مواطني باريس في مقاومة جيوش بروسيا ، عندما اندلعت الحرب بين فرنسا وبروسيا . وكان أولئك القادة يعرفون أن عامة الشعب الياباني قد اتخذوا موقف المتفرج أثناء حروب الميجي اشن . وما كان لدولة حديثة لن تتكفل باعادة مجموعة خاملة من الساموراي ، في الوقت الذي طلبت فيه الحكومة مشاركة أبناء الشعب مشاركة فعلية في ادارة شئون البلاد . وهكذا اتخذت الاجراءات لحل مشكلة الساموراي .

جمعت الاجراءات المبكرة التي اتخذتها الحكومة بين خفض الرواتب

ووضع معايير جديدة للوظائف الادارية ، وأتاحت الفرصة أمام الموظفين المحليين - الذين كانوا من عامة الشعب - للترقى الى الكوادر الأعلى في النظام الوظيفي الادارى . وفى عام ١٨٧٣ ، تركت الحكومة لطبقة الساموراي الحاصلين على رتبة الشيزوكو ، حرية الخيار بين تقاضى رواتبهم ، والحصول على مبلغ نقدى يوازى الدخل الذى يحصلون عليه فى ست سنوات . وأدخلت الحكومة ضريبة الدخل ، وشجعت على استبدال الرواتب عام ١٨٧٤ . وفى عام ١٨٧٦ ، صدر قانون يحظر تقلد السيوف ، ويلزم جميع أصحاب الرواتب باستبدال رواتبهم . كما صدرت سندات تعطى لحاملها الحق فى الحصول على فوائد . وحصل أصحاب الرواتب الصغيرة على فوائد أعلى ، ثم تحولت الفوائد الى رأس مال يحصلون عليه بعد مضي فترة من الزمن فى صورة مرتبات . وكانت الحكومة تتوقع نفور طبقة الساموراي من تلك الاجراءات ، كما كانت تضيق زرعاً بنظام الاقطاع . ولحسن الحظ لم يدخل ذلك الاستياء لغة المكسب أو الخسارة الشخصية ، وإنما دخل ضمن اطار السياسة الخارجية (أى الحوار القائم حول الاجراءات التى يجب اتخاذها بشأن كوريا) ، والقلق الداخلى (مدى لياقة صبنغ البلاد بالصبغة الغربية) . ولحسن الحظ ، أيضاً ، أن طبقة الساموراي كانت تدرك انتماءها للاقطاعية ادراكاً كاملاً ، فلم يتعد استياء تلك الطبقة حدود الاقطاعية . لذلك كتب البقاء للحكومة .

وبالنسبة للوضع المالى فى البلاد ، رأت الحكومة ضرورة وجود دخل ثابت حتى تستطيع تدبير أمور البلاد على خير وجه . لذلك أصدرت الحكومة صكوك نسيك الاراضى ، وقامت بتقييم رسمى لقيمة الارض على أساس ما تدره من رأس مال ، كما قامت بتقييم الضريبة الثابتة على أساس ما تدره من المال . وصاحب كل تلك الاجراءات قيام الحكومة بتقويض أركان طبقة الساموراي ووضع قواعد التجنيد الاجبارى ونظم التعليم الشامل . وفى عام ١٨٧٧ ، وضعت الحكومة قواعد التجنيد الاجبارى ونظم تعميم التعليم ، كما سحقتم التمرد الذى قام به رجال السامورى فى ساتسوما فى نفس العام ، وهو أكثر حركات التمرد قوة . وبذلك أصبحت اليابان قوة حديثة تقوم على المؤسسات الرأسمالية التى تشبه المؤسسات التى عاينها رجال الحكومة أثناء قيامهم بجولة حول العالم .

وفى عام ١٨٧٨ ، فقدت الحكومة ثلاثة رجال من أقوى الشخصيات لديها ، ففقدت سايجو Saigo بسبب التمرد ، وفقدت كيدو Kido بسبب المرض ، وفقدت اكوبو Okubo بسبب الاغتيال . وكانت البلاد آنذاك تجتاز تغيرات داخلية كثيرة . واستفادت المؤسسات من الصفوة القديمة خير استفادة . فقد شغل الأمراء الذين تربطهم رابطة الدم ونبلاء البلاد والسادة الاقطاعيون أعلى المناصب . ثم بدأت الحكومة المركزية

نأخذ طابعها المميز ، ووجد قادة الساموراي أنه بإمكانهم تولى مسئوليات رسمية كثيرة . واستمر السادة الاقطاعيون والنبلاء يمارسون مهامهم ، وان انخفض عددهم . واستمر رجال الساموراي أصحاب الرواتب يصعدون في التسلسل الوظيفي . وبانتهاء عام ١٨٧١ ، أصبحت معظم الوظائف القيادية في أيدي طبقة الساموراي السابقة . وكانت نواة الحكومة تضم رجالا من ساتسوما وتشوشو وتوسا وساجا . وكان أولئك الرجال يدركون الحاجة الى اقتلاع جذور الشك من قلوب الناس ، ومكافأة الخبرة والموهبة ، فقاموا بتجنيد كثير من الناس العاديين لينضموا اليهم

وعملت الحكومة على اعادة طبقة الصفوة القديمة ، وكان الامبراطور في حاجة الى طبقة ارسقراطية من حوله . فدارت مناقشات حول ضم كل أو معظم رجال الساموراي الحاصلين على رتبة شيزوكو Shizoku لتلك الطبقة الارستقراطية ، ولكن اعتبارات العدد والنفقات حالت دون ذلك . وحينما قررت الحكومة انشاء برلمان من مجلسين كان الكثير من حاملي رتبة الشيزوكو قد أعوزتهم الحاجة ولم يعودوا أهلا لحمل لقب من ألقاب النبالة . وبصدور قانون النبلاء عام ١٨٨٤ ، أضفيت على نبلاء البلاط السابقين القاب النبالة الجديدة التي كان الانعام بها مقصورا على الاقطاعيين السابقين . ووجد معظم السادة الاقطاعيين أنفسهم في مرتبة قريبة من أدنى مراتب الفيكونت Viscount ، بينما حظيت حفنة الساموراي الحاصلين على رتبة شيزوكو برتبة قريبة من رتبة البارون Baron . وعندما ألغيت الرتب في الأعوام التي تلت الحرب ، كانت ٩١٣ أسرة قد حصلت على رتبة البارون .

واجهت الحكومة الجديدة عدة مشكلات ، وكان يتعين عليها اعادة بناء قوة اليابان ، واعادة الثقة الى نفوس الناس ، وجعلهم ينظرون اليها باعتبارها حكومة قومية صادقة . فكان عليها عمل الكثير في سبيل ذلك . فقد كان النظام السابق نظاما مفلسا . واطمأن قلب كل من كان يخامره الشك في الحكومة الجديدة عندما رأى تمسك الامبراطور بكل ما هو قديم ، ولمس كل من كان يعرف تلك الحكومة عن كثب الخطوات الحادة التي تخطوها اليابان كي تصبح قوة من القوى الدولية . والامبراطور هو رمز السلطة في اليابان ، فزادت أهمية ذلك الرمز لدى الناس ، وتنافس مؤيدو الحكومة ومعارضوها في تأكيد ولائهم لعرشه . وقدمت الحكومة عدة ضمانات للدلالة على مصدقيتها ، منها قيام بعض الساسة بجولة حول العالم لدراسة نظم الحكم في بعض البلدان ، واعلان الامبراطور عن عزمه القيام بالاصلاحيات اللازمة ، ووعده بتشكيل المجالس ، وتأكيد على وضع دستور للبلاد عام ١٨٨١ . ولولا تقديم الحكومة لتلك الضمانات ، لكانت

مجرد تسوية من جانب واحد فقط . وبعد أن أدخلت الحكومة نظام الألقاب الجديد ، أصبحت الصفوة القديمة من السادة الاقطاعيين ونبلاء البلاط يشكلون طبقة الأشراف الجديدة . وكانت تلك الطبقة هي القوة الدافعة في مجال السياسة حتى أن دستور عام ١٨٨٩ أفسح مكانا لتلك الطبقة لتمارس نفوذها السياسي .

وعلىنا أن نفهم النظام القديم حتى يتسنى لنا فهم مقدار التغيير الذى طرأ على ذلك النظام . لم يكن نبلاء طوكوجاوا يهتمون بتملك الأراضي على الاطلاق . ويمكننا القول بأن الامبراطور كان يمتلك كل الاراضى . وهذا القول يتساوى مع القول بأنه لم يكن يمتلك أية أراض على الاطلاق ، اذ قام البلاط بتفويض الشوجون ليحكم نيابة عنه . وقام هذا بدوره بتفويض المزارعين الاقطاعيين ليحكموا نيابة عنه . وكان كل فريق من هؤلاء على استعداد للاعتراف بأنه لا يملك الاراضى ولا من عليها ، وأنه أشبه بالمشرف منه بمالك . وعندما رد السادة الاقطاعيون سجلاتهم الى البلاط عام ١٨٦٩ ، رفعوا التماسات مطالبين باستعادتها . وكانت تلك التماسات تضمن اشارة تفيد بأن الأرض ومن عليها ملك لجلالة الامبراطور ، فما الذى يدعونا الى تملك الارض ملكية خاصة ؟ ولم يختلف حال طبقة الساموراي عن ذلك ، فكان قليلون منهم يرتبطون بالقرية ، ومعظمهم كان من أصحاب الرواتب ، وكانوا يسكنون المدينة . واختلعت الحال عن أوربا اختلافا بينا ، فالأوروبيون من أصحاب الاراضى كانوا يعرفون ما يمتلكونه بالضبط . وفى اليابان كان هناك تضارب شديد بين التزام الحكومة بدفع رواتب رجال الساموراي ثم التخلي عن ذلك الالتزام التالى . وكانت هناك حملات مبكرة معادية للبوذية ، وقامت تلك الحملات بتجريد المعابد من أراضيها .

كان الرجل اليابانى العادى هو الفائز الحقيقى من كل تلك التغيرات . واتخذ من السخط صورة مظاهرات . وتجسدت آمال الشعب فد غدا أفضل فيما يسمى بحركة « اى جا ناى كا » Ee Ja Nai Ka عام ١٨٦٧ . ولم تتحقق آمال الشعب فى التخفف من الأعباء التى كانوا ينوءون بحملها فى السنوات الأولى من عصر الميجى . كما أن برنامج المساواة فى الضرائب الذى صاحب الإصلاح الضريبي الخاص بالأراضى قد أثقل كاهل كثيرين من دافعى الضرائب فى مناطق متفرقة من اليابان . ورغم كل ذلك فقد حقق النظام الجديد مزايا كثيرة للشعب ، وكانت هناك فرص التعليم والمساواة بين الناس فى ظل القانون ، وحرية الحركة ومزاولة العمل . وقد حاول كثيرون ابراز النواحي السلبية لذلك النظام مثل ضياع الأخلاق والأمان فى المجتمع تحت وطأة الرغبات الرأسمالية

التي تحض على التملك . ولكن يمكن الرد على ذلك بأنه ما كان لمجتمع أن يقدم لو أبقي على التقاليد القديمة التي عرفت القرية كما هي دون أن يضع أى برنامج للتغيير . كما أن اناحة كل تلك الفرص أمام الفرد ، رغم النظام الخشن لقوى السوق . قد أفاد الأجيال التي جاءت بعد ذلك .

ويصعب القول بأن طبقة الساموراي قد استفادت كثيرا من ذلك النظام . رغم أن كثيرين منهم قد شغلوا وظائف ادارية ، كما أصبح أولئك الذين تولوا مناصب حكومية هم قادة اليابان الحديثة . ورغم أن السنوات التالية قد تميزت بتباطؤ المجموعات الاقليمية فى اعلان ولائها الا أن النجاح الفردى لم يكتسب عن طريق الدعوات وحدها . وانتشر الفقر بين الطبقة التي حصلت على رتبة شيزوكو بعد أن عرفت البلاد نظام استبدال الرواتب بنظام المعاش عام ١٨٧٨ . ورغم شكوى النظام الجديد من جحود طبقة الساموراي ، فقد عملت الحكومة على غرس أخلاقيات تلك الطبقة فى عقول اليابانيين ، وذلك من خلال المناهج التعليمية والقوانين الأسرية والتجنيد الاجبارى ، وعملت طبقة الأشراف الجديدة على جعل الألقاب التي يحملها أفراد طبقة الساموراي الحاصلة على رتبة الشيزوكو تفقد بريقها . وبنهاية الثمانينات ، باتت عبارات مثل ايكوكى نو شى aikoku no shi تعنى (الرجال الوطنيين) وليس رجال الساموراي الحاصلين على رتبة شيزوكو . وبعد مضي عشرات السنين ، أصبح هاراكاي ، الذى كان من كبار رجال الساموراي والشيزوكو ، رجلا من العامة .

لم تعيش طبقة الأشراف الجديدة فى بحبوحة من العيش ، وعاش السادة الاقطاعيون فى ترف بمقتضى التسويات التي أبرمت معهم لتوفير معاشات لهم ، فأصبحوا أعضاء أثرياء فى النظام الحكومى الجديد ، فى الوقت الذى كثر فيه الفقراء من الأشراف . أما طبقة النبلاء بالبلاط فى كيوتو Kyoto ، فلقد اضطروا لمغادرتها الى طوكيو ولعل حالتهم تحسنت قليلا . وحقق قليلون منهم نفوذا سياسيا حقيقيا بعد عودة النظام الى نمسكه بتقاليد الماضى . ومن أمثال أولئك ايواكورا Iwakura وسانجو Sanjo وسيانوجى Saionji .

ويمكن أن يقال نفس الشيء عن الأقاليم ، فلم تحصل مراكز الاصلاح على كثير من الاصلاح . وبينما حقق رجال مقاطعتى ساتسوما وتشوشو كثيرا من النجاح ، تضاءلت الأهمية الاقتصادية لغيرها مثل كاجوشىما Kagoshima وياماغوتشى Yamaguchi وكوتشى Kochi فى اليابان الجنوبية . وبعد إلغاء نظام الاقطاعيات عام ١٨٧١ ، تم تعيين أول محافظ لمنطقة يماجوتشى ، وكان من أتباع طوكوجاوا الاقطاعيين . وقد تركزت

سياسات التحديث على الاراضى التى كانت تابعة لطوكوجاوا فى كانساي .
Kansai و كانتو Kanto وطوكيو .

من الخطأ أن نعتبر طوكوجاوا وأهله من الخاسرين ، فرغم أنه قد
اقصى من منصبه وأجبر على التقاعد الا أنه بعد بضع عقود استقبله
الامبراطور ، رأس الأسرة ، وأثنى على ولائه . وبعد أن قامت احلى
الصحف باستطلاع رأى القراء فيمن يختارونه ليكون رئيسا للوزراء عام
١٨٩٠ ، كشف استطلاع الرأى فى يوشنوبو عن اختيار ايتاجاكى تايسوكه
Itagaki Taisuke ، وكان أفراد عائلة طوكوجاوا على رأس طبقة
الأشراف الجديدة .

توضح هذه اللوحة النى رسمناها ما تتسم به فترة الاصلاح من
ملامح جذابة وصعوبات تميزها عن غيرها من فترات التاريخ اليابانى .
ولكن كلما اتسع المنظور وكلما أمعنا فى أحوال المجتمعات السائرة على
درب التقدم ، التى تضىء دراستها عمقا نسبيا لأحكام المؤرخين ، سيصبح
بوسعنا أن نرقى بأحكامنا التى طالما ركنا فيها الى الأهواء السياسية
الحديثة والمعاصرة وأن نضفى عليها المزيد من الدقة .

ثورة الميجي ومسايرة اليابان لطابع العصر

بقلم

Kuwabara Takeo

كوابارا تاكيو

جامعة كيوتو

كيوتو - اليابان

اختلفت عن غيري من الكتاب المشهورين الذين ساهموا بالكتابة في هذا المرجع . فانا لست متخصصا في تاريخ اليابان الحديث ، بل أنا مجرد هاو ، فلم أتعلم في دراسة تاريخ اليابان ، حيث تخصصت في دراسة الأدب والثقافة الفرنسية ، ولكن لدى اعتقاد راسخ في ضرورة التعاون بين المتخصصين والهواة في عالم المعرفة . فمع زيادة الميل نحو التخصص في مجال الأبحاث العلمية ، لابد من وجود غير المتخصص - الذي قد لا يساهم في مجال العلوم التجريبية الدقيقة ، ولكن لابد من اسهامه في مجال العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية التي تتطلب دراستها اتباع منهج البحث العلمي الشامل . وأنا لا أشعر بالرضا عن النظريات المتعلقة بالاصلاح الميجي اشن التي انتشرت بين اليابانيين في الفترة التي تلت الحرب . وقد لا يكون هذا الكتاب هو المكان المناسب لسرد تجاربي الشخصية ، ولكنني أصر على سرد هذه التجارب حتى أوضح آرائي المتعلقة بالاصلاح .

لقد ذهبت الى فرنسا للدراسة قبل نشوب الحرب العالمية الثانية . وأنا أتذكر مقدار دهشتي عندما سمعت بعض الناس ، أمثال « أندريه جيد » و « أندريه مالرو » ينتقدون النزعة العسكرية في اليابان ، ولكنهم يمتدحون الاصلاح الميجي في الوقت ذاته . وبعد انتهاء الحرب ، أكد

المؤرخون التقدميون اليابانيون على النظرية القائلة بأن الإصلاح الميجي اشن كان ثورة فاشلة وأنه لم يكن سوى انتقال للسلطة من يد الحاكم العسكري Shogun الى يد الامبراطور ، وأن اليابان ظلت دولة اقطاعية يحكمها نظام امبراطوري شمولي حتى هزيمتها عام ١٩٤٥ . ولكنني لا أوافق على ذلك التفسير ، فان ظهور رجال عظام أمثال عالم البكتريا كيتازاتو شيباسابور (١٨٥٣ - ١٩٣١) ، وعالم الفيزياء ناجاوكا هانتارو (١٨٦٥ - ١٩٥٠) ، وكتاب القصة الكبار ، أمثال موري أوجاوى (١٨٦٢ - ١٩٢٢) وناتسوم سوسيكي (١٨٦٧ - ١٩١٦) ، خير دليل على التغيير الاجتماعي الكبير الذي شهدته فترة الميجي .

لقد جبت بأنحاء الاتحاد السوفيتي والصين عام ١٩٥٥ لمعينة الوضع الأكاديمي ، ولست مقدار ما يكتنه العلماء هناك من اعجاب لتلك الحركة . كما اكتشفت أن المؤرخين التقدميين - الذين يزورون اليابان - لا يفهمون التصريحات التي يدلى بها المؤرخون الماركسيون باليابان في بعض الأحيان .

ورغم ذلك الوضع ، فلم تقع أذني على أى نقد من أعضاء الجاليات الثقافية الأخرى باليابان . ونشرت مقالا قصيرا بعنوان « إعادة تقييم الميجي » في عدد أول يناير سنة ١٩٥٦ بجريدة أساشي شيمبون Asashi Shimbun ، ذكرت فيه أن الإصلاح الميجي كان ثورة برجوازية لدولة غير متقدمة ، وأنه يجب أن ننظر اليه على انه انجاز عظيم للشعب الياباني ، وأن رغبة ذلك الشعب في تحقيق الاستقلال والنهوض بالبلاد تستحق منا المديح والثناء . ولم أقم بنشر أية أبحاث نظرية أخرى عنها منذ ذلك الحين ، ولكنني عبرت عن آرائي في مجلات استطلاع الرأي وفي المحاضرات . ويميل المؤرخون اليابانيون - الذين يستلهمون روح الفكر الماركسي - الى تقديس الغرب ، وهم يسعون الى تقديم نموذج مثالي أوروبي للشعب الياباني . وقد بذل اليابانيون الكثير من الجهد للحفاظ على استقلالهم في ظل ظروف صعبة للغاية ، أثناء فترة الميجي ، لذلك فهم يستحقون منا كل تقدير .

طرحنا أفكارنا الخاصة بالثقافة المعاصرة في اليابان في صورة سلسلة من المقالات باللغة الانجليزية ، ونشرت مطبعة طوكيو تلك المقالات في مجلد تحت عنوان « اليابان والحضارة الغربية » ، وناقشت الموضوع الذي نحن بصددده بأحد تلك المقالات تحت عنوان « ثورة الميجي والروح القومية » Meiji Revolution and Nationalism

دعوني أقدم تعريفي الحالي لعبارة الميجي اشن ، ولتترجموها بما يعن لكم من أسماء . وان لم تستطع أفكارى عمل شيء ، فيكفى هذه الأفكار أنها فتحت باب المناقشة في هذا الموضوع الذي نحن بصددده .

وأنا أرى الميجي اشن على النحو التالى : استطاع الشعب اليابانى - الذى قطع كل سبل الاتصال بالعالم الخارجى ، وحافظ على استقلاله عن طريق العزلة القومية - خلق ونشر ثقافة عالية فى جميع أرجاء البلاد طوال ٢٥٠ سنة عاشتها البلاد فى سلام . وأدرك الشعب اليابانى أن العلاقات بين القوى الدولية كانت تقتضى ضرورة انفتاح البلاد فى منتصف القرن التاسع عشر . لذا عمل على ادخال الحضارة الغربية الى البلاد طواعية . وكانت الميجي اشن ثورة ثقافية تهدف الى خلق دولة

دعوى تناول ذلك بمزيد من الشرح . فالفترة التى عاشتها اليابان فى سلام طوال ٢٥٠ سنة كانت لها أهمية كبيرة ، ولا يعرف تاريخ الشعوب الأخرى منالا آخر مشابها لها . وأنا أستمد فكرة « الثقافة العالمية » من وصف قدمه جورج ب . سانسوم George B. Sansom فى كتاب « العالم الغربى واليابان » ، حيث يقول « ان المجتمع الأوروبى لم يكن أكثر تحضرا من اليابان آنذاك » . ولم تكن ثقافة اليابان مقصورة على فئة معينة دون غيرها ، بل كانت ثقافة عامة يتقاسمها الشعب كله . لذلك اختلفت تلك الثقافة اليابانية عن الثقافة الفرنسية التى كانت مقصورة على عدد قليل من الارستقراطيين فى قصر افرساي . ولا يجب أن نخضع النظر عن أهمية كلمة « طواعية » ، فهذه الكلمة تؤكد على حقيقة هامة ، وهى أن اليابان لم تكن مستعمرة ، بل كانت دولة مستقلة . وقد لا يوافق البعض على استخدامى لمصطلح « ثورة » فيما يتعلق بالميجي اشن . وينعين على أولئك الذين يسعون لاحداث الثورة اليوم ، أن يرفضوا فكرة أن تكون الميجي اشن مجرد ثورة ، ويتبع رفضهم من ضرورة استراتيجية بحثة . ولكن ان كانت الثورة تعنى تغيرا اجتماعيا شاملا ، فانى لا أجد كلمة أخرى أصلح من كلمة « ثورة » يمكن استخدامها . ويقول توماس . س . سميث C. Smith Thomas انه يعتقد « أن السنوات العشر العجاف التى شهدتها الميجي اشن تمثل تغيرا اجتماعيا فى اليابان يفوق التغير الذى أحدثته الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ » (١) . وأعتقد أنه من السخف تحاشى استخدام مصطلح « ثورة » فيما يتعلق بالميجي اشن ، ثم استخدامها دون تدقيق فى مواضع أخرى ، كان نستخدمها عند مناقشة ثورة يوليو بفرنسا (١٨٣٠) أو ثورة فبراير (١٨٤٨) ، ان الثورة لم تكن السبب فى مصرع الشوجون ، ويرجع ذلك الى رجاحة عقل اليابانيين وحكمتهم . ولا ينبغى علينا أن ننظر الى الثورة على أنها لا تستحق هذا الاسم لأنها لم تعرف اراقة الدماء الا بقدر ضئيل .

وليس هناك ما يدعو الى الجدل حول الطبيعة البرجوازية لثورة الميجي . ولقد نعتها ذات يوم بثورة بورجوازية من الثورات المعهودة فى

المجتمعات المتخلفة • ولكنى قررت عدم الاعتماد على تلك المصطلحات •
ان الميجى اشن تنطوى على أوجه لا يمكن تفسيرها وفقا للنظرية الماركسية
التي تنادى بتطور التاريخ عبر مراحل تؤدي الى الماركسية • كما أنه
لا يوجد ما يدعو الى الانقياد وراء تلك النظرية دون تبصر ، وانما أفضل
أن أطلق عليها ثورة ثقافية نابعة من نعمة قومية • واذا قلنا بأنها لم تمثل
سوى انتقال السلطة من نظام الى نظام آخر – أى أننا لم ننظر اليها الا
من الناحية السياسية فقط – فلن نحسم قضايا كثيرة • ولن يفسر لنا
ذلك سبب فوز « انوكواشى » باحترام ناكاي تشومين (١٨٤٧ – ١٩٠١) •
وكان انوكواشى أحد الشخصيات القيادية البارزة فى حكومة الميجى
المركزية ، وقام بسحق الحركات الشعبية التى طالبت بالحقوق ، وأصدر
قرارا فى ١٨٨١ ، وعد فيه بإنشاء جمعية وطنية بعد تسع سنوات ،
وساهم فى وضع دستور الميجى ولائحة التعليم • وتساءلت عن السبب
الذى يجعل مثل ذلك الرجل يسال الحظوة لدى تشومين ، ولكنى لم أجد
الاجابة على ذلك التساؤل • واذا كان تشومين يهدف الى الأخذ بيد
اليابان • لتصبح دولة قوية مثل دول أوروبا ، فلم يكن أنوو بالرجل
الرجعى ، بل كان يرمى الى النهوض باليابان وجعلها تساير طابع العصر •
واستمر فيكيوزاوا يكوئشى يحاضر فى الجامعة أثناء القلاقل التى شهدتها
البلاد أثناء حكم الميجى اشن • وهذا خير دليل على أنها قد أكدت على أهمية
الدور الذى لعبته حركة التنوير فى حياة اليابانيين • وقد رفع ذلك الرجل
شعار datsu A. nyu-O ، ويعنى لننفصل عن آسيا ولننضم الى
القوى الأوروبية • ويسهل علينا فهم ذلك الشعار اذا أدخلناه ضمن السياق
الثقافى للثورة •

ماذا حققت الميجى اشن ؟ لقد خلقت دولة مركزية تهدف الى
الاستقلال والازدهار ودعم الجيش الوطنى ، على أن يبقى الامبراطور على
رأس ذلك الجيش • وحقيقة الأمر أن الامبراطور لم يكن حاكما مطلقا •
وقد أطلق فادة الحركة على الامبراطور الذى عملوا على استعادته لسلطته
وبسط نفوذه ، اسم جيوكو gyoku ، وهى تسمية شبيهة بالاسم
الذى يطلق على الملك فى لعبة شوجى Shogi المعروفة فى اليابان ، وهى
لعبة تشبه الشطرنج • ولم ينظر أولئك القادة الى الامبراطور على أنه
يستمد قوته من الذات الإلهية ، بل نظروا اليه على اعتبار أنه شخصية
يمكن التحكم فيها ، والاستفادة منها لصالحهم • وأنا أعتقد فى ضرورة
تقسيم « الدور الفعال » الذى يقوم به الامبراطور ، وذلك لما ساهم به
لجعل اليابان تساير طابع العصر • فهو ليس مجرد قيمة اسمية تستمد
منه مؤسسات الدولة قوتها • وكان للدولة الجديدة طابعا عسكريا منذ
البداية • واذا كان عدوان اليابان على الدول الأخرى أمرا يدعو للرناء •،

الا أننا لا يجب أن ننسى أننا نقوم بتحليل الموضوع تحليلًا موضوعيًا ، وأن الدول المتقدمة بالغرب تدخل ضمن نطاق ذلك الموضوع ، وأن هناك دولًا متعددة كثيرة في آسيا وأفريقيا وجنوب أمريكا يسيطر العسكريون على مقاليد الحكم فيها . ويمكن أن نعزو سبب سيطرة العسكريين على مقاليد الحكم في اليابان إلى الأسباب التالية : (١) التقاليد القديمة المتطرفة التي عرفت بها البلاد ، حيث سيطرت طبقة المحاربين على مقاليد الحكم (٢) . تأثير أفكار بعض الرجال أمثال : يوشيدا شوين ، وهوندا توشياكي ، وتاكينو تشيواي ، الذين كانوا على اقتناع بأن اليابان في حاجة إلى مراكز لها عبر البحار للذود عنها ضد أي عدوان تقوم به القوى الغربية . (٣) ازدياد خوف اليابان من القوى الغربية ، وظل ذلك الخوف يسيطر على عقول اليابانيين حتى نهاية حكم طوكوجاوا . وقد بلغ ذلك الخوف درجة يصعب علينا فهمها اليوم .

نجحت اليابان في مسيرة طابع العصر بسرعة لم تعهدها دولة أخرى في التاريخ . وسواء انطوى ذلك على الخير أم الشر ، فهذه قضية لا تفيدنا . وأود أن أذكر ست نقاط تستخدم في اختيار مدى النجاح الذي حققته البلاد في مسيرة طابع العصر . وقد وضعت قائمة تتضمن تلك النقاط عام ١٩٥٧ ، كمحاولة من جانبي للتحقق من القدر الذي حققته اليابان من تقدم . وهذه النقاط هي : (١) حكومة ديمقراطية (٢) اقتصاد رأسمالي (٣) اعتماد الصناعة على إنتاج المصانع (٤) نظام وطني للتعليم الإلزامي (٥) إقامة قوة عسكرية وطنية (٦) تحرير عقل المواطن من سيطرة النظام الشمولي (أي إطلاق حرية الفرد ، والتحرر من قيود التقاليد) .

والآن أود أن أتناول خمس نقاط منها بشيء من التعليق .

١ - قد يثير البعض كثير من الجدل حول تعريف الديمقراطية ، ولكنني أرى أن الحكومة الديمقراطية هي الحكومة التي لا تخضع لحكم الفرد ، ولا تضم بين صفوفها الأرستقراطيين أو الأشخاص الذين يتمتعون بمزايا خاصة . ولذلك فلنا أن نعتبر الدول الاشتراكية كالاتحاد السوفيتي (سابقا) والصين دولًا ديمقراطية . ومن الناحية السياسية ، لم يكن بالإمكان وصف ليا بان بأنها دولة ديمقراطية حتى عام ١٩٤٥ . وعلينا أن نذكر دائمًا أن اليابان سبقت دول الغرب المتقدمة حينما قامت بإلغاء الطبقات الاجتماعية البناء شاملًا . وقد بدأت في صيغ المجتمع بالصيغة الديمقراطية وتطبيق مبادئ المساواة على كافة قطاعات الشعب عقب الحرب العالمية الثانية . ولكن لا يمكننا القول بأن اليابان قد حققت قدرًا كبيرًا من الديمقراطية أثناء فترة الميجي .

٢ - عرفت هنا إلى إدراج رأسمالية الدولة State Capitalism

التي تتمثل في نظام كالاتحاد السوفيتي في فئة الرأسمالية . ففي اليابان لم تنشأ الرأسمالية من المستويات الدنيا ، كما هو الحال في إنجلترا مثلا ، بل أن حكومة الميجي قد أفرختها ، وقد يعد ذلك نقطة ضعف ولكن لم يكن هناك بديل آخر أمام بلد نام .

٤ - عرفت إنجلترا نظام التعليم الاجباري عام ١٨٧٠ ، واليابان عام ١٨٧٢ ، وفرنسا عام ١٨٨٢ ، والولايات المتحدة عام ١٩١٨ ، وألمانيا عام ١٩١٩ . وفي اليابان اشتهرت نظم التعليم الاجباري بتطبيق مبدأ المساواة ، لذلك فهي تختلف عن نظم التعليم البريطانية . ففي إنجلترا ، هناك مدارس للفقراء وأخرى للأثرياء .

٥ - نجحت اليابان في النهوض بالنظام العسكري . واعتمد ذلك النظام العسكري على مبدأ المساواة أكثر من النظم العسكرية بالدول المتقدمة بالغرب آنذاك .

٦ - أما فيما يتعلق بتحرير عقل المواطن من سيطرة النظام الشمولي ، فلا يمكن أن نزعم أن اليابان حققت قدرا كبيرا من النجاح أثناء فترة حكم الميجي . وفي الوقت الذي نعتبر فيه أن إطلاق حرية الفرد هي المحك الذي يعيننا في التعرف على مقدار ما حققته البلاد من تقدم ، فلا يمكن اعتبار هذه الحرية هي الهدف الذي تسعى اليه الدول المتخلفة التي تحاول أن تلحق بركب التقدم . وعندما يرتفع مستوى المعيشة ، يزداد ادراك الفرد لذاته واعتداده بنفسه ، وذلك عن طريق تطوير التعليم ونظم التصنيع . ورغم أن أوروبا عرفت مفهوم الحرية الفردية منذ عصور سحيقة ، فانها لم تطلق حرية الفرد الا بعد عهود التوسع والوفرة التي حققتها بلدانها . ويستحيل إطلاق حرية الفرد دون البدء بعملية النهوض بالبلاد وجعلها تسير طابع العصر .

يتضح لنا من ذلك أن اليابان نجحت في مسيرة طابع العصر أثناء فترة حكم الميجي ، فقد نجحت في احراز أربع نقاط من النقاط الست (ما عدا نقطة ١ ، ٦) التي وضعت لقياس مدى نجاح الأمة في النهوض ومسايرة طابع العصر . ولكن كيف استطاعت اليابان التي تقف بمفردها بعيدا عن الغرب كثيرا لتطوير نفسها ؟

هناك عوامل متداخلة كثيرة ساعدت على ذلك . وهذه العوامل هي :

- (١) الظروف الجغرافية (٢) الاستقلال القومي (٣) استقرار المجتمع ، ويرجع الفضل في ذلك الى النجاس العرقي والعزلة القومية الطويلة
- (٤) نظام اقطاعي متطور (٥) ٢٥٠ سنة عاشتها اليابان في سلام (٦) نشر التعليم (٧) الوحدة القومية (٨) انعدام « النزعة الفلسفية » (٩) القدرة على مع الظروف (١٠) انعدام تأثير الدين (١١) الغاء الطبقات الاجتماعية .

وليست هذه القائمة مستوفاة ، ولا يهم ترتيب النقاط الست بها ،
فهي مرتبة ترتيبا عشوائيا . فكل نقطة منها تمثل قضية هامة تستحق
البحث والدراسة . وسوف أعلق على كل نقطة منها بإيجاز .

١ - كانت اليابان دولة بعيدة جدا عندما انطلق الغرب يخضع دول
العالم لسيطرته . واليابان عبارة عن جزر لا يربطها بقارة آسيا سوى
بوغاز كوريا . وهذا البوغاز عريض ، فلا يمكن للمرء السباحة فيه .
فكان من السهل على اليابان اتباع سياسة العزلة .

٢ - ترتبط النقطة الثانية بالنقطة الأولى . فاليابان واحدة من
الدول القليلة التي لم تتعرض للغزو من جانب شعب آخر ، وهي مثال
نادر من أمثلة الشعوب التي لم تتعرض للاستعمار الأجنبي قط . وتختلف
ثورة الميجي عن الثورات التي يقوم بها الناس في الدول الخاضعة
للاستعمار ، فهي ثورة داخلية وثقافية . ورغم التقاليد المحافظة ، فقد
اختفت عناصر الرفض الشامل للعلم . وحتى مؤسس دراسات الفولكلور
الياباني - ياناغيتا كونيو Yanagita Kunio - كان عالما متنورا
يحترم الفكر العلمي .

٣ - تتناول هذه النقطة والنقاط التي تليها الأحوال التي نتجت
عن العزلة القومية . وما يزال العلماء يختلفون حول تقييم سياسة العزلة .
فرغم أن تلك العزلة لم تخدم مصلحة اليابان من حيث أنها جعلت اليابان
تتخلف عن الركب ، إلا أنها حافظت على ثقافة اليابان الفريدة التي ازدهرت
في ظل تلك العزلة . وقد يثير البعض الشك حول التجانس العرقي
 لليابانيين ، ولكن لا أتحدث عن فترات جومون Jomon أو فترات
يايوي Yayoi ، وإنما أتحدث عن اليابان منذ مطلع القرن السابع عشر
وحتى الآن . وأنا أشارك نايتو كونان Naito Konan باعتقاده بأن
دراسة اليابان الحديثة لا تقتضي العودة للوراء إلى ما قبل حروب أونين
Onin (١٤٦٧ - ١٤٧٧) .

٤ - المؤسسات القطاعية لا تسير طابع العصر الحديث . ولكن
القطاع مرحلة لا بد للبلاد أن تجتازها حتى يمكن لها النهوض ، ومسايرة
طابع العصر . واعتقد أن اليابان خير مثال على ذلك . عرف حكم طوكوجاوا
نظام تقسيم العمل والنظام البيروقراطي ، وعرفت دول قليلة أخرى أنظمة
مشابهة للنظام القطاعي .

٥ - لم تعرف دولة أخرى ٢٥٠ سنة من السلام . وسمحت تلك
الفترة الطويلة لليابان أن تنهض بثقافتها ، وتصل بها إلى مستوى رفيع
جدا ، رغم فترة الركود التي عانتها .

٦ - أثناء فترة السلام الممتدة التي عاشتها البلاد ، أصبحت ال :
تيراكويا Terakoya شكلا من أشكال التعليم الشعبي . وأنا أنصح
بالرجوع الى كتاب « التعليم في عهد طوكوجاوا » للبروفسير رونالد دور
Ronald Dore لمن يريد قراءة المزيد عن هذا الموضوع . وأثناء الميجي
اشن كانت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة هي ٤٣ بالمائة للرجال
و ١٥ بالمائة للنساء . ولا توجد احصائيات تتعلق بنسبة من كانوا يعرفون
القراءة والكتابة في فرنسا عندما قامت الثورة بها . ويقال ان نسبة
الرجال الذين كانوا يقدرون على توقيع عقود الزواج هي ٤٧ بالمائة ،
وكانت نسبة القراء ٢٧ بالمائة . وكانت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة
منخفضة عن هذه الأرقام . وعند قيام الثورة في روسيا والصين ، كانت
نسبة من يعرفون القراءة والكتابة ١٥ بالمائة في البلدين . أما في الهند
فكانت النسبة ١٠ بالمائة وقت حصولها على الاستقلال . وأعتقد اني أول
من أكد على قضية معرفة القراءة والكتابة عند دراسة الثورة .

٧ - أما فيما يتعلق بالدول الأوربية ، فكانت فرنسا دولة متحدة ،
ولكن طرق الزراعة وأنظمة القانون اختلفت في شمال البلاد عنها في
الجنوب وقت قيام الثورة الفرنسية . وعرعت اليابان الوحدة الوطنية أثناء
فترة الميجي اشن . وكان اليابانيون يتحدثون لغة واحدة ، مما دعم تلك
الوحدة .

٨ - يقول ناكاي تشومين ان اليابان لم تعرف الفلسفة منذ عصورها
الأولى وحتى الآن . وربما كان مبعث هذا الاعتقاد هو أن الصراع المدني
انخفض الى أدنى حد له في اليابان ، رغم الحروب المدنية الطويلة في فترة
حكم سينجوكو Sengoku (في القرن الخامس عشر والسادس عشر) .
ونعمت البلاد بفترة من الاستقرار أثناء حكم طوكوجاوا ، فلم يكن هناك
ما يدعو الى الصراع الايديولوجي . وعرف اليابانيون برقة المشاعر منذ
عصور سحيقة ، ولكنهم لم يميلوا الى التفكير المجرد أو التصورات النظرية .
لذا اخطئ المنطق الذي عرفه الأوربيون من حياة الشعب الياباني .

والآن دعوني أقدم فقرة من كتاب تشومين Chomin بعنوان
ايتشنين يوهان Ichinen Yuhan :

عند مقارنة الشعب الياباني بالشعوب الأخرى ، نجد أنه تتوافر
اليابانيين القدرة على فهم كيفية عمل الأشياء ، كما تتوافر لديهم القدرة
على التغيير لمسايرة الزمن ، بدلا من التمسك بالأمور السابقة . لذلك لم
يعرف اليابانيون الحروب الدينية المساوية التي يفيض بها تاريخ الغرب ،
دون أن يكون هناك سبب قومي لقيامها . ونهضت اليابان أثناء الميجي اشن
بعد أن تظاهروا أبناؤها بالسيوف ، وان لم ترق دماء غزيرة . ولقد تنازل

ثلثمائة سيد اقطاعى عن أراضيهم ونفوذهم للامبراطور عن طيب خاطر .
وقد أمكنهم اتخاذ تلك الخطوة لأنهم لم يتشبسوا بالعناد . وساعدهم
ذلك عندما تحولوا عن سلوكهم التقليدى فجأة ، واتبعوا العادات والسلوك
الأوروبى ، دون أن يظهر أى تعلق بالماضى . ولكن تلك السلسلة الخلفية
قد انقلبت أحيانا الى رعونة أو تدبذب أو عدم قدرة على اتخاذ قرار .
وأدى ذلك الانحراف فى المزاج الى انعدام وجود الفلسفة أو أية مبادئ
سياسية ، كما أدى الى عدم بقاء الصراع السياسى فترات طويلة من الزمن .
ويعرف اليابانيون بالدهاء والمهارة ، ولكنهم لم يخلقوا للاتيان بالأعمال
العظيمة . وهم عمليون ، ولا يمكنهم تخطى حدود الفطرة (٢) .

وقد يكون تشومين قاسيا فى حكمه على اليابانيين . ولكن هذه الفقرة
التي أوردتها تصلح كمادة لمناقشة قضية الثقافة اليابانية . ولن أخوض
فى مزيد من التفاصيل ، ولكن تبقى لى كلمة ، وهى أن صفة العناد التي
اتسمت بها الشخصية اليابانية مرتبطة بقدر اليابانى على التكيف مع
الظروف ، التي سنشير اليها فيما بعد .

٩ - يؤكد البروفسير ساكوتا كيتشى Sakuta Keuchi ، أحد علماء
الاجتماع ، على وجود تقاليد عريقة عرفها المجتمع اليابانى . وتحض تلك
التقاليد على « تقبل كافة الظروف التي تفرض على المرء ، وتحض على تقبل
المواقف المختلفة التي يجد الانسان نفسه فيها » . وهذا هو ما يعرف
بالتكيف مع الظروف .

وتخلى رجال شيشى عن شعار : بجل الامبراطور ! واطرد البرابرة ! ،
وأصبحوا يؤيدون فتح الموانئ أثناء فترة حكم باكيوماتسو Bakumatsu
فقد عرف عن اليابانيين نزعتهم القوية الى تغيير آرائهم لتتماشى مع المواقف
المختلفة . وقد يبدو اليابانيون فى صورة من ليس لهم مبادئ يتمسكون
بها ، ولكنى أعتقد أن سرعة تكيفهم مع الظروف المحيطة بهم قد ساعدتهم
على التقدم بسرعة مذهلة فى مجالات التصنيع ، وجعلتهم ينبذون روح
المحافظة التي عرفها المجتمع الزراعى القديم .

١٠ - تجنبت اليابان المواجهات الدينية ، وان عرفت الحروب الدينية
فى العصور الوسطى . كما عرفت أساليب المواجهة عندما كان حاكم
الأقليم يطرد حاكما آخر ويستولى على أرضه . وناومت الحكومة الديانة
المسيحية أثناء حكم طوكوجاوا ، وأخضعت المذاهب البوذية لسلطتها .
ولذلك لم تقف القوة الدينية وراء من كانوا يتمسكون بالتقاليد القديمة ،
أو من كانوا يحافظون على الفكر القديم حين قاوموا جهود الحكومة للنهوض
بالبلاد ومسايرتها لطابع العصر . ومن ثم نجد أن اليابان تختلف عن
الدول الأخرى بقارة آسيا فى النواحي الدينية .

١١ - نجحت اليابان فى الغاء نظام الطبقات برمته بصورة أكثر من أية دولة أخرى ، فما زلنا نرى آثار تلك الطبقات فى عدة صور مختلفة فى الدول المتقدمة كانجلترا وفرنسا . وكانت الميجى اشن ثورة حققة ، فقد جعلت المجتمع أكثر ديناميكية ، وشجعت على بعث الروح القومية .

وهناك عدة نقاط أخرى يجب علينا تذكرها ، مثل الدأب لدى اليابانيين ، أو ما يعرف بـ "Kinben" . وكتفى بهذا لتقديم خلاصة موجزة لعهد الميجى اشن الذى يعد نقطة البداية لانطلاق المجتمع اليابانى نحو التقدم .

مراجع وملاحظات :

١ - Thomas C. Smith, "Japan's Aristocratic Revolution. Yale Review, Spring 1967; Jean-Pierre Lehmann, The Roots of Modern Japan (st. Martin's Press, New York, 1982), p. 154.

٢ - اقتبست مع القليل من التحوير من :

Kuwabara Takeo, Japan and Western Civilization, (University of Tokyo Press, Tokyo, 1983), pp. 80-81.

الاستقلال ومسايرة طابع العصر فى القرن التاسع عشر

بقلم

توياما شيجيكى Toyama Shigeki

ادارة السجلات التاريخية - يوكوهاما

اليابان

خطر الوقوع فى براثن الاستعمار :

فى منتصف القرن التاسع عشر ، كانت اليابان تخشى خطر الوقوع فى براثن الاستعمار الغربى شأنها فى ذلك شأن بقية دول آسيا . وفى عهد طوكوجاوا جاءت نهاية العزلة القومية التى فرضتها اليابان على نفسها طوال ما يزيد على قرنين من الزمان ، بعد أن استخدمت انجلترا وأمريكا دبلوماسية البوارج الحربية . وفى عام ١٨٥٨ عقدت اليابان معاهدات تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية وهولندا وروسيا وانجلترا وفرنسا (معاهدات أنسى Ansei) . وكانت تلك المعاهدات غير عادلة ، فجعلت اليابان فى مرتبة أقل من الدول التى عقدت معها المعاهدات . وبذلك تشابهت تلك المعاهدات مع معاهدات تيانتنسن Tientsin ، التى عقدتها الصين مع انجلترا ، وبقية الدول الغربية .

فى اليابان وقعت مصادمات عسكرية بين الحكام الاقطاعيين والقوى الغربية ، مثلها فى ذلك مثل بقية دول آسيا . وفى عام ١٨٦٣ ، هاجم اسطول بريطانى صغير اقطاعية ساتسوما . وفى عام ١٨٦٤ اشتركت قوات بريطانية وفرنسية وهولندية وأمريكية فى الهجوم على اقطاعية تشوشو . وبرهنت هاتان الحادثان على أن السلاح الغربى يفوق الدفاعات اليابانية بكثير . وفى الفترة من عام ١٨٦٣ وعام ١٨٧٥ ، ظلت القوات

البريطانية والفرنسية متمركزة في يوكوهاما لحماية أرواح الأجانب . واضطر الشوجون وحكام ٣٧ اقطاعية أخرى الى استخدام الارز والحرير الخام ومنتجات أخرى كضمان للحصول على القروض الأجنبية التي بلغت قيمتها ١٠ ملايين ، بفوائد مرتفعة جدا ، واستخدمت تلك القروض في الانفاق على تحديث القوة العسكرية في اليابان . وكانت تلك القروض توازي ربع الجزية السنوية التي تدفعها الاقطاعيات والأراضي الخاضعة للحاكم العسكري .

وكانت اليابان تخشى الوقوع في براثن الاستعمار بسبب ضعف قواتها العسكرية ، ولكنها نجحت من ذلك المصير بفضل عدة عوامل خارجية وأخرى داخلية . ومن أجل مزيد من الايضاح ، سأتعرض لمناقشة هذه العوامل وتلك ، كلا على حده .

العوامل الدولية :

لم تتعرض اليابان للأخطار التي تعرضت لها الدول الآسيوية الأخرى . فقد عانت تلك الدول - وعلى رأسها الصين - من ضغوط القوى الغربية . كما اختلفت اليابان عن تلك الدول في ثلاث نواح .

أولا : جات مهمة الكومادور ماثيو بيري Commodore Mathew Perry التي كلف بها لفتح اليابان بعد مضي عشر سنوات على حرب الأفيون (١٨٣٩ - ١٨٤٢) . وكان القادة الاقطاعيون يعرفون أن الهزيمة قد لحقت بالصين ، فتهبوا الى مقدار تعرض اليابان لخطر التهديد الأجنبي ، وقاموا ببعض الاستعدادات لتحاشي التعرض لذلك الخطر .

ثانيا : كانت الولايات المتحدة الأمريكية أول دولة تسعى الى اقامة روابط تجارية مع اليابان . ولم تقم بريطانيا بذلك الدور رغم تفوقها البحري والتجاري الهائل . ولم تحصل الولايات المتحدة على امتيازات أو أراض في منطقة الباسفيك أو آسيا ، فقد جاءت في المرتبة الثانية بعد انجلترا من حيث علاقاتها التجارية في آسيا . وأكدت واشنطن على أن سياستها تختلف عن سياسة لندن للتوسعية ، وأنها تنتهج سياسة اللين ولا ترمى الى التوسع . وتزايدت المسئوليات التي القيت على كاهل بريطانيا في آسيا ، فكان عليها التصدي للمقاومة الشعبية في الصين . بعد انتهاء حرب الأفيون ، والقضاء على تمرد سيبوي Sepoy في الهند عام ١٨٥٧ . لذا لم تتوفر لديها القوة العسكرية التي يمكن استخدامها ضد اليابان .

انتزعت معاهدات نيانتسن Tientsin (١٨٥٨ - ١٨٦٠) امتيازات كثيرة من الصين ، تفوق تلك الامتيازات التي انتزعتها معاهدات

أنسى Ansei من اليابان ، والتي حظرت استيراد الأفيون . واختلفت المطالب التجارية لكل من إنجلترا والولايات المتحدة ، ويرجع ذلك الاختلاف الى التنافس الشديد بين البلدين .

عندما تعرضت سانسوما وتشوشو لهجوم القوى الغربية ، واضطرت اليابان الى الاستدانة من الخارج ، ازداد الاحتلاك بين القوى الغربية بسبب التنافس بين إنجلترا وأمريكا ، ودخول إنجلترا وروسيا في « مباراة كبرى » في منطقة جنوب شرق آسيا ، والتنافس بين لندن وباريس عبر الحدود الصينية . ونظرا للعداء المتبادل بين القوى الغربية ، لم تستطع أية دولة من دول الغرب القيام بهجوم منفرد على اليابان ، كما لم تستطع تلك القوى الغربية تنسيق جهودها للحصول على امتيازات كبيرة من اليابان في عهد طوكوجاوا . ولكن من السذاجة الاعتقاد بأن ذلك التنافس بين القوى الغربية قد قلل من خطر وقوع اليابان في قبضة الاستعمار وتحويلها الى مستعمرة غربية . وكان من الممكن نشوب الحرب بين القوى الغربية من أجل استعمار اليابان ، ولكن ذلك لم يحدث لسببين :

أولا : كانت إنجلترا - التي جاء دبلوماسيوها على رأس الدبلوماسيين الأجانب في اليابان - ترى أن أسواق الهند والصين تفوق في أهميتها التجارة مع اليابان . ونظرا لأن بيع الأفيون كان محظورا في اليابان بمقتضى معاهدات أنسى ، فلم تدخل إنجلترا اليابان ضمن النظام التجاري البريطاني في آسيا ، الذي كان يعتمد على الاتجار في الأقمشة القطنية الانجليزية والقنب الهندي والشاي الصيني والحريير ، والذي عاد بأرباح وفيرة على الرأسمالية البريطانية .

ثانيا : كانت الدول الغربية تخشى المقاومة الشعبية اذا ما أقدمت على استخدام القوة العسكرية لغزو اليابان ، كما فعلت في آسيا . لذا استخدمت تلك الدول قوتها في اعتدال . وأرادت إنجلترا إنهاء الحكم الاقطاعي الذي كان يحول دون التوسع التجاري ، وأدركت أن الثورة الشعبية أو التدخل الغربي المباشر سيعمل على اعاقه نشاطها التجاري ، ففضلت تشجيع القيادات الاقطاعية التي كانت ترى ضرورة الحاجة الى ادخال الحصار الغربية والقيام « بالاصلاح التدريجي بدءا بالقمة فما دونها » .

عندما احتدم الصراع بين الشوجون طوكوجاوا وتشوشو عام ١٨٦٦ ، وقفت فرنسا بجانب حكم طوكوجاوا ، بينما وقفت بريطانيا بجانب تشوشو وسانسوما . واستغلت القوى الغربية ذلك الصراع لنيل مزيد من الحقوق ، وقل خطر وقوع اليابان في قبضة الاستعمار لسببين .

أولا : ساعد التنافس الشديد بين الدول الغربية على توازن القوى •

ثانيا : ساند الغرب - ولاسيما بريطانيا - الروح القومية لدى المصلحين • فوقف الغرب بجانب المجموعات المستنيرة في الاقطاعات المناوئة للحكام العسكريين والمجموعات الموجودة بين صفوف الحكام العسكريين ، كما أيد الغرب سياسة التغيير التدريجي •

العوامل الداخلية :

في الوقت الذي قامت فيه الفرقة البحرية بزعامة بيرى Perry بإلقاء المرساة أمام شواطئ أوراجا Uraga عام ١٨٥٣ ، كانت قوة الحكام العسكريين والاقطاعات قد اضمحلت ، وعجلت مطالب الغرب بإقامة علاقات تجارية مع اليابان بانهيار تلك القوة • وكان ذلك الانهيار مريعا • فلم تكن هناك حاجة الى التدخل الأجنبي أو التهديد باستخدام القوة لإخضاع اليابان للسيطرة الاستعمارية بعد أن انهارت العزلة القومية التي فرضتها اليابان على نفسها ، وانهارت معها الحركات المناوئة للأجانب • وزاد تحمس الغرب لفتح اليابان وإقامة علاقات تجارية معها بعد انهيار الحكم الاقطاعي • وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على انهيار الحكم الاقطاعي • وتتمثل تلك العوامل في الصراع الشعبي المناوئ للاقطاع ، وانتقاد سياسة الشوجون ، والحركات السياسية التي تزعمها أصحاب الأراضي وبعض التجار وطبقة الساموراي الأدنى رتبة • وكانت تلك الحركات السياسية تسعى الى اصلاح السياسة التي اتبعتها الحكام العسكريون •

الاحتجاج الشعبي :

كان المحصول قليلا في عام ١٨٣٦ ، وفي عام ١٩٦٦ ، قل المحصول. بعد أن حارب الشوجون تشوشو • وشهدت البلاد انتفاضة الفلاحين آنذاك • فمنذ عام ١٨٣٦ اشتد صراع الفلاحين ، واشترك فيه كثيرون من مختلف قطاعات الشعب • ولم يقم الفلاحون بتلك الثورات لمجرد المطالبة بخفض الاتاة السنوية التي كانوا يدفعونها للسلطة الاقطاعية ، بل للمطالبة بعزل الموظفين الفاسدين في القرى • وقاموا بالاحتجاجات لمطالبة أصحاب الأراضي بتخفيض ايجار الأراضي ، ومطالبة المرابين بتأجيل دفع أقساط القروض • وقام الفقراء بأعمال الشغب في أوساكا Osaka واينو Edo وبعض المدن الأخرى لخفض أسعار الأرز • وقام المتظاهرون بهدم منازل التجار أو احراق مخازن الغلال في كثير من الأحيان •

واتسع نطاق الاحتجاجات الشعبية وتعددت مطالب الناس ، كما زاد عدد الذين شاركوا في أعمال العنف وتحطيم الممتلكات في الستينات من القرن التاسع عشر . وفي عام ١٨٦٦ ، اقترنت أعمال العنف بثورات الفلاحين ، فسادت الاضطرابات بعض المناطق ، وفقد السادة الاقطاعيون سيطرتهم على بعض المناطق بصورة مؤقتة - ورفع بعض المعارضين شعارات تنادي « بالاصلاح الشامل » ، Yonaloshi ، وبدأوا يدركون حاجة البلاد الى التغيير الاجتماعي الشامل .

ولم يكن للصراع الشعبي تنظيمات ثابتة في فترة باكوماتسو Bakumatsu ، وكانت الثورات الشعبية متفرقة ، واقتصرت المطالبة « بالاصلاح الشامل » على عزل الموظفين الفاسدين بالقرى ووضع حدا لسوء المعاملة والامتهانات على المستوى المحلي . فلم تكن هناك خطة عامة للتغيير الشامل بكافة أنحاء البلاد ، بل كان التفكير فيما يجب ان يحدث في الغد يشغل الأذهان . ولكن لا يجب أن ننسى أن ذلك الصراع الشعبي قد لعب دورا حاسما في اسقاط الحكام العسكريين وفي انهيار حكم الاقطاعيات . وادركت طبقة الساموراي أن نشوب الحرب مع الغرب سيدفع الجماهير الى الثورة والقضاء على سيطرة الحكام العسكريين والسادة الاقطاعيين ، أي « لقضاء على أصل الشجرة وفروعها » . ودفع ذلك التهديد طبقة الساموراي الى « اصلاح الحكم الاقطاعي » .

التجارة :

أدت تجارة اليابان مع الغرب الرأسمالي الى اصابة الصناعة بالضرر ، كما اضطربت قنوات التوزيع بالبلاد . وتدفقت المنسوجات القطنية الرخيصة ذات الجودة العالية على البلاد ، فكان ذلك ضربة قوية لصناعة المنسوجات المتقدمة في اليابان ، وأدى تصدير الحرير الخام الى ارتفاع الأسعار ونقص الصناع المحليين ، كما انخفض انتاج الحرير الطبيعي .

ارتفعت أسعار السلع ارتفاعا جنونيا عندما فتحت اليابان موانئها بمقتضى المعاهدات التي عقدها مع الدول الأجنبية . كما ساهم خطر نشوب الحرب في ارتفاع الأسعار ، فعم الحزن أرجاء البلاد . وفي عام ١٨٦٦ ، اتسع نطاق الثورة في القرى الجبلية الواقعة غرب ايدو Edo (طوكيو فيما بعد) بعد المطالبة بانخفاض أسعار الأرض وعودة الأراضي المروونة . وطالب المعارضون بوقف التجارة الخارجية في يوكوهاما ، وهاجموا تجار الحرير الخام الذين باعوا الحرير للأجانب .

لم تكن معارضة التجارة مع الأجانب هي القوة المحركة التي دفعت الفلاحين الى الثورة . وتعرضت الصناعات المحلية للضرر ، ولكنها لم تصب

بالضرر الكامل ، كما حدث لصناعة المنسوجات القطنية في الهند والصين . وسيطرة تجار الجملة بمدينة نتي ايدو وأوساكا على نظام التوزيع ، وتمتع أولئك التجار بتأييد الحكومة لها . وبعد انهيار ذلك النظام قام التجار المحليون بالقرى بتوزيع البضائع . وتزايد الطلب على تصدير السلع (الحرير الخام والشاي) ، مما ساعد على زيادة الانتاج الاجمالي ونمو الصناعات الريفية والتصنيع . واستخدم الصناع المحليون خبوط القطن المستورد في صنع الأقمشة ، حتى يستطيعوا التكيف مع التحديات التي تفرضها المنتجات الأجنبية ، كما قاموا بتشجيع الانتاج للوفاء بالمتطلبات الجديدة .

وبذلك استطاع اقتصاد اليابان مواجهة الآثار المترتبة على التجارة الخارجية ، بعد أن شهدت البلاد فترة من الاضطرابات نتيجة فتح الموانئ . كما استفادت من تلك الاضطرابات واتخذت منها قاعدة انطلاق ، فانطلقت تقييم علاقات اقتصادية رأسمالية . ونما اقتصاد اليابان بفضل التوسع الذي كانت الصناعات الريفية قد شهدته وزيادة انتاج السلع التي كانت قد تحققت قبل أن تقوم اليابان بفتح موانئها . ولكن انعدام الرقابة على التعريفية الجمركية وسيطرة التجار الأجانب على حركة التجارة ، قد أعاق تشكيل اقتصاد رأسمالي ، وقيد أنشطة الصناع والتجار المحليين ، وحال دون القيام بالاصلاحات التي تحتاجها قنوات التوزيع .

العلم والتكنولوجيا :

ظلت التكنولوجيا والعلوم الغربية تتسرب الى داخل البلاد حتى أثناء العزلة القومية التي فرضتها البلاد على نفسها طوال قرون طويلة ، ويرجع الفضل في ذلك الى التجارة مع هولندا في مدينة نجازاكي اليابانية . وفام اليابانيون الذين اكتسبوا اللغة الهولندية أو المعارف الغربية ، بنشر معارفهم ، وإن اقتصر دراستهم للثقافة الغربية على الطب والفلك ، وفي السنوات الأخيرة من حكم الشوجون ، على العلوم العسكرية . ونظرا لأن معظمهم قد انخرطوا في خدمة الحكام العسكريين والاقطاعيات ، فلم يكن لدى الكنبرين منهم نزعات مناهضة للحكم الاقطاعي ، ولم يكونوا من المنقذين المستنيرين الذين شاركوا الشعب في نضاله ضد الحكم الاقطاعي .

نرك أولئك الرواد الذين تلقوا تعليمهم في الغرب أثمرهم داخل طبقة الساموراي ، وساعدوا على ظهور فريق من المصلحين المستنيرين في الحكومة المركزية وحكومات الأقاليم . وفي منتصف الستينات من القرن التاسع عشر ، أدرك قادة طبقة الساموراي التفوق العسكري في الغرب ، وضرورة الحاجة الى تحديث أسلحتهم وتنظيم جيشهم ، وحاولوا اكتساب المزيد من

الثقافة الغربية ، وفي الوقت الذى تطلب فيه ذلك الأمر انفتاح اليابان على العالم واقامة علاقات مع الدول الأجنبية ، كانت اليابان تهدف الى النهوض باستعدادها العسكرى .

الاقطاع :

أدى تدهور الحكم الاقطاعى الى نضوب موارد الشوجون وموارد الاقطاعيات ، ولم تكن الاستعدادات العسكرية كافية . وقد أقر الاقطاعيون سياسة العداء للأجانب ، وعدم فتح البلاد لهم ، نظرا لأن العزلة القومية كانت أول خط دفاعى للبلاد ، وقد رأوا أن شعار : اطرّدوا البرابرة ! من شأنه دعم سيظرتهم . ولكن نقص الموارد وانهيار الروح المعنوية لدى طبقة الساموراي جعل القيادة تتشكك فى قدرة البلاد على طرد الأجانب . وكان لدى طبقة الساموراي رغبة خفية فى تحاشى الحرب مع الغرب . ورغم سيطرة الحركات الوطنية العاطفية المعادية للأجانب على الأوساط السياسية فى عامى ١٩٦٢ و ١٨٦٣ ، فقد زاد معدل التجارة وازداد الاتصال بدول الغرب للحصول على السلاح والمشورة العسكرية . وظلت اليابان تنتهج سياسة الانفتاح .

فى أوائل الستينات من القرن التاسع عشر ، استغلت الزمرة المعادية للحكم العسكرى شعار « اطرّدوا البرابرة » لاضعاف سيطرة طوكو جاوا . وفى عام ١٨٦٦ ، تشكلت حركة جوى Jōi لقلب نظام الحكم العسكرى نفسه . ولاقى ذلك التحول قبولا لدى القوى الغربية ، ومن بينها انجلترا التى كانت تعمل على تنوير تلك الزمرة المعادية للحكم العسكرى . وتضاربت أفكار تلك الزمرة ، فكان فريق منها يرغب فى إسقاط الحكم العسكرى ، فى حين رأى فريق آخر الاكتفاء بإصلاح ذلك الحكم ودعم قوته . وضم الفريق الأخير كثيرين من مؤيدى « اتحاد البلاط والحكام العسكريين » (Kobu gattai) وضرورة استقالة الحاكم العسكرى كجزء من التسوية السياسية .

ومع ذلك فقد اتفقوا على ضرورة الإسراع بتوحيد البلاد حتى تصبح قوة اقلاعة متماسكة ، باستطاعتها القضاء على الصراع الشعبى وتحديث القوة العسكرية ، وكانت هذه الاجراءات كفيفة أيضا بهادنة الغرب .

استعدادة السلطة :

نجحت المييجى اشن لأن التغيرات العظيمة التى آتى بها نظام باكوهان قد تحققت بسرعة مذهلة . وتتمثل تلك التغيرات العظيمة فى استعدادة

الحكم الامبراطورى عام ١٨٦٨ ، والتنازل عن الحقوق فى الاقطاعيات للحكومة الجديدة عام ١٨٦٩ وانشاء نظام الولايات عام ١٨١٧ . وأثناء تلك الفترة الحرجة تم احتواء الحرب الأهلية التى عرفت باسم بوشن Bashin ، التى قادها السادة الاقطاعيون المتمردون الذين رفضوا الخضوع للسلطة . وعملت الحكومة على تجنب الاحتكاك بالقوى الغربية الا فى أضيق الحدود . وكانت اليابان ملزمة بفتح البلاد بصورة لا يمكن التراجع فيها .

تعد فكرة الميجى اشن نمره التفاعل بين القوة المحلية والقوة الدولية ، وكان العنصر الحاسم هو طبيعة نظام باكوهان التى اختلفت عن الاقطاع فى غرب أوروبا وعن نظام الحكم المركزى فى دول أسيا القديمة .

وتمثلت نقطة ضعف نظام طوكوجاوا الحاكم فى عدم قدرة الشواجنة أو السادة الاقطاعيين على التعامل مع أزمة الاقطاع بعد أن اشتدت . كان الحاكم العسكرى سيدا مرهوب الجانب ، وكانت اقطاعيته تمثل ربع مساحة اليابان ، ولكن أراضيه لم تكن متجاورة ، بل كانت متفرقة ومتناثرة فى شتى أنحاء البلاد . فلم يستطع اخماد الكفاح الشعبى الذى أخذ يمتد عبر مناطق شاسعة ، كما لم يتمكن من السيطرة على الاقتصاد أو شبكة الأسواق الواسعة :

اعتمد الحكام العسكريون على تعاون قادة الاقطاعيات لبسط سلطانهم على أراضيه . وكان أولئك القادة خاضعين لسيطرة الحكومة ومقرها مدينة ايدو . وكانت أراضى السادة الاقطاعيين ، خصوصا ما كان منها صغيرا أو متوسط المساحة ، متفرقة ومتباعدة عن بعضها البعض . وكانت كل اقطاعية فى حاجة الى مبالغ طائلة من المال لدفع أجور الصاملين والموظفين الذين يتولون شئون الادارة بها ، فاضطرت الاقطاعية الى بيع الاتاوة السنوية من الأرز فى الأسواق المركزية بمدينة أوساكا أو مدينة ايدو للحصول على المال اللازم ، ونظرا لأن تلك الأسواق ، وبقية وسائل النقل الأخرى والمراكز التجارية ، كانت تقع بالمناطق الخاضعة للشواجنة ، فقد كانت تلك الاقطاعيات تعتمد على حماية الشوجون .

ولم يكن لمعظم المزارعين الاقطاعيين التابعين للشوجون أو للسيد الاقطاعى أراضى (اقطاعيات) خاصة بهم ، فكانوا يتقاضون رواتب ، ويتطفلون على سادتهم ، ونظرا للآزمات المالية المزمنة التى عانى منها الشواجنة والاقطاعيات ، لم ترغب الاقطاعيات فى أن تبقى على نفسها ككيانات مستقلة عند سقوط حكم طوكوجاوا . وكان السادة الاقطاعيون مستعدين للمعاونة فى اقامة نظام مركزى جديد يحل فيه الامبراطور محل

الشوجون . وعندما وافقت حكومة الميجي الجديدة على تولي مسؤولية ديون الاقطاعات وضمن الفوائد المالية للسادة الاقطاعيين وطبقة الساموراي ذات الرتب العالية ، وذلك عن طريق تحويل المزايا التي كانوا يحصلون عليها الى سندات حكومية ، فقد وافقوا على الغاء نظام الاقطاعات على الفور .

وواقع الأمر أن العالم شهد ولادة دولة موحدة دون ألم ، فلم تمض ثلاث سنوات الا واستتب الأمر لحكومة الميجي المركزية الجديدة ، وان وصفها فوكوزاوا يوكيتشي Fukuzawa Yukichi بأنها « حكومة وليست أمة » . وكان على تلك القيام بمهمتين عسيرتين ، وهما : استرضاء طبقة الساموراي ذات المرتبة الأدنى التي لم تعد تحصل على رواتب ، وخلق مواطنين يؤيدون الحكومة الجديدة .

ارساء أسس التحديث :

أرسلت الحكومة بعثة أواكورا الى أوروبا وأمريكا للتفاوض بشأن المعاهدات غير العادلة التي عقدتها اليابان مع دول الغرب ، وذلك عقب الغاء نظام الاقطاعات ووضع نظام الولايات عام ١٨٧١ . وكانت تلك البعثة تضم كثيرين من كبار المسئولين ، وقامت بدراسة أحوال الغرب . وفي العام التالي وضعت الحكومة نظاما جديدا للتعليم . وفي عام ١٨٧٣ أصدرت قانون التجنيد الاجباري وقانون ضريبة الأطنان بعد تعديله ، كما وضعت نظاما مصرفيا ، ووضعت الاطار القانوني للمشروعات المشتركة، ونفذت سياسات ترمي الى تشجيع الصناعة وأقامت المصانع التي تعتمد على الميكنة والتي تديرها الدولة ، وأدخلت المؤسسات الأجنبية والتكنولوجيا والثقافة ، رغم تفوق المجتمعات الغربية على اليابان بعدة ملحوظة . وكان هناك فرق شاسع بين العصرية السطحية لهذه النظم المنقولة والمنهج الاستبدادي القديم الذي عملت في اطاره تلك النظم ، ونجحت الحكومة في سد تلك الفجوة ببراعة .

لم تكن الحكومة الامبراطورية تجميعا موحدا للقوى المتفرقة التي تمتع بها السادة الاقطاعيون من قبل . ولكن الزمرة التي عقدت العزم على الاطاحة بنظام الشوجون عملت على ترابط الجهاز الحكومي الجديد . وكان المسئولون في ساتسوما وتشوشو ، وبعض الاقطاعات الأخرى ، هم وحدهم الذين وقفوا بجانب الحكومة . وكانت تلك الحكومة الجديدة في حاجة الى سبب يبرر وجودها ، فرفعت شعار « الحضارة والتنوير » bun mei kaika ، وقالت انه اذا ما أرادت اليابان منافسة القوى الغربية ، فعليها ادخال المؤسسات والثقافة التي كانت بمثابة القاعدة التي

بنى عليها الغرب قوته وحقق بها رخاءه ، وقد فرضت سيطرتها على كافة أنحاء البلاد بعد أن نفذت خطط الإصلاح بالقوة . ولكن تلك الإصلاحات قد انطوت على كثير من المتاعب . ووضعت نظام التعليم الأساسى « الاجبارى » . واستشهدت الحكومة المركزية بالمبدأ العصرى الذى نادى باستقلال التعليم والمعرفة ، لارغام الأقاليم على بناء وفتح المدارس الأساسية ، وتجاهل قانون التجنيد الاجبارى الامتيازات التى كانت تتمتع بها الطبقة الاقطاعية السابقة ، وفرض التجنيد الاجبارى على جميع الذكور القادرين على حمل السلاح ، ولكن أشكال الاستثناءات قد تعددت ، فكان يترك الابن الأول ، ويستدعى الابن الثانى والثالث من أبناء الأسرة الفقيرة . وكانت الخدمة العسكرية أشبه بنظام السخرة الذى أتبعه السادة الاقطاعيون مع الفلاحين فى ظل النظام الاقطاعى السابق .

حرصت ضريبة الأطيان الجديدة على عدم تحول السادة الاقطاعيين الى أصحاب أراض ، واعترفت بحق المزارعين فى امتلاك الأراضى . وأظهرت تلك التغيرات مدى التطور الذى طرأ على اقتصاد الريف أثناء حكم باكونا تسو . ولم تكن ضريبة الأطيان الجديدة مجرد نسخة كربونية من النظم الغربية . فلم تتحدد قيمة الضريبة على أساس دخل الأسرة الحقيقى ذلك النظام الذى اتبعته قوانين الزراعة فى الدول الرأسمالية . وكانت طرق الضريبة عشوائية ، وأصرت الحكومة على ألا يقل الإيراد الضريبى عن مجموع الجزية السنوية فى عهد الشوجون . وتحددت حصة الضريبة التى تدفعها كل ولاية ، كما تم تقييم نصيب كل قرية من الضريبة، وتحديد الضريبة التى تدفعها كل أسرة من أسر المزارعين ، وذلك حتى يسهل تحديد اجمالى الضريبة المحلية .

ونظرا للمعارضة الشعبية القوية لنظام المدارس والتجنيد الاجبارى وضريبة الأطيان الجديدة ، لم تتحقق الأهداف المنشودة . كما فشلت سياسة الحكومة للنهوض بالصناعة ، وثبت عدم ملائمة تكنولوجيا الغرب الزراعية ومشاريع تربية الماشية لظروف الزراعة فى اليابان . ورغم أن المصانع النموذجية التى تديرها الحكومة والورش التى أسسها الساموراي باستخدام المساعدات الحكومية قد نشرت التكنولوجيا الحديثة ، عجزت الكثير من الصناعات عن الوفاء بحاجة البلاد - وان استثنينا الصناعات الحربية من ذلك - فتحولت تلك الصناعات الى الملكية الخاصة أو أغلقت .

وباءت محاولات الصناعة الخاصة لميكنة الانتاج بالفشل ، وعاقبت ضريبة الأطيان الفادحة نمو الزراعة والصناعة المحلية . وكانت سياسة النهوض بالصناعة تميل الى تأييد مصالح طبقة الساموراي السابقة

ونحى مصالح رجال الأعمال الذين كانت تربطهم بالحكومة علاقات حميمة .

وكان بمقدور الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات فى أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات تغيير النهج السياسى الذى سارت عليه حكومة الميجي اشن . وقد اتخذت تلك الحركات صورة احتجاجات بدأتها طبقة الساموراي السابقة التى استخدمت المفاهيم السياسية الغربية - كالدستورية والحقوق الطبيعية والرأى العام - لمكافحة التعسف الحكومى ، وفى عامى ١٨٨٠ و ١٨٨١ تحول الاحتجاج الى حركة شعبية تضم ٣٠٠٠٠٠ من أصحاب الأراضى وأصحاب الصناعة والمزارعين . فقد تخطى الجهاد الشعبى ثورات الفلاحين المحدودة وأعمال الشغب التى عرفتها المدن فى الماضى ، واتسم ذلك الجهاد بطابع التنظيم فى كافة أنحاء البلاد ، ووضع برنامج قومى له . وكانت أهداف الحركات الشعبية تتلخص فى تشكيل برلمان وطنى ، وخفض ضريبة الأطينان ، وإعادة النظر فى المعاهدات غير العادلة ، والحكم المحلى الذاتى . واستفادت البلاد من تلك الحركات . فقد درس المشاركون فيها الفكر الديموقراطى وأساليب الانتاج الحديثة وغيرها ، وقاموا بنشر الأفكار الجديدة من خلال الكتب والمحاضرات . ولكن تلك الحركات قد منيت بالهزيمة عام ١٨٨٤ بسبب الشقاق الداخلى وسياسة القوة التى اتبعتها الحكومة . ورغم قصر مدة تلك الحركات الشعبية ، فقد كان لها نتائج هامة :

أولا : أرغمت موجة الاحتجاج السلطات الحاكمة على منح الدستور وعقد الجمعية الوطنية . وسمحت الحكومة البيروقراطية بوضع نظام دستورى للبلاد حتى تغلب على مقاومة رجال الساموراي السابقين ، والفوز بتأييد الشعب . ولولا ذلك لتأخر اتخاذ تلك الاجراءات ، وكان الدستور أكثر تحفظا .

ثانيا : حالت تلك الحركات دون زيادة ضريبة الأطينان عام ١٨٨٠ ، مما ساعد المزارعين على التقاط أنفاسهم لبعض الوقت ولا سيما مع ارتفاع أسعار المنتجات الزراعية فى تلك الفترة بسبب التضخم الناتج عن فشل السياسة المالية للحكومة . لذلك لم يعد المزارعون يشعرون بالعبء الثقيل عند قيامهم بدفع ضريبة الأطينان . وزاد انتاج السلع الريفية ، كما زاد التصنيع بالقرية . وبعد نصنيف سكان القرية فى طبقات ، تراكم رأس المال لدى أصحاب الأراضى ، فى الوقت الذى تضاعف فيه عدد الفلاحين الأجراء المعدمين . وأصبحت ضريبة الأطينان الجديدة الأساس الذى قامت عليه الرأسمالية فى الأعوام التى شهدت تصاعد الحركات الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات .

ثالثا : انتشرت الأفكار والأساليب الغربية بين أهل المدن ، وكانت تلك الأفكار تحظى بتأييد الحكومة . ثم مالبث أن قام سكان المدن بنشرها فى القرى . وزاد اقبال الشباب على التعليم والالتحاق بالأكاديميات الخاصة والمدرس التى لا تخضع لنظام المدارس الحكومية العامة . وقد ارتفع الوعى السياسى لدى طلاب تلك المدارس ، ومن الانصاف القول بأن الوعى بمفهوم المواطنة المعاصر قد بدأ مع الحركات الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات .

وبعد أن لحقت الهزيمة بالحركات الشعبية التى طالبت بالحقوق والحريات ، وضعت الحكومة الدستور عام ١٨٨٩ ، وافتتحت « البرلمان » Diet عام ١٨٩٠ . ومنح الدستور سلطات واسعة ومستقلة للإمبراطور ، لا تنقيد بالتشريع ، وأكد على المكانة الرفيعة التى يتمتع بها العسكريون والبيروقراطيون . وكانت الحكومة فى وضع يؤهلها لتقبل مثل تلك السياسات الدستورية ، فبدأت فى صياغة القوانين المعاصرة الجديدة . وساعد إلغاء المقاطعات واستبدالها بنظام الولايات haikan chicken على ظهور اليابان بمظهر الدولة الموحدة ، فجاء الدستور ليجعل اليابان دولة موحدة بحق . ولكن الأمر استغرق عدة سنوات قبل أن تتمكن الحكومة من تنفيذ السياسات الدستورية التى عازمت على تنفيذها .

شكلت الأحزاب السياسية المناوئة للحكومة الأغلبية فى مجلس النواب ، ودخلت فى صدام مباشر مع الحكومة من أجل تخفيض ضريبة الأتبان وخفض الميزانية . وكانت الميزانية تتضمن بنودا للانفاق المتزايد على التسليح . وفى بادئ الأمر ، أيدت الأحزاب السياسية السياسة العسكرية التى انتهجتها الحكومة عام ١٨٩٤ ، عندما نشبت الحرب بين اليابان والصين ، حيث استعانت الحكومة البيروقراطية بتلك الأحزاب للحصول على تأييد أصحاب الأراضى والفتات الرأسمالية .

شهدت البلاد نمو الرأسمالية بشكل مطرد فى التسعينات من القرن التاسع عشر وخططت الصناعات الريفية خطوات واسعة بعد فشل جهود الحكومة لدعم الصناعة الحديثة فى سنوات الميجى اشن الأولى ، وكانت الحركات الشعبية التى طالبت بالحقوق ومنح الحريات قد بلغت ذروتها آنذاك . وأقام كبار الرأسماليين ، ممن كانوا على علاقة وثيقة بالحكومة ، مصانع ضخمة للغزل حالت دون نمو المصانع الصغيرة ، واندمج النظام الطفيلى للمالك الأرض فى هذا النمط من الرأسمالية ، وأصبح عنصرا لا غنى عنه من عناصرها . واعتمدت الصناعة الحديثة فى اليابان على دعائمتين ، وهما :

١ - انتاج الأسلحة تحت اشراف الدولة .

٢ - القطاع الخاص الذى قام بصناعة المنسوجات . واتجهت تلك المنسوجات الى أسواق الصين ومناطق أخرى من آسيا . وشجعت الحرب الصينية اليابانية (١٨٩٤ - ١٨٩٥) البلاد على الاتجاه نحو الرأسمالية .

التزم الناس بنظام التعليم والتجنيد الاجبارى فى التسعينات . وتراوحت نسبة الاطفال بالمدراس الأساسية ما بين ٣٠ و ٤٠ بالمائة لسنوات عديدة . وارتفعت تلك النسبة ببطء بعد اعلان الدستور ، ثم ارتفعت بسرعة بعد أن هزمت اليابان الصين . وأخيرا اقتربت تلك النسبة من ٩٠ بالمائة بعد الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) . كما أن نمو الرأسمالية قد ساهم فى زيادة نسبة الاطفال الذين التحقوا بالمدراس . كما ساهمت عوامل أخرى فى زيادة تلك النسبة ، منها نمو الروح القومية بعد أن خاضت اليابان غمار حربين مع الصين وروسيا ، واحكام سيطرة الحكومة على نظم التعليم .

عرفت قوانين التجنيد الاجبارى المبكرة عدة استثناءات ، ولكن أصبح شعار « لتحمل الأمة السلاح » حقيقة واقعة بعد أن كان شعارا أجوف لفترة طويلة من الزمن ، عندما أعادت الحكومة النظر فى قانون التجنيد عام ١٨٨٩ ، وألغت كافة الاستثناءات . وكان ذلك الاصلاح جزءا من خطة تهدف الى دعم القوات المسلحة حتى تتمكن البلاد من خوض غمار الحروب خارج حدود البلاد . وأقبل الشباب على أداء الخدمة العسكرية ، بعد أن كانوا يمتعضون منها . ويرجع الفضل فى ذلك الى نظم التعليم التى غرست الروح الوطنية فى عقولهم ، ومنحت حكومة الميجي اشن حق الانتخاب المحدود للناس ، وبذلك سمحت لهم بالاشتراك المحدود فى سياسة البلاد .

وضعت حكومة الميجي اشن الخطوط العريضة لخطة تهدف الى النهوض بالبلاد ومسايرتها لطابع العصر . واتضحت معالم تلك الخطة أثناء الحرب الصينية اليابانية . وكانت الرأسمالية العالمية على أعتاب المرحلة الامبريالية ، وقد بدأت الامبريالية اليابانية تتشكل فى تلك السنين . وعندما انفتحت اليابان على الغرب ، اتخذ العداء للأجانب طابعا عسكريا . وكانت القوة العسكرية تنتهج سياسة العدوان تجاه الدول الأجنبية ، وذلك حتى تتمكن من النهوض بالبلاد ودعم قوتها .

ارتبطت الرغبة فى اقامة دولة قوية موحدة بالسياسات العسكرية دائما . وتقدمت الحكومة باقتراح لغزو كوريا فى بداية السبعينات من القرن التاسع عشر ، واتخذت من ذلك الاقتراح ذريعة لاستقطاب حماس

طبقة الساموراي السابقة المناوئة للحكومة . وكشف هذا الاقتراح عن مدى سغلغل الأيديولوجية العدوانية بين كبار القادة الذين ظلوا يشعرون بخطر الهجوم الغربى على اليابان منذ بداية الخمسينات من ذلك القرن . وأيد الهجوم على كوريا نفس الساسسة الذين سعوا الى اقامة حضارة جديدة بالبلاد ، وأدخلوا نظاما جديدا للتعليم ، وأجروا اصلاحات شاملة ، وذلك لأن مفهوم النهوض بالبلاد قد ارتبط لديهم بضرورة الحاجة الى تقوية الروح العسكرية .

وفى الثمانينات ، زادت التوسعات التى قامت بها انجلترا وفرنسا وروسيا فى دول آسيا عن طريق العدوان . وأدت أعمال السلب التى قامت بها الدول الغربية الى نمو الروح الوطنية بدول آسيا . وعانت الصين عدة هزائم عسكرية عام ١٨٨٤ أثناء الحرب الفرنسية الصينية (١٨٨٣ - ١٨٨٥) فى نزاعهما على فيتنام . وفى كوريا قام المصلحون المؤيدون لليابان بانقلاب ضد المحافظين المؤيدين للصين . وتدخلت الصين وانتهى الانقلاب بالفشل . وقد أصاب الوضع المتوتر فى آسيا الحرية وحركة الحقوق الشعبية فى اليابان بالضرر ، اذ ساندت بعض الشخصيات البارزة أعمال العنف فى كوريا ، وكان ذلك من أسباب اخفاقها .

وقد استفادت الحكومة من تلك الازمات لزيادة قدرة اليابان العسكرية تحسبا لخوض الحرب ضد الصين . وقد اتخذت قرار الهجوم على المملكة الوسطى (فى الصين) حين رأت امكانية الاستفادة من التنافس بين القوى الاستعمارية والحصول على تأييد انجلترا . ودخلت اليابان النادى الامبريالى بعد انتهاء الحرب الصينية اليابانية ، وانضمت الى السباق الاستعمارى لاقتسام الكعكة الصينية . وحققته الحكومة بعض الانجازات عقب انتهاء الحرب مع الصين (١٨٩٩) ، فقامت باعادة صياغة المعاهدات غير العادلة، وألغت المحاكم القنصلية والمستوطنات الأجنبية التى كان الشعب والحكومة يرغبان فى إلغاؤها منذ تولى حكومة الميجى اشن الحكم . كما استعادت اليابان حقها فى وضع التعريفة الجمركية عام ١٩١١ ، بعد انتهاء الحرب الروسية اليابانية . وبذلك أصبحت اليابان الامبريالية فى مرتبة متساوية مع الغرب .

الغائمة :

استغرق تحول اليابان من الاقطاع الى الرأسمالية أربعين عاما . وقد تأثرت عملية التحول بعدة عوامل خارجية ، من بينها الوضع الدولى الذى كان يندر بالسوء . فقد كان خطر الاستعمار يهدق دائما بالبلاد ، وتفاوتت درجة الاحساس بذلك الخطر بين القوة والضعف ، فزادت فى

الخمسينات وقلت فى التسعينات ، وان قل الاحساس بذلك الخطر فى اليابان عنه فى بقية دول آسيا ، الا أنه ظل محدقا بها . وبذلك يجب علينا وضع العوامل الخارجية فى الاعتبار عند تحليل العوامل التى مكنت اليابان من مسيطرة طابع العصر والحفاظ على استقلالها .

إذا ما تدبرنا المتغيرات التى طرأت على الرأسمالية العالمية والسياسات الآسيوية للبلدان الرأسمالية ، فسنرى أن العامل الدولى كان من المتعذر له أن يلعب دورا حتميا ، ومع ذلك فقد واجه قادة اليابان وشعبها الكثير من العناصر والمواقف المفاجئة التى لم يكن فى وسعهم حسابها أو توقعها ولا سيما فى السنوات الأخيرة من عهد طوكوجاوا العسكرى ، ولكن عنصرى الزمن والموقع الجغرافى كانا فى مصلحة اليابان :

١ - فقد تعرضت اليابان للضغوط الأجنبية بعد مضي عشر سنوات على تعرض الصين للغزو الغربى .

٢ - تقع اليابان فى شمال شرق قارة آسيا ، فكانت بعيدة عن الأراضي التى احتلتها بريطانيا .

٣ - كانت بريطانيا تواجه متاعب كافية أمام الحركات الوطنية . المعادلة للاستعمار فى كثير من دول آسيا .

بعد أن تصدت اليابان للضغوط الخارجية ، وحولت المنافسة بين القوى الخارجية لصالحها ، استبدلت سياسة العزلة القومية ومعاداة الأجانب بسياسة الانفتاح . وقد أتت هذه السياسة بأكملها تدريجيا تطرا لأنها تمت بطريقة المحاولة والخطأ وذلك لوجود عامل داخلى تمثل فى متابعة سياسة تصفية الاقطاع . ولعب الجهاد الشعبى المناوئ للاقطاع دورا بارزا فى تحطيم النظام القديم . وبالرغم من أن قادة اكفاء جدد قد خرجوا من صفوف طبقة الساموراي الدنيا فى عهد باكوماتسو Bakumatsu ، الا أن هؤلاء أدركوا أن النظام الاقطاعى يواجه محنة بعد أن انحصر بين فكى رضى الغضب الشعبى وسياسة البوارج الحربية . فكان على الزعماء الجدد الذين صهرتهم بوتقة التحدى وصبتهم فى قالب صلب ، تشكيل سلطة اقطاعية قوية قادرة على القضاء على ثورات الفلاحين والتصدى للغرب .

تم الغاء نظام بوكوهان Bakuhan ، ولم يصحب ذلك انتشار موجة التمرد على نطاق واسع ، مما ساعد على عدم تعرض البلاد لخطر الاستعمار (وكانت اليابان فى مرتبة الدولة الخاضعة بسبب المعاهدات غير العادلة التى عقدها مع الغرب) . وساعد انتصار اليابان فى حرب بوشن Boshin (١٨٦٨ - ١٨٦٩) على الحد من انتشار النضال

الشعبي ، وعقب ذلك تولى بيروقراطيو الحكومة الجديدة زمام المبادرة في الجهود المبذولة لتحقيق استقلال البلاد والنهوض بها . وكان من بين الأولويات التي أعطتها حكومة الميجي اشن اهتمامها دعم نظام الحكم الذي يسيطر عليه الامبراطور وطبقة الاشراف (النبلاء والسادة الاقطاعيون السابقون) والبيروقراطيون ، وتطوير دفاعات البلاد . وقد ضحت الحكومة بالتغيرات الطارئة في العلاقات الاقطاعية التي تستند عليها بنية المجتمع وبتحسين مستويات معيشة المواطنين . ورغم اعتراف الحكومة بحق الفلاحين في امتلاك الاراضي ، الا انهم اضطروا الى دفع نفس قيمة ضريبة الاطيان القادحة والضريبة المحلية التي كانوا يدفعونها أثناء حكم طوكوجاوا . وكانت الحركات التي قام بها الشعب للمطالبة بالحقوق الشعبية والحريات تمثل رد فعل للاستغلال الجديد الذي عانى منه الشعب ، ولكن سرعان ما قضت الحكومة على تلك الحركات .

فشلت تلك الحركات في تحقيق اهدافها الرئيسية التي تمثلت في .

١ - النهوض بالقوة الاقتصادية للمنتجين والتوسع في الأسواق المحلية وتشكيل القاعدة الرأسمالية بما يتماشى مع مصالحها .

٢ - اصلاح الحكومة البيروقراطية ، وكبح جماح النزعة العسكرية الناشئة باخضاعها للرأى العام .

٣ - خلق حس ديموقراطى وادراك لمفهوم الشعب فى الفكر الحديث . وعندما بدأت القوى الغربية تنتهج السياسة الامبريالية فى الثمانينات من القرن التاسع عشر ، لم تكن أمام الحركات الشعبية - التي كانت تسعى لارساء دعائم الديموقراطية - فرصة كبيرة للنجاح .

ارتبطت سياسة الحكومة للنهوض بالبلاد بالنزعة العسكرية ، وحققت تلك السياسة قدرا كبيرا من النجاح فى التسعينات ، وكانت القاعدة التي أرسى عليها اليابان قوتها الامبريالية . أرادت القوى الغربية لليابان أن تتحول الى قوة امبريالية حتى تتمكن من احكام قبضتها على الصين . وكانت الصين وكوريا وبعض دول آسيا الأخرى قد شرعت فى الأخذ بأسباب التقدم ، ولكن السياسة الاستعمارية التي اتبعها الغرب واليابان حالت دون ذلك . فقد انتهجت آسيا واليابان سياسة عدوانية تجاه بعضهما البعض .

الميجي ايشين : ثورة بورجوازية لم تكتمل

بقلم

ايجور لايتشيف Igor Latyshev
أكاديمية العلوم السوفيتية - موسكو
الاتحاد السوفيتي

لم تعرف الأحداث المختلفة التي شهدتها اليابان خلافا كذلك الخلاف الذي وقع بين العلماء اليابانيين والأجانب ، عندما تعرضوا للتطورات الثورية التي مرت بها البلاد في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن التاسع عشر ، والتي عرفت في اللغة اليابانية باسم الميجي اشن وفي اللغة الانجليزية باسم Meji Restoration اصلاح أو استعادة الميجي . وساهم علماء اليابانيات Japonologists بنصيب وافر في ذلك الخلاف . فقد تعرض كثيرون منهم للميجي اشن في كتاباتهم ، أمثال ا . م . زيكوف E. M. Zhukov ، و ه . ت . ايدوس H. T. Eidus و ا . ل . جالبرين A. L. Galprin و ب . ب . توبيهـا P. P. Topeha ، و ا . ج . فينبرج A. J. Fineberg . ومسوف أطلق على تلك الفترة اصطلاح الميجي اشن على سبيل الاختصار ، على الرغم من أننى أميل الى استخدام مصطلحات أخرى لتعريف تلك الفترة . وفى عام ١٩٦٨ عقد معهد الدراسات الشرقية باكاديمية العلوم السوفيتية مؤتمرا شارك فيه علماء اليابانيات Japonologists السوفيت للاحتفال بالذكرى المئوية الأولى للميجي اشن ، واشتد النقاش بين أولئك العلماء حول المفزى التاريخي للأحداث في ذلك الوقت . وقد تقدم خمسة وعشرون عالما من

كبار المتخصصين في تاريخ اليابان وثقافتها واقتصادها بتقارير ، ودارت بينهم حوارات جدلية حول تلك الشئون . وقد نشرت في الاتحاد السوفيتي عدد من الكتب التي وضعها الباحثون الأجانب حول الميجي اشن ، ومنها كتاب البروفسير توياما شيجيكي Toyama Shigeki عن اليابان ، وكتاب هربرت نورمان Herbert Norman ، العالم الكندي المتخصص في دراسة اليابان ، بعنوان « ظهور اليابان كدولة حديثة "Japan: Emergence as a Modern State" » . وتثير الميجي اشن كثيرا من الاهتمام هذه الأيام ، ولاتزال الصحف السوفيتية تنشر المقالات عنها . ويهتم العلماء السوفيت بالمؤلفات التي وضعها المؤرخون اليابانيون، وتعرضوا لها بالدراسة ، هذا فضلا عن اهتمامهم بالمناقشات العلمية لأولئك المؤرخين . وفي العام الماضي عقد القسم الياباني باكاديمية العلوم السوفيتية مؤتمرا بشأن المجلد العاشر « من تاريخ اليابان » الذي شارك في تأليفه عدد من أساتذة جامعتي طوكيو وكيوتو . وستقوم دار ناوكا للنشر باصدار مؤلف ن . ف . ليشتشينكو N. F. Leshchenko وهو أحد الباحثين بالقسم الياباني بمعهد الدراسات الشرقية ، تحت عنوان « الميجي اشن في مؤلفات المؤرخين اليابانيين التقدميين » ، وهذا الكتاب يتعرض لمفهوم رونوها Roncha ومفهوم كوزاها Kozaha المناقش له . ولايعتمد علماء اليابانيات Japanologists السوفيت في دراستهم على مؤلفات المؤرخين الماركسيين فحسب ، وانما يعتمدون على مؤلفات خصومهم الأيدولوجيين - خاصة العلماء الأمريكيين ، الذين ينظرون الى تاريخ اليابان من الزاوية التي يمكن تسميتها بنظرية التحديث . وتستحوذ على اهتمامنا عدة مهام أثناء قيامنا بدراسة اليابان . ففي الأعوام الخمسة القادمة ، سيقوم فريق من علماء اليابانيات بمعهد الدراسات الشرقية باعداد مؤلف يتناول تاريخ اليابان في عدة مجلدات ، يعتمد على أهم المؤلفات التي أصدرها العلماء الأجانب .

وهنا أود أن أطرح آراء علماء اليابانيات السوفيت المتعلقة بالمشكلات التي صاحبت الميجي اشن . ترتبط المشكلة الأولى بالطبيعة الحقيقية لتاريخ الميجي اشن . فمعظم أولئك العلماء لاينظرون اليها باعتبارها مجرد انقلاب ولكن باعتبارها ثورة قام بها الشعب الياباني ، وأحدثت تغيرات كثيرة في تطور اليابان ونموها . وتختلف آراؤنا اختلافا بينا عن آراء المؤرخين اليابانيين في هذه النقطة . فالمؤرخون اليابانيون يؤيدون الاتجاه شبه الرسمي المحافظ ، ويعتبرونها انقلابا ملكيا ، استطاع الامبراطور عن طريقه استعادة سلطته وبسط نفوذه على البلاد ، واستعادة السلطة التي كان قد فقدتها من قبل ، « ليمنج » شعبه نعمة الحضارة الحديثة . كما

أننا لانتفق مع العلماء الأمريكيين الذين ينادون بنظرية التحديث ، وينكرون الطبيعة الثورية لأحداث عامي ١٨٦٧ و ١٨٦٨ . لقد تشابهت تلك الأحداث مع الأحداث التي شهدتها مناطق متفرقة من العالم من حيث التقارب التاريخي والتماثل الطبقي . ففي بريطانيا قامت الثورة البورجوازية عام ١٦٤٠ - ١٦٦٠ . وفي فرنسا قامت الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر ، وفي ألمانيا قامت الثورة الألمانية في منتصف القرن التاسع عشر . ونحن لانتفق مع نظرية التحديث لأنها تتخذ من الدول الرأسمالية والثقافات البورجوازية بالعالم الغربي معيارا لقياس التقدم العالمي . ويقوم أصحاب نظرية التحديث بقياس مقدار التحديث أو مساهمة اليابان لطابع العصر بالاستعانة بمعايير الحياة المادية والثقافية بالدول الغربية الرأسمالية . وتحط نظرية التحديث من قدر أنواع التطور الاقتصادي الأخرى ، كما تنظر الى النظم الثقافية في البلدان الأخرى - ولاسيما طرق التنمية في الدول الاشتراكية - باعتبارها طرقا عتيقة أو شاذة . وخطأ هذا المنهج واضح كل الوضوح ، فزملأنا الأمريكيون يستخدمون مصطلح التحديث استخداما هلاميا غامضا بغية تجنب ذكر بعض الأنظمة الاقتصادية الاجتماعية مثل الاقطاع والاشتراكية والرأسمالية . ويتجاهل مؤيدو نظرية التحديث الطبيعة الطبقيّة لدولة كاليفارنيا أثناء مراحل التنمية المختلفة . فهم لا يقيمون وزنا للعوامل الانسانية الموضوعية كالصراع الطبقي والمصالح المتضاربة لكل من البورجوازية والبروليتاريا . ويعد العالم الأمريكي جون هول John Hall من أكثر المتحمسين لنظرية التحديث . وهو يقول في كتابه « اليابان منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى العصور الحديثة » (Japan from Prehistory to Modern Times)

« لم تشهد اليابان سوى القليل من العداوات أو الأيديولوجيات السياسية من النوع الذي أشعل نيران الثورة الفرنسية أو الثورة الروسية . ولم تكن حركة الميجي اشن ثورة بورجوازية أو ثورة فلاحين ، رغم تواجد كل من الفلاحين والتجار بين من ناهضوا نظام الشوجونية (١) .

لا يمكن أن يتفق علماء اليابانيات السوفيت مع هذه الأحكام . ونحن نعتقد أننا نستطيع الكشف عن الطبيعة الثورية لأحداث عامي ١٨٦٧ - ١٧٦٨ . وسنحاول أيضا أن نميط اللثام عن الدور الحاسم الذي لعبته قطاعات الشعب الياباني في تلك الأحداث . ويرد علماء اليابانيات السوفيت على نظرية التحديث ، فيعرفون الميجي اشن بأنها ثورة ، وينظرون الى الأحداث التي وقعت في تلك الفترة كإنقلاب عام ١٨٦٧ - ١٨٦٨ (الذي أشعلت شرارته فصائل من رجال الساموراي المحاربين من

اقطاعيات ساتسوما وتشوشو وتوسا الجنوبية ٠٠٠ الخ) على أنها كل لايتجزأ ، لامجرد حلقة فى سلسلة من الأحداث المنفصلة . وتضم أحداث تلك الفترة الثورات التلقائية التى قام بها الفلاحون ، والأنشطة التى قامت بها بعض المجموعات المتمردة شبه الدينية وشبه الفوضوية ، التى عرفت فى التاريخ بحركة « أى يا ناى كا » Ee ja mai Ka . كما أننا نرى أن أهمية الثورة تتمثل فى نضال الشعب ضد الاقطاع والاستعمار الأجنبى ، وليس فى الانقلاب الذى أدى الى مجرد انتقال السلطة من يد الشوجون الى يد الامبراطور . ونحن ننظر الى ثورات الفلاحين باعتبارها العامل الحاسم والجوهري فى أحداث الثورة . وتحولت ثورات الفلاحين التى نشبت فى مناطق متفرقة من البلاد ، الى قوة دافعة أدت الى قيام ثورة الميجى (١٨٦٧ - ١٨٦٨) ، ولم تقتصر على اضعاف الشوجونية ، وإنما أرغمت حكومة الامبراطور على التخلص من النظام الاقطاعى وتنفيذ اصلاحات زراعية حتى يتمكن من توطيد دعائم حكمه . وعنده استعراضنا لتاريخ اليابان فى أواخر حكم أسرة طوكوجاوا وأوائل عهد الميجى وما شهدته من معارك دامية هزت البلاد قبل وبعد انتفاضات عامى ١٨٦٧ و ١٨٦٨ ، لايمكن أن ننسى أن تلك المعارك لم تقع بين قوات الشوجون وقوات الشوجون وقوات الامبراطور فحسب ، ولكنها وقعت بين فصائل الاقطاع وقوات الحكومة المركزية من جانب ، والفلاحين المتمردين من جانب آخر . ويكفى القول بأنه فى الفترة بين عامى ١٨٦٨ و ١٨٧٣ وقعت حوالى ٢٠٠ ثورة تزعمها الفلاحون ، واشترك فيها الآلاف ، بل عشرات الآلاف من أبناء الشعب ، واستخدمت القوات المسلحة لاغمارها (٢) .

ان منظور الصراع الذى دخله الشوجون المساند للنظام الاقطاعى ضد القوى المناوئة له أضخم من ذلك المنظور الهزيل الذى يرسمه العلماء الذين لا يريدون أن يروا فى تلك الوقائع ثورة . وينبغى لنا أن نذكر الدور العظيم الذى قام به المؤرخون اليابانيون فى الفترة التى تلت الحرب ، لمساعدة الآخرين على فهم مشكلات الميجى اشن فهما صحيحا . وقد بينوا أن عامة الناس ، وليست طبقات المجتمع العليا ، هى التى قامت بالدور الحاسم فى الأحداث العنيفة التى صاحبت الميجى اشن .

ويؤكد المؤرخ اليابانى اينوو كيوشى Inoue Kiyoshi على أهمية الدور الذى قامت به عامة الشعب بقوله :

« كثيرا ما يقال ان الميجى اشن قد تحققت دون اراقة الدماء . ولكن هذا القول يناقض الحقيقة . صحيح أن الشعب لم يسفك دماء الحكام السابقين كما حدث فى الثورات الشعبية الأخرى فى بعض البلدان ،

حيث قام الشعب باعدام الملوك السابقين . ولكن لا ينبغي اعتبار أن الميجي اشن كانت مجرد ثورة في القصر الامبراطوري ، أو أنها قامت لتحقيق شعار « استعادة الامبراطور لنفوذه » فقط . فقد شهدت البلاد صراعا داميا استمر قرابة عام ونصف قبل قيام الثورة . وأرسلت الحكومة قوات بلغت نحو ١٢٠.٠٠٠ رجل لاضمار الثورة في توبا Toba وفوشيمي Fushimi وهاكوداته ، ولقى ٣٥٥٦ رجلا مصرعهم وجرح ٣٨٠٣ رجلا . وخسرت قوات باكوفو Bakufu والعشائر التي تساندها ٤٧٠٧ رجلا . وفاقت الخسائر التي منيت بها اليابان في تلك المعارك خسائرها في حربها مع الصين . فقد أرسلت اليابان ١٢٠.٠٠٠ رجل الى الصين ، فقتل منهم ٤١٧ ره رجلا . وكانت الجماهير هي القوة الدافعة للثورة (٣) .

لا يعتبر علماء اليابانيات السوفيت الذين يهتمون بالطبيعة الثورية للميجي اشن ، أنفسهم أول من تطرق الى البحث في هذا الموضوع . فنحن نؤكد صحة الأحكام التي أصدرها الايديولوجيون اليابانيون التقدميون بشأن تلك الأحداث . فانا أستشهد ، على سبيل المثال ، بكلمات كوتوكو شوسوى Kotoku Shusui ، أحد الثوريين والمفكرين في اليابان ، الذي كتب في بحث علمي له بعنوان « طبيعة الاشتراكية » ما يلي :

« التاريخ الاجتماعى سجل حافل بالثورات . والثورات تؤدى الى تقدم البشرية . فتخيل أحوال الجنس البشرى الآن لو لم يقم كرومويل بثورته في بريطانيا ، أو لم يقم الأمريكيون باعلان الاستقلال ، أو لم يقم الشعب الفرنسى بالثورة على الملكية ووضع نظام جمهورى ، أو لو أبقت انجلترا على النظام الاقطاعى المتفكك ، أو لم يتم توحيد إيطاليا ، أو لم يقم الانقلاب الميجي فى اليابان (٤) . »

يعتقد علماء اليابانيات السوفيت - بخلاف الكثير من زملائهم الأجانب - أن ثورة ١٨٦٧ - ١٨٦٨ ثورة بورجوازية ، وأنها لم تكن ظاهرة استثنائية بين الظواهر الطبيعية الأخرى التى تحدث فى العالم ، ونحن نرى أن الميجي اشن قد حولت اليابان من الاقطاع الى الرأسمالية شأنها فى ذلك شأن الثورات البورجوازية التى قامت فى أوروبا الغربية . ونحن نستمد وجهة نظرنا من تجارب دول كثيرة . وتبين لنا تلك التجارب أن هناك عوامل كبيرة تؤدى الى قيام الثورة . تتمثل العوامل التى تؤدى الى قيام الثورة فى المزايا الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية التى تتمتع بها هذه الطبقة أو تلك . وليست الخلفية الاجتماعية أو الانتماء الطبقي

لزعماء الثورة • يظهر تحليلنا لنتائج الميجي اشن أنها كانت بداية تحول الاقطاع الى الرأسمالية ، وأن البرجوازية اليابانية قد حصلت على المزايا الحقيقية بعد الصراع الذي ذاهم البلاد عامي ١٨٦٧ - ١٨٦٨ ، واضطرت القوى الاقطاعية الى التكيف مع المعايير البرجوازية حتى تتمكن من الحفاظ على سيطرتها على البلاد • ويتجلى ذلك في سن قوانين الاصلاح الزراعي عام ١٨٧٣ ، التي حددت ملكية الأراضي وفقا للقانون البرجوازي ، لا القانون الاقطاعي • ويسمح القانون الأول بالملكية الخاصة للأراضي ، كما يعطي حرية شراء الأراضي وبيعها • ونحن هنا لا نتفق مع ما ذهب اليه البروفسيور الياباني توياما شيجيكي Toyama Shigeki ، حين قال في مؤلفه الكبير بعنوان "Meiji Ishin" « ان أحداث عامي ١٨٦٧ - ١٨٦٨ كانت مجرد تحول البلاد من اقطاع الى اقطاع آخر » • ونحن نرى أن توياما لم يقدر مدى نمو البيئة الرأسمالية في المجتمع الاقطاعي في عهد باكوماتسو Bakumatsu حق قدرها • كما أنه لم يمتد اللثام عن اسهام الطبقة البرجوازية الجديدة (أى : المؤسسات التجارية والبنكية مثل : متسوى وكونونكه ، سوميتومو • الخ) التي كانت بين من تصدوا لحكومة باكوفو • ويميل علماء اليابانيات السوفيت الى الاعتقاد بأن هناك ثلاث قوى قادت زمام النضال ضد الاقطاع الذي تمثله حكومة باكوفو • وقد سمعت تلك القوى الى تحقيق أهداف مختلفة ، كما مثلت ثلاثة تيارات مختلفة • وهذه التيارات هي (١) الفلاحون البسطاء وأهل المدن الفقراء ، الذين قاوموا الحكم الاقطاعي ، بشيكل عفوي ، دون أن يكون لديهم هدف سياسي واضح (٢) نبلاء البلاط والساموراي الذين حاربوا نظام الشوجون لبسط يد الإمبراطور ليحكم حكما مطلقا (٣) البرجوازية التجارية والصناعية الناشئة التي ساندت الامباطور ، وكانت تسعى لتحقيق أهدافها الطبقية المستقبلية ، وكلما مضت البلاد نحو اصلاحات الميجي ، كلما زادت المزايا والامتيازات التي حصل عليها التجار ورجال البنوك ورجال الصناعة •

وليس معنى هذا أن اليابان قد تحولت الى مجتمع من طبقة بورجوازية تحت حكم امباطور الميجي ، فعلماء اليابانيات السوفيت يعتبرونه اتحاد لقوى ملاك الأرض والبرجوازيين ، وهو اتحاد تأثر في القرن التاسع عشر تأثرا رئيسيا بمصالح ملاك الأرض ، وبنات الملكية المطلقة باستقلالها النسبي في تقرير سياسات الدولة رمزا للدور الرائد الذي يلعبه ملاك الأرض في الهيئة الاوليجاركية الحاكمة (حكومة تهيمن عليها جماعة صغيرة همها الاستغلال وتحقيق المنافع الذاتية) • ولكن لم يكن حكم الامباطور حكما مطلقا كحكم البربون Bourbon في فرنسا أو حكم التيودور

Tudor في إنجلترا ، الذين اعتمدوا على تأييد الاقطاعيين من أصحاب الأراضي ونبلاء البلاط . ولكن حكم الامبراطور كان نوعا آخر من الاوتوقراطية عبر في آن واحد عن مصالح البورجوازية التجارية والبنكية والصناعية اليابانية . وهذه هي أهم النتائج الاجتماعية لثورة ١٨٦٧ - ١٨٦٨ التي ننظر اليها نحن الماركسيون باهتمام بالغ .

وهذا لايعنى أننا لانهتم بأوجه الحياة الأخرى في البلدان التي تشهد أحداثا ثورية . فنحن ننظر الى أية ثورة في أى بلد - وحتى الثورات البورجوازية منها - على أنها البوتقة التي تنصهر فيها تجارب الشعوب . وهذه الثورات تؤثر على مصير الشعوب وتعطى الناس دفعة جديدة من أجل الاستمرار في الحياة ، وتبعث في نفوسهم الأمل من جديد ، كما تبعث فيهم الرغبة والاصرار على العمل . ولا تستثنى الثورة اليابانية من تلك الثورات . فقد أظهرت تلك الثورة اصرار الشعب الياباني ، بما فيه زعماء الحكومة الجديدة ، على انقاذ البلاد من الوقوع في براثن الاستعمار ، وتحقيق التنمية في ظل الاستقلال . كما أن البورجوازية القوية قد أثرت على سياسة الدولة أثناء الثورة ، فزاد نشاط التجار ورجال الأعمال والمثقفين ، وساعد ذلك النشاط في الاسراع بعجلة التنمية في مجالات التعليم والثقافة ، وزيادة الانجازات في مجال العلوم والتكنولوجيا . وسعت حكومة الميجي نحو تحقيق ذلك الهدف ، حتى تجعل من اليابان دولة قوية تسير في ركب الحضارة الرأسمالية ، وحتى تحيط صورتها بهالة من الحكمة والبصيرة والتقدمية ، وذلك رغم أن كثيرا من أوجه تلك السياسة التي اتبعتها الحكومة - سواء السياسة الداخلية أو الخارجية - لم تدعم تلك الصورة التي حاولت الحكومة رسمها لنفسها . ولا ننكر أن الاصلاحات التي أجرتها حكومة الميجي في مجال الثقافة كانت عظيمة بحق . ولا يرجع الفضل في تلك الاصلاحات الى بلاط الامبراطور أو الى العسكريين ، وإنما للمثقفين اليابانيين الذين صمموا على التخلص من الأفكار الاقطاعية العتيقة ، وافساح الطريق أمام الأفكار التقدمية الجديدة . كما ينظر علماء اليابانيات السوفيت الى أنشطة وكتابات المفكرين المستنديرين البارزين ، أمثال فوكوزاوا يوكيتشي Fukuzawa Yukichi ونكاي تشومين Nakae Chomin ، باحترام بالغ . ونحن ننظر الى أولئك العلماء والمفكرين على أنهم خير من مثل المجتمع الياباني أثناء فترة الميجي .

وتجدر الإشارة الى أن العلماء السوفيت لايبالغون في تقدير الأهمية التاريخية لفترة حكم الميجي ، فقد أشار كثيرون منهم ، وعلى رأسهم م . م . زوكوف E. M. Zhukov و ه . ت ايدوس H. T. Eidus

الى أن ثورة ١٨٦٧ - ١٨٦٨ كانت بداية تحول المجتمع الياباني من الاقطاع الى الرأسمالية .

رغم التغيرات الكبيرة التي شهدتها البلاد في نهاية القرن التاسع عشر، إلا أن آثار الاقطاع لم تختف إلا بانتهاء الحرب العالمية الثانية . وينم بقاء شكل شبه اقطاعي من أشكال ملكية الأرض بعد الثورة عن عدم اكتمال الاصلاحات البورجوازية اليابانية . اذ ظل الفلاحون اليابانيون خلال القرن التاسع عشر وفي منتصف القرن العشرين رازحين تحت نير ملاك الأرض وتعرضوا لاستغلال بشع على النحو الذي كانوا يتعرضون له في المرحلة السابقة على التحول الرأسمالي ، وقد أحست فئات الشعب العاملة بوطأة الاقطاع بأشكال عدة . فكانت هناك بعض الممارسات التي لم تنته بانتهاء العهد الاقطاعي ، مثل قيام الآباء ببيع بناتهم لأصحاب المصانع ، وتقاضي العمال اليابانيين أجورا منخفضة للغاية . ولم تختلف أجور العمال اليابانيين عن أجور العمال في الدول المستعمرة في كثير من الأحيان .

كما أن بنية الحكومة وسياسة الدولة ظلت تحتفظ برواسب واضحة من النظام الاقطاعي ، فلم تتخلص اصلاحات الميجي من تلك الرواسب ، بل على العكس من ذلك ، فقد عملت على تأييدها ، مثل حكم الامبراطور المطلق أو ما يعرف بـ « التينوسى » Tennosei . ولم تضع تلك الاصلاحات حدا للامتيازات التي تمتع بها الارستقراطيون . وبعد قيام الحكومة بقمع الحركات التي قام بها الشعب للمطالبة بالحقوق المدنية والحصول على الحرية ، وكذلك دأبها على زرع عقيدة الشنتو Shinto في جسد اليابان واتخاذها الدين الرسمي للدولة ، خير دليل على سيطرة روح العصور الوسطى المناوئة للديموقراطية على عقول أولى الأمر في اليابان آنذاك .

لماذا لم تتطور الثورة ؟ ولماذا لم يتخلص الفلاحون اليابانيون من عبودية أصحاب الأراضي ، وما الذي حال دون حصول كافة الشعب الياباني على الحقوق الديموقراطية الأساسية التي حصلت عليها شعوب أخرى ، كالشعب البريطاني والشعب الفرنسي ، وشعوب بعض الدول الرأسمالية الأخرى في غرب أوروبا ؟ يمكننا الاجابة على تلك الأسئلة اذا تتبعنا سلوك أولئك الذين قاموا بالانقلاب : لم يشأ رجال البلاط الارستقراطيين أو رجال الساموراي ، أو من كانوا يسرون في ركابهم ، كالتجار أو رجال الأعمال أو رجال البنوك ، القضاء على الاقطاع قضاء تاما ، ولم يريدوا أن ينحازوا الى جانب المشاركين في ثورات الفلاحين الثاقائية . الذين لم يكن لديهم هدف سياسي واضح يسعون لتحقيقه .

وكشفت الحركات الفوضوية ، شبه الدينية - التى عرفت باسم « اى يا ناتى كا » - عن أن الفلاحين والجماهير من أبناء المدن لم يتمتعوا بالنضج السياسى ، كما لم يكن لدى الطبقات الدنيا ، أو فئات المثقفين الصغيرة أو البورجوازيين اليابانيين ، أى برنامج سياسى ثورى واضح .
ومما سبق يتضح لنا عدم وجود تنظيم ثورى قادر على التعبير بدقة عن مصالح ومطالب الطبقات التى تعرضت لقمع حكومة الشوجون .

أما فيما يتعلق بالقادة الأرستقراطيين ورجال التساموراى الذين تزعموا الانقلاب ، فقد سارت طموحاتهم فى تيار معاكس للثورة فى الأعوام التى تلت الثورة ، فبدلاً من الحفاظ على المد الثورى ، سعوا الى استقرار الأوضاع . فقاموا باخماد الفتن وثورات الفلاحين ، ولم ينوونوا عن استخدام كافة أنواع الأسلحة فى سبيل تحقيق ذلك . وبعد أن وحدوا صفوفهم ، بدأ المؤيدون لمبدأ استعادة الامبراطور لهيئته وبسط نفوذه ، أو ما يعرف بالميجى اشن ، يدسون أنوفهم فى الأنشطة التى يقوم بها السواد الأعظم من الناس ، ونجحوا فى ذلك تدريجياً . وبحلول عام ١٨٧٣ كانت ثورات الفلاحين تلفظ أنفاسها الأخيرة بسبب الإصلاحات الزراعية وما تلاها من إصلاحات أخرى ، والقضاء على من كانوا يحرضون الفلاحين على الثورة . قتم احتواء تلك الثورة . وجعلت هذه الأسباب علماء اليابانيين السوفيت يقولون ان الميجى اشن لم تكن ثورة بورجوازية فحسب ، ولكنها كانت « ثورة لم تكتمل » . وتبرز هذه العبارة معالم محددة فى تطور اليابان ، وتبين لنا أن ثورة القرن التاسع عشر قد أعيق سيرها وهى فى منتصف الطريق . لذا فقد احتفظت اليابان ببقايا النظام الاقطاعى الى أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها .

أصبحت اليابان دولة امبريالية منذ بداية القرن العشرين ، تحكمها طبقة بورجوازية احتكارية ، وتناقضت السياسة الخارجية التى اتبعتها اليابان خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ، ويرجع ذلك التناقض الى عدم اكتمال الإصلاحات البورجوازية التى قامت بها حكومة الميجى ، اذ عملت تلك الحكومة على خلق قوة عسكرية قادرة على صد أى اعتداء على البلاد ، واتفق ذلك الهدف مع مصالح الشعب اليابانى ، ولكن الطبقة الحاكمة ، ممثلة فى أصحاب الأراضى والطبقة البورجوازية ، عملت على توحيد صفوفها والتمتع بقدر كبير من الحرية فى العمل ، بعد حصولها على قدر وافر من الحرية بفضل المدجى اشن . وفى نفس الوقت ظهرت تيارات جديدة فى سياسة اليابان الحارحة ، فلم توجه اليابان سياستها الخارجية نحو حماية حدودها فقط ، وانما اتجهت الى التوسع وغزو الدول الأخرى . وكانت الحملات العسكرية

التي قامت بها اليابان ضد تايوان عام ١٨٧٤ ، ثم كوريا عام ١٨٧٦ بداية تلك التيارات التوسعية . وتتمثل النتائج السلبية لعدم اكتمال الثورة البورجوازية في التأثير المتزايد الذي مارسه المتطرفون العسكريون ذور الأفكار الاقطاعية على الحكومة والحياة السياسية في اليابان . فتحولت الحكومة بدورها الى تسليح البلاد وتحويلها الى قوة عدوانية غاشمة تهدد أمن الدول المجاورة لها في نهاية القرن التاسع عشر ، فتحول أبطال الميجي اشن ، وهم الذين دافعوا عن حرية بلادهم ، الى سياسة العدوان وتهديد استقلال الدول الأخرى ، ومروا بمرحلة التحول التاريخي التي مر بها أبطال الثورة الفرنسية ، وأقصد بهم نابليون وأعدائه . ان حقبة الميجي لم تجلب للشعب الياباني الوحدة الوطنية فحسب ، بل شهدت تلك الفترة نمو الروح العسكرية الامبريالية التي جرت البلاد الى كوارث لم تكن في الحسبان ، فعانى الشعب الياباني وعانت الدول المجاورة . لذلك فعلينا توخي الحذر عند تقييمنا للاصلاحات والتطورات التي شهدتها الميجي اشن ، كما يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ازدواجية السياسة اليابانية التي عرفت تلك الفترة ، ولا نفعل ايجابيات وسلبيات تلك السياسة .

مراجع وملاحظات :

- (١) J. W. Hall, Japan from Prehistory to Modern Times
Delta Books, New York, 1971), p. 266.
- (٢) Translation of the Institute of Oriental Studies Vol. XV.
- (٣) Collection of Articles on Japan (Academy of Sciences
of the USSR, MOSCOW, 1956), p. 131.
- (٤) Nihon no rekishi (A History of Japan), Vol. 20 : Meiji
Ishin (chuo Koronsha, Tokyo. 1971). pp. 131-132.
- (٥) G. D. Ivanova Kotoku : Revolution and Writer
(Moscow 1959) p. 25.

مغزى التحولات الثورية

بقلم

بيوتر فيدوسييف Pyotr Fedoseyev

أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى .

موسكو

الاتحاد السوفيتى

يمكن لنا مقارنة التقدم الاجتماعى والقومى فى كثير من الدول . ولهذه المقارنة أهمية كبيرة فى التعرف على الحاضر والمستقبل . كما يمكن لنا الحصول على نتائج ايجابية بفضل تعاون العلماء من مختلف أنحاء العالم فى هذا المجال ، وان انطوى هذا الأمر على كثير من الصعوبات . فالمطلوب هو تحديد طابع وشكل ذلك التعاون ، مع الأخذ فى الاعتبار المفاهيم التاريخية المختلفة ، والآراء الأيديولوجية ومناهج البحث السائدة فى الدول المختلفة . وحتى فى البلد الواحد - ولتكن اليابان على سبيل المثال - تتعدد الآراء حول الإصلاح الاجتماعى وحول الميضى اشن بصفة خاصة ، وتتشابه آراء بعض العلماء اليابانيين مع آراء العلماء السوفيت عند تقييم الميضى اشن . وتدل هذه الحقيقة على عدم تجانس الآراء المتعلقة بأية ثورة ، وعند قيامنا بوضع الاطار العام للمقارنة وتحديد مناهج البحث العلمى ، علينا أن نتذكر وجود آراء مختلفة فى هذا الشأن ، ولكننا لا ننكر أهمية تبادل الآراء فى ندوة أو مؤتمر ، وذلك لأن تبادل المعلومات مع الآخرين وسماع آرائهم يساعدنا على المضى فى دراستنا .

وقد ناقشنا الميضى اشن باعتبارها ثورة يمكن مقارنتها بالثورات التى قامت فى دول أخرى ، فالتغيير الثورى ليس مجرد موضوع أكاديمى ، بل

يمكن ترجمته الى ممارسة أو واقع ، والمناقشات من هذا النوع لا تنطوي على أهمية أكاديمية فحسب ، بل يمكن أن يكون لها معنى فى واقعنا ، وتكمن أهمية المييجى اشن فى المغزى الذى يمكننا أن نستفيد منه فى حياتنا . ولقد طرح الكثير من العلماء آراء ايجابية حولها ، بينما وصف آخرون مظاهرها السلبية .

ومن الطبيعى أننا لا نستطيع أن نعرض هنا الا لأكثر الآراء عمومية حول أهمية الثورة لتطور البشرية وتقدمها . لقد ظلت الانسانية تعاني من مصائب اجتماعية رئيسية ثلاث على مدى قرون طويلة : استغلال الانسان واضطهاده لأخيه الانسان ، والاضطهاد العقلى والعنصرى ، والحروب المدمرة . وعلى مر الأجيال تناقل المفكرون الأفكار المثالية عن الاخاء والمساواة بين جميع الناس وجميع الشعوب ، وعن السلام الدائم والوثام . ولكن الى الآن لم تتوفر الظروف المادية أو القوى الاجتماعية المطابقة لها أو معرفة سبيل تحقيق هذا الحلم القديم .

وأيا كان الأمر ، فلم يكن بوسع الانسان مقاومة التقدم التاريخى . وها قد جاء الوقت الذى تتوافر فيه الظروف المادية والاجتماعية التى تساعد على التحول الثورى بالمجتمع ، وتحرير الطبقات الكادحة من الاستغلال ، والقضاء على الاضطهاد القومى والصراعات العسكرية الدامية .

ان التقدم التاريخى قد يمضى فى مسار تطورى قائم على مبدأ ثورى . ويمكننا الاستعانة بالنظرية التطورية لدراسة مراحل التغيير التدرىجى ، وقد ينطلق كالرصاصة ، فيأتى بتغيير جذرى وزلزال ثورى . ويمكننا الاستعانة بالنظرية التطورية لدراسة مراحل التغيير المختلفة ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر حتمية التحول الثورى . بل أننا نرى أن التغيير التقدّمى يتحول بالضرورة الى تغيير سريع فجائى ، وهو ما نطلق عليه كلمة « ثورة » . وهذا قانون تاريخى . والثورة عملية تحول ضخمة تتطلب ما هو كائن ، ليحل محله شئ جديد ، أى تحطيم الأنظمة العتيقة والقيام بالتغيرات الفجائية فى الحياة الاجتماعية . وكما يقول كارل ماركس ، ان التغيير لابد أن يجعل التقدم ممكنا من الناحية العلمية والاجتماعية والتكنولوجية . وقد قال أيضا ، ان الثورة هى الدينامو أو القوة الدافعة للتاريخ . والقضية المطروحة أمامنا هى « ما الثورة » ؟ ليست الثورة مجرد صدام دورى بين المجموعات الطبقيّة داخل المجتمع ، وإنما هى صدام حاسم بين الطبقة الحاكمة وجموع الشعب المضطهدة . فبؤدى ذلك الصدام الى انتقال السلطة من أيدي الطبقة الحاكمة الى أيدي أخرى ، وهى تقتضى ضرورة تغيير الهيكل الاقتصادى والمؤسسات الاجتماعية والآراء الأيديولوجية .

يمكن للثورة أن تكون بطيئة وممتدة ، كما هو الحال في الميجي اشن التي تعد ثورة بورجوازية وقومية من ناحية المضمون . ويمكن اعتبارها انتقال للسلطة من أيدي الطبقة الحاكمة إلى أيدي مجموعات اجتماعية جديدة في إطار العملية التي اضطلعت بها اليابان لتغيير علاقاتها مع الدول الأخرى . ويمكن أن نطلق عليها أيضا ثورة قومية ، حيث أثرت الشعور القومي لدى اليابانيين . وعموما يمكننا أن ندعو الإصلاح الميجي بالثورة ، حيث أدت إلى انتقال السلطة من طبقة إلى أخرى . ومن ناحية الشكل ، كانت الميجي اشن استعادة للنظام الإمبراطوري . أما من ناحية المضمون ، فقد ابتعدت الميجي اشن عن الاستبداد العسكري ونظام الاقطاع ، واتجهت نحو النظام البورجوازي . وبذلك أنهت الأوتوقراطية الاقطاعية والعسكرية ، ومهدت الطريق أمام تطور الرأسمالية .

وكانت ثورة الميجي ، والإصلاحات التي أعقبتها ، ذات أهمية كبيرة ، فقد ساعدت على تطور اقتصاد وسياسة وثقافة اليابان ، كما ساعدت على التغلب على سيطرة رأس المال الأجنبي . وجدير بالذكر أن « حيتان » الصناعة والتجارة والبنوك قد تعاونوا مع طبقة الساموراي العسكرية والاقطاعية ، وكثفوا من استغلالهم لقطاعات عريضة من الشعب الياباني ، وانطلقوا في طريق التوسع الجامع وبعث الروح العسكرية .

ولم تنجح أية ثورة بورجوازية في القضاء على النظام الاقطاعي تماما ، ولكن يمكن القضاء على الكثير من بقايا الاقطاع عن طريق ثورة من هذا النوع تحت ضغط الانتفاضات الشعبية والمظاهرات التي تقوم بها كافة قطاعات الشعب ، كما حدث في اليابان بعد الميجي اشن . وهناك مبرر لأن نزع أن القضاء على بقايا الاقطاع لم يتحقق إلا بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها تحت ضغط الجماهير .

قضت الثورات المعادية للاقطاع على سيطرة الارستقراطية المالكة للأراضي في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وحررت الفلاحين - ولو من ناحية الشكل - من الرق ، ومهدت الطريق أمام تطور الصناعة والتجارة والنقل بسرعة . ولكن القوة السياسية والاقتصادية وضعت في يد فئة صغيرة من الملاك ونعني بهم البورجوازيين من أصحاب الصناعة والتجارة ، فالحق الدمار بغالبية السكان ، الذين تحولوا إلى اجراء أو فلاحين يعتمدون على أولئك البورجوازيين .

وفي مجال السياسة الخارجية فتحت الرأسمالية صفحة قاتمة من صفحات تاريخ غزو الاستعمار للبلاد الأجنبية واضطهاد شعوبها ، كما أدى التنافس بين الدول الرأسمالية المتقدمة على غزو الأراضي الأجنبية والصراع

من أجل السيطرة - على المستويين المحلي والعالمي - الى اندلاع حروب دموية مدمرة .

دعونا نلقى نظرة على المظهر الاجتماعي للثورة ، هناك عدة أنواع من الثورات . ويوجد الآن ثلاثة أنواع من الثورات . فهناك الثورة التي تقوم ضد الاقطاع ، والثورة ضد البورجوازية ، والثورة ضد الاستعمار . وفي أوروبا ، قامت الثورات المعادية للاقطاع في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، وقضت على الاقطاع ، واستعاد الأتقان الذين كانوا يعملون لدى الاقطاع أراضيهم ، مما مهد الطريق لظهور البورجوازية في أوروبا ، وقيام ثورات بورجوازية ساعدت على انتقال السلطة الى أيدي الرأسماليين . وكان أتقان الأرض محرومون في أوروبا العصور الوسطى من امتلاك الأرض ومن ممارسة الحقوق السياسية ، في الوقت الذي تركزت فيه القوة والسلطة التشريعية في أيدي الملاك .

ما القوة الدافعة للثورة ؟ ومن البطل في أي ثورة ، سواء أكانت ثورة على الاقطاع أو ثورة على البورجوازية أو ثورة على الاستعمار ؟ تتجمع عدة قوى وتساعد على ظهور البطل . فيمكن للبورجوازية أن تلعب دور البطل وأن تصبح هي القوة الدافعة للثورة ضد الاقطاع ، بأن تحشد ضده تأييد الجماهير الشعبية . وتكون النتيجة هي ولادة دولة بورجوازية قومية ، ولكن جماهير الشعب لا تستفيد بخيرات تلك الثورة . ويمكن أن تكون هناك قوى أخرى معادية للاقطاع . ففي اليابان ، حظيت الحركات المعادية للاقطاع بتأييد الشعب الذي عانى من ظلم الاقطاعيين ، كما حظيت بتأييد عناصر فردية من صفوف الاقطاعيين مثل الساموراي أو جماعات الشيزوكو Shizoku الذين عارضوا الدكتاتورية العسكرية . وهذا يعني أن الحركة المعادية للاقطاع استطاعت الاعتماد على تأييد بعض ممثلي الطبقة الحاكمة ، التي لم تكن تشعر بالرضا عن الأوضاع القائمة على الاطلاق . كما يمكن للبروليتاريا والمزارعين أن يتحولوا الى القوى الدافعة للثورة ضد الاقطاع ، وبذلك يشكلون تحالفا ديموقراطيا للقوى الاجتماعية ، كما حدث في ثورة ١٩٠٥ و ثورة فبراير عام ١٩١٧ في روسيا .

استعمرت الدول الرأسمالية بلدانا كثيرة في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا ، وعانت تلك الشعوب المستعمرة من اضطهاد الطبقات الحاكمة . وكانت حركات التحرر الوطني تعادى الاستعمار والاقطاع وبعض مظاهر الرأسمالية في آن واحد ، فكانت موجهة ضد القوة الاستعمارية والملاك المحليين ورجال الأعمال الأقوياء الذين يساندون الطبقة الحاكمة . وظهرت حركات التحرر الوطني في الصين وفيتنام وبعض دول أمريكا اللاتينية والمكسيك ، وتميزت تلك الحركات بطابع العنف المسلح .

ويمكننا ملاحظة أوجه التشابه بين الثورة التي قامت في المكسيك وتلك التي قامت في اليابان . ورغم هذا التشابه ، فقد كان جوهرهما مختلفا . ولكن هناك أوجه تشابه بين ثورة المكسيك والثورات التي قامت في بعض بلدان أمريكا اللاتينية ، كما أن هناك أوجه تشابه بين ثورة المكسيك والثورة الصينية التي قامت في شينغهاي عام ١٩٢٧ . ولكن لا يمكن أن يعتمد تحليلنا للثورات على أساس أوجه التشابه وحدها ، فعلىنا أن نأخذ في الاعتبار القوى الاجتماعية للثورة ، وكذلك الأهداف والأفكار والأيديولوجيات التي تصاحبها والاصلاحات التي تأتي بها . فقد شهدت فرنسا ما يعرف بحركة التنوير قبل قيام الثورة بها ، مثلما ساد الفكر الديمقراطي الثوري الرأى العام في روسيا . ومهد المفكرون الطريق لقيام الثورة في روسيا . ومن أولئك المفكرين نيقولاى تشيرنشيفسكى Nikolai Chernyshevsky ، الذى قضى ثلاثين عاما بالسجن ، ثم نفى الى سيبيريا بعد أن صدر عليه الحكم بالأشغال الشاقة والنفى الى منطقة استراخان Astrakhan ، حيث توفي هناك . وظل ذلك الرجل يعد لقيام الثورة رغم المعاناة والآلام . ولم تخل دول أمريكا اللاتينية من الأبطال ، أمثال ذلك الرجل ، الذين عملوا على إيقاظ الروح القومية والاعداد للثورة .

والثورة البورجوازية ليست الحلقة الأخيرة فى سلسلة الصراع الثورى ، إذ لابد أن تعقبها ثورة بروليتاريا اجتماعية ان عاجلا أم آجلا . كما أن الثورة البورجوازية علامة بارزة فى طريق التقدم التاريخى . ولكن المهم هو ما يحدث بعدها وتأثيرها على العلاقات الدولية . وتتخذ الثورة صورا متعددة قد تنطوى على صراعات مسلحة أو إجراءات سلمية . ولقد أدت ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ فى روسيا الى تغيرات شاملة أثارت دهشة العالم على حد قول جون ريد John Reed . ويقول بعض المعارضين لها انها قد أطلقت العنان للعنف المروع ، غير أن الوثائق وشهادات الشهود توضح أنه لم يسقط فى عملية اقتحام قصر الشتاء سوى ٢٠ شخصا حينما هاجمه الثوار وأسقطوا الحكومة البورجوازية ، ولكن الدمار لحق بروسيا السوفيتية ، واضطرت الى بذل تضحيات كبيرة عندما تصدت للتدخل الأجنبى المسلح الذى سعى للنيل من الثورة بعد مضى فترة من الوقت . ولكن ذلك الدمار وتلك التضحيات لم تعق التقدم التاريخى للبلاد .

حررت ثورة أكتوبر العظيمة قطاعات الشعب من الاضطهاد الطبقي والقومى ، ومهدت الطريق أمام الشعب العامل من كافة الأجناس والقوميات للتمتع بالمساواة الحقيقية والتعاون الطوعى لتحقيق تنمية حرة

ومتناسقة الاتجاهات • وحققت جميع القوميات بالاتحاد السوفيتي ،
بما فيها القوميات المتخلفة التي تقع على أطراف روسيا القيصرية ، وسط
آسيا وكزاخستان وسيبيريا ، قدرا هائلا من التقدم الاجتماعي منذ قيام
الثورة • وعرفت كل جمهورية من الجمهوريات السوفيتية النمو الاقتصادي
السريع ورفع مستوى المعيشة واثراء الشعور الوطني وتحقيق التقدم
العلمي وازدهار الثقافة •

وهناك أبحاث علمية ترى أن الميجي اشن لم تأت بالتغيرات الاجتماعية
والثقافية والنفسية فحسب ، كما هو الحال في الثورات العادية ، فقد
شملت الثورة كافة مظاهر المجتمع : بما فيها الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية
والثقافية ... الخ • والثورة الاجتماعية هي ثورة ثقافية أيضا ، ولكنها
ليست ثورة ثقافية فحسب • وكان لينين أول من ناقش مفهوم الثورة
الثقافية • وقد أثار كثير من العلماء الجدل حول العلاقة بين الثورة والثقافة •
ولكن لينين هو أول من قدم نظرية الثورة الثقافية ، تأسيسا على فكرة
ماركس التي تدعو الى ضرورة قيام الثورة للقضاء على المؤسسات القديمة
والمخلفات السيئة للعصر السابق ، وضرورة حصول الطبقة العاملة على
القوة اللازمة لقيام الثورة • وأكد ماركس على المظاهر الاجتماعية
الايدولوجية للثورة ، وبرهن لينين على وجود الجانب الثقافي للثورة •

قامت ثورة أكتوبر في روسيا ، وقتلتها الثورة الثقافية التي قامت
بفضل القوات الشعبية ، وقامت الثورة الشعبية باعادة تنظيم المضمون
الثقافي ، وجعلت الثقافة في متناول القاعدة العريضة من الشعب •
ولم ترفض هذه الثورة الثقافية الثقافة البورجوازية برمتها ، فقد احتوت
الثورة الثقافية أفضل ما كان بالماضي من تراث عند اعادة تنظيم مضمون
الثقافة • والملح الثاني هو انتفاضة الشعب لتحقيق الثورة الثقافية ،
وهو ما حدث في الثورة الروسية التي أعطت كل مواطن الحق في التعليم
العام والتعليم بالجامعات والمعاهد العليا بالمجان • والملح الثالث المميز
هو ظهور الصفوة المثقفة من العمال والفلاحين ، أي من بين قطاعات الشعب
المعدمة (البروليتاريا) • والصفوة المثقفة التقليدية التي تنحصر في
نطاق دائرة محدودة منعزلة عن الطبقات العاملة ، أي أنها لم تكن من
الصفوة التي يجب أن تكون في مجتمع اشتراكي • وخلقت صفوة مثقفة من
البروليتاريا من الطبقات الكادحة المعدمة • هذه هي سمات الثورة الثقافية
الحقيقية في روسيا • ويمكن لأية ثورات ثقافية أخرى أن يكون لها نفس
السمات • كما ينبغي لأية ثورة في أية أمة أن تتوافر لديها اشتراطات

ممثلة من أجل تحقيق التقدم والنهوض بالثقافة • كما ينبغي لذلك التغيير
أن يوفر الظروف والاشتراطات اللازمة لتقدم المجتمع والانسان • لقد مرت
دول كثيرة بالتحويلات الثورية التي مرت بها روسيا ، وقد تمر دول أخرى
بهذه التحويلات في المستقبل •

ثانياً :

المحيط الدولى

النهوض باليابان ومسايرتها لطابع العصر من منظور العلاقات الدولية

بقلم

شيباهارا تاكوجي Shibahara Takuji

جامعة ناجويا سیتی

ناجويا - اليابان

خاضت اليابان تجربة الميچی اشن فى الخمسينات من القرن التاسع عشر وما تبعها من عملية تحديث استمرت حتى نهاية ذلك القرن . وكانت ذروة تلك الفترة التى شهدت تغييرات هائلة تتمثل فى الانتفاضة العارمة التى اجتاحت اليابان فى الفترة من عام ١٨٦٨ وحتى عام ١٨٧١ ، وأدت الى القضاء على نظام الشوجونية Shogunate ، وقامة حكومة مركزية عصرية ، فكان ذلك نقطة تحول فى تاريخ اليابان ، التى أخذت تنهض بكافة مؤسساتها ، واتجهت بخطى واسعة نحو التصنيع . وكان تأثير الغرب هو الذى دفعها الى ذلك . فقد سعت اليابان الى مسايرة طابع العصر ، واجراء تغييرات شاملة ، حتى تستطيع الصمود أمام ضغط العالم الغربى وزحفه عليها . وارتبطت كثير من المشكلات التاريخية التى عانت منها اليابان عندما أخذت فى النهوض ومسايرة طابع العصر ، بالضغوط التى مارستها القوى الغربية عليها (مثلما هو الحال فى الجهود التى بذلتها الأمم غير الغربية وهى تخوض تجربة التحديث) . لذلك لايمكن لنا الاستغناء عن دراسة البيئة الدولية اذا ما أردنا فهم الميچی اشن .

وصل الأسطول الأمريكى الى شواطئ اليابان عام ١٨٥٣ بقيادة

الكومادور بيرى . وكان ذلك بداية سلسلة طويلة من الضغوط الغربية على اليابان باستخدام القوة . وتمددت مظاهر تأثير الغرب على اليابان ، فاضطرت الى فتح موانئها أمام « التجارة الحرة » ، مما أدى الى تغييرات اجتماعية واقتصادية (شملت تلك التغيرات البنية الصناعية والتسويقية ومحاولة إعادة البناء التي صاحبت اندماج اليابان فى السوق العالمى) . ثم عانت اليابان من الضغوط السياسية والدبلوماسية والعسكرية ، التي مارسها القوى الغربية عقب إبرام اليابان اتفاقيات غير عادلة مع تلك القوى (وتضمنت بنود تلك الاتفاقيات التعريف الجمركية التقليدية ، وتمتع القوى الغربية بالحق فى بناء مستوطنات أجنبية ، ومعاملة الدولة الأولى بالرعاية من جانب واحد ، والمحاكم القنصلية ، وغيرها من الشروط) . سعت اليابان الى توطيد علاقاتها الدبلوماسية والتجارية مع القوى الغربية ، وأدخلت العلوم الحديثة وتكنولوجيا الصناعة الى البلاد ، وزاد تأثيرها بالقيم والحضارة والثقافة ومظاهر نظمها السياسية الغربية . واختلفت العلاقات التي كانت تربط بين القوى الغربية (بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا) ، فاتسمت بطابع التعاون تارة والعداء والتنافس تارة أخرى . واختلفت درجة تأثير اليابان بالغرب وفقا لهذه العلاقات التي كانت تربط بين القوى الغربية ، ووفقا لقدرتها الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية على الاستجابة لتأثير الغرب . ولا نستطيع أن نحدد بدقة أى من تلك الأوجه أسهم فى تحديث اليابان . وأى منها أعاق عملية التحديث . وإذا أردنا تقييم مدى تأثير اليابان بالغرب تقييما صحيحا ، فلا بد لنا أن نأخذ فى اعتبارنا العوامل الداخلية والخارجية .

وفى الوقت الذى انطلقت فيه الدول الغربية صوب الشرق للبحث عن أسواق جديدة لمنتجاتها فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، بعد أن شهدت صحوة رأسمالية تصنيعية ، ظلت الصين واليابان فى الطرف القصى من العالم الذى كان الغرب قد شرع فى استكشافه وارتياحه . فقد ظلت هاتان الدولتان بعيدتين عن الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى استقر المستوطنون فى ولاية كاليفورنيا وعمروها فى منتصف القرن الماضى . وتغيرت الأوضاع بعد أن استغلت الولايات المتحدة قوة البخار فى تسيير السفن ، فعبرت سفنها المحيط الهادى . وتختلف هاتان الدولتان عن بقية الدول الآسيوية الأخرى ، كالهند وفيتنام التي تحولت الى مستعمرات غربية فى القرن التاسع عشر . فقد تمتعت هاتان الدولتان بالاستقلال السياسى والاقتصادى النسبى ، رغم إبرامهما لمعاهدات غير عادلة مع الغرب ، واضطراهما الى فتح الموانئ عنوة . وأجرى العلماء كثيرا من

البحوث للمقارنة بين هاتين الدولتين ، وبحث الأسباب التي ساعدت اليابان على المضي نحو التقدم بخطى واسعة ، بينما لم تلحق الصين بركب التقدم ، رغم أوجه التشابه التاريخي بينهما .

لماذا استطاعت اليابان النهوض بمؤسساتها الاجتماعية وعرفت التصنيع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، في الوقت الذي عجزت فيه الصين عن القيام بذلك ؟ قدم لنا العلماء اليابانيون تفسيرين لهذه الظاهرة . يقول التفسير الأول ان اليابان كانت قد توافرت لديها كثير من متطلبات التقدم في منتصف القرن التاسع عشر . ويقول التفسير الثاني ان الصين كانت أكثر خضوعا للغرب من اليابان في الناحيتين السياسية والاقتصادية . ومن ثم استطاعت اليابان تحقيق التنمية في ظل الاستقلال ، ويأخذ كثيرون من المتخصصين غير اليابانيين بهذين التفسيرين . ويؤيد ادوين ريسشاور Edwin Reischaur وجون فيرنبك John Faisbank (١) التفسير الأول في مؤلفهما الكلاسيكي بعنوان « شرق آسيا : الماثور الكبير : East Asia : The Great Tradition » ، ويؤكدان على أهمية العوامل المتعددة ، التي ساعدت المجتمع الياباني التقليدي على النهوض ومسايرة طابع العصر . ويسلم الباحثون الصينيون والسوفييت ، الذين ينظرون الى الميجي اشن على اعتبار أنها ثورة بورجوازية لم تكتمل ، بأن اليابان كانت أكثر تقدما من الصين . أما فيما يتعلق بالتفسير الثاني ، فيعزو ب . أ . باران P. A. Baran في كتابه « الاقتصاد السياسي للنمو The Political Economy of Growth » ، (٢) نجاح حركة التصنيع في اليابان الى الاكتفاء الذاتي (انخفاض معدل الاعتماد على الدول الأخرى) ، وهو أمر لم تعهده الدول الأخرى غير الغربية الا في النادر . وقد أثر الرأي الذي نادى به باران على « نظرية الاعتماد الجديدة new dependency theory » ، التي لاقت كثيرا من التأييد في دول العالم الثالث . ويعمل الاتجاه المعاصر على الجمع بين التفسيرين عند تحليل الظروف الداخلية والخارجية التي ساعدت اليابان على النهوض والأخذ بأسباب التقدم في ضوء ظروفها الداخلية والخارجية .

ونظرا لأن هذا المقال يرمى الى تقييم البيئة الدولية ازاء الميجي اشن ، فاني أود أن أتناول بالتحليل الرأي القائل بأن ضالة اعتماد اليابان على الغرب قد ساعدها على النهوض ومسايرة طابع العصر . كما أحب أن أعلق على كتاب ف . ف . مولدر F. V. Moulder بعنوان « اليابان والصين والاقتصاد العالمي المعاصر » -

Japan, China and the Modern World Economy (٣) . ويعتبر هذا

الكتاب رائعا لدراسة الصين واليابان، ويقدم مناقشات وحجج منهجية تساند التفسيرين السابقين . وتنكر مولدر في كتابها وجود أى خلاف نوعى فى الأنظمة السياسية الاقتصادية والتنموية بين الصين واليابان ، أو فى التغيرات التى صاحبت نمو اقتصاد السوق قبل الدخول فى مجال التجارة مع القوى الغربية . كما تقول بأن اختلاف الأحوال الاجتماعية فى البلدين قبل انفتاحهما على الغرب لم يكن العامل الرئيسى فى نجاح اليابان فى مسيرة طابع العصر وفى تخلف الصين عن الركب . كما تبين لنا العوامل الرئيسية ، التى أثرت على علاقة الدولتين بالقوى الغربية الرأسمالية ، وتؤكد أن الصين قد اعتمدت اعتمادا كبيرا على القوى الغربية الرأسمالية ، فى مجالات كثيرة ، أهمها التجارة والاستثمار والسياسة والدين - فكانت دولة تدر فى فلك الغرب ، بينما احتفظت اليابان باستقلالها فى هذه المجالات . ثم تناقش مولد الإصلاحات السياسية والسياسات التى اتبعتها الدولتان فيما يتعلق بالتجارة والتمويل واجراءات الحماية والنهوض بالصناعة لتسهيل عملية التصنيع . وتؤكد فى استنتاجها على أن هذه الإصلاحات لم يكن من الممكن لها أن تكتمل فى الصين بسبب تبعيتها الكاملة للقوى الغربية ، بينما تمتعت اليابان بالاستقلال النسبى ، فاستطاعت النهوض والتقدم .

وترى مولدر أن هناك عدة اختلافات بين الدولتين فى علاقاتهما بالدول الأخرى ودرجة خضوعهما للقوى الأجنبية لأسباب عدة . أولا : تشير مولدر الى أنه فى منتصف وأواخر القرن التاسع عشر ، ركزت القوى الغربية جهودها فى آسيا على غزو وحكم الهند ، وأندونيسيا ، والهند الصينية ، والصين ، ولم تكثر كثيرا باليابان ، تلك الدولة الصغيرة ذات الموارد الفقيرة والأسواق المحدودة . ثانيا : بالإضافة الى تجارة الأفيون الشهيرة ، توسعت الصين والقوى الغربية فى تجارة السلع الاستهلاكية الأساسية (فعلى سبيل المثال ، كانت بريطانيا تستورد الشاي من الصين ، وكانت الصين تستورد البضائع القطنية من بريطانيا) . أما بالنسبة لليابان ، فكانت تجارتها محدودة مع الغرب . ولم تكن تلك التجارة تتضمن السلع الأساسية (فقد كانت الولايات المتحدة تستورد السلع الكمالية كالحرير الخام والشاي من اليابان ، وكانت اليابان تستورد كميات قليلة من المنتجات القطنية من الولايات المتحدة) . ثالثا : كانت الصين ترزح تحت عبء دفع تعويضات فادحة أرغمت على دفعها عقب هزائمه المتلاحقة فى حروبها مع القوى الغربية . وأصبحت الصين فى موقف ضعيف بسبب استثماراتها الضخمة فى السكك الحديدية والمناجم والديون الخارجية . وأرغمت القوى الغربية الصين على السماح بنشر

الديانة المسيحية في أراضيها ، كما قامت القوى الغربية باخضاع واستعمار الدول الخاضعة للسيادة الصينية . وتقول مولدر بأن اليابان كانت أقل تعرضا للتدخل الأجنبي فيما يتعلق بالمسائل المالية والسياسية والدينية . وهى تبني هذه الحجج ، التى تؤكد الاختلافات فى البيئة الدولية بتأثيرها على اليابان والصين ، على مناقشة الحقائق تاريخية من أوائل القرن التاسع عشر حتى السنوات الأولى من القرن العشرين .

وأود أن أعرض فى هذا المقال للآراء المتعلقة بالبيئة الدولية ، عندما بدأت اليابان تأخذ بأسباب التقدم ومسيرة طابع العصر ، مع التركيز على بعض الافتراضات الجوهرية . ويسكن للقارىء أن يجد مناقشة أكثر كمالا للأسانيد التى ارتكز عليها فى كتابى :

Nihon Kinkaike no sepaishi-teki

منذ نهاية القرن الثامن عشر ، كانت الصين أحد أضلاع المثلث التجارى ، وكانت بريطانيا والهند هما ضلعى المثلث الآخرين ، وذلك رغم أن الصين كانت تمارس تجارتها فى ميناء كانتون فقط ، وتحت رقابة الحكومة . ودخلت بريطانيا فى حربين مع الصين ، فخاضت حرب الأفيون الأولى عامى ١٨٤١ و ١٨٤٢ ، وحرب الأفيون الثانية فيما بين عامى ١٨٥٦ و ١٨٥٨ ، وكانت تسعى من وراء هاتين الحربين الى التوسع فى تصدير الأفيون للصين ، وفتح أسواق لها بالصين لترويج منتجاتها القطنية بعد ازدهار صناعة المنسوجات القطنية لديها . واضطرت الصين الى الرضوخ بعد أن اتبعت بريطانيا سياسة القوة والتهديد باستخدام اسطولها ، أبرمت معاهدات فى نانكينج Nanking (١٨٤٢) وتيانسن Tientsin (١٨٥٨) وبكين Peking (١٨٦٠) ، وتنازلت عن هونج كونج وكولون Kowloon لبريطانيا ، وفتحت ١٤ ميناء . كما أرغمت على دفع تعويضات ضخمة . وبدءا من عام ١٨٤٤ ، حصلت الولايات المتحدة وفرنسا على نفس الحقوق الخاصة التى سبق أن حصلت عليها بريطانيا بمقتضى المعاهدات التى أبرمتها مع الصين .

اختلف موقف القوى الغربية من اليابان . فالولايات المتحدة التى اتخذت زمام المبادرة ، وأرغمت اليابان على فتح أبوابها على مصراعيها ، لم تكن تهتم بها الا باعتبارها محطة لتموين وتزويد السفن بالوقود وهى طريقها الى الصين ، أو باعتبارها مأوى يلوذ به البحارة اذا ما تحطمت سفنهم ، أى لم تكن الولايات المتحدة تهتم بالتجارة اليابانية فى ذاتها . ورضخ الشوجون لتوقيع اتفاقيات انسى التجارية (مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وروسيا وهولندا) عام ١٨٥٨ (بدءا بمعاهدة هاريس Harris وهى معاهدة الصداقة والتجارة مع الولايات المتحدة) ،

وذلك بعد أن استعرضت بريطانيا تفوقها العسكرى الهائل اثر انتصارها فى حرب الأفيون الثانية ، وبعد أن ترددت اشاعات تفيد بأن الاسطول البريطانى الذى لا يقهر سيجبر اليابان على اقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع بريطانيا . وما أن فتحت اليابان أبوابها على العالم حتى أسرع بريطانيا العظمى - أكبر امبراطورية ودولة صناعية عرفتها الدنيا - الى اقامة علاقات دبلوماسية وتجارية معها .

وعند مقارنة الاتفاقيات التى وقعتها القوى الغربية مع الصين واليابان ، نجد أنها تضمنت فقرات غير عادلة ، كبقاء الوزراء والقناصل بصفة دائمة وتمتعهم بامتيازات ترتبط بمراكزهم ، وانخفاض معدلات التعريف الجمركية والرسوم الجمركية التقليدية ، واقامة مستوطنات أجنبية ، والاختصاص القنصلى فى القضاء ، وتمتع الدول الأجنبية بحق الدولة الأولى بالرعاية . وفى تلك الاتفاقيات كانت هناك فقرات مقصورة على الصين وحدها ، مثل شرعية الاتجار فى الأفيون ، وحق التجار الأجانب فى ممارسة الأنشطة التجارية داخل الصين ، والسماح بنشر الديانة المسيحية ، وتعيين مفتش عام أجنبى بالجمارك للإشراف على الجمارك البحرية بالصين (بدعوى التحقق من قيام الصين بدفع التعويضات) ، ويبين هذا الاختلاف بين البلدين ، وكذلك تنازل الصين عن هونج كونج وكولون ، وقيامها بدفع تعويضات كبيرة . أن بريطانيا والقوى الغربية الأخرى قد مارسست ضغوطا عسكرية وسياسية كبيرة على الصين ، نظرا لأن أسواق الصين كانت تحظى بالأولوية لدى القوى الغربية . كما يتضح لنا أن القوى الغربية قد عاملت الصين بمزيد من القسوة أكثر من اليابان .

ومع ذلك فلا بد من القيام بتحليل مفصل لتحديد ما اذا كانت هذه الاختلافات بين البلدين ، وكذلك أوجه التشابه التى أشرنا إليها أنفا ، هى المسئولة عن تمكن اليابان من النهوض ومسايرة طابع العصر ، بينما واجهت الصين كثيرا من الصعوبات فى سبيل تحقيق ذلك .

لنلق نظرة على العلاقات التجارية للبلدين بالغرب . مما لاشك فيه ان الكم المطلق لتجار الصين واليابان قد اختلف اختلافا شاسعا . كان عدد سكان الصين ٣٠٠ مليون نسمة ، وعدد سكان اليابان ٣٧ مليون نسمة . ورغم هذا التفاوت الشاسع فى عدد السكان ، فقد بلغ اجمالى واردات وصادرات اليابان فى عام ١٨٦٧ - أى بعد أعوام قليلة من بدء حركة التجارة مع الغرب - خمس اجمالى واردات وصادرات الصين لنفس العام ، وذلك رغم أن تجارة الصين مع الغرب كانت قد بدأت قبل ذلك التاريخ بعشرين عاما .

كانت بريطانيا العظمى أكبر مصدر للبضائع للصين واليابان ،
وبلغت صادراتها لليابان ثلث صادراتها للصين بين عامي ١٨٧١ - ١٨٧٥ ،
ثم بلغت خمس صادراتها للصين فيما بين عامي ١٨٨٦ و ١٨٩٠ . وبنهاية
القرن التاسع عشر ، كانت صادرات بريطانيا لليابان قد فاقت صادراتها
للصين بصفة مطلقة . ومن المعروف أن معدل نمو التجارة ككل مع الدول
الغربية كان بطيئا في الصين وسريعا في اليابان .

ولفهم أهمية العلاقات التجارية فهما صحيحا ، دعونا نركز على البضائع
القطنية التي كانت تشكل التجارة الرئيسية في آسيا . فمنذ الخمسينيات
وحتى الثمانينات من القرن التاسع عشر ، كانت البضائع القطنية تشكل
ثلث اجمالي صادرات بريطانيا . وفي عام ١٨٨٢ ، كانت آسيا أكبر سوق
للبضائع القطنية ، فكانت تستوعب ٤٤ بالمائة من اجمالي صادرات بريطانيا
للعالم (وكان نصف هذه النسبة يذهب الى الهند ، والباقي الى الصين ،
واليابان وجاوا ، ومناطق أخرى) . وبلغت واردات اليابان من البضائع
القطنية التي كان أغلبها من بريطانيا ثلث اجمالي وارداتها في الفترة من
عامي ١٨٦٠ و ١٨٨٥ . وظل معدل واردات الصين قريبا من هذه النسبة
حتى نهاية القرن التاسع عشر .

زادت واردات اليابان من خيوط القطن بسرعة ، فقد فاقت وارداتها
من خيوط القطن واردات الصين في الفترة من عام ١٨٧٠ وعام ١٨٨٣ .
وتركزت واردات الصين من القطن على المنسوجات القطنية ، رغم أن
مبيعاتها لم تتغلغل داخل البلاد ، بل ظلت مقصورة على الموانئ والمناطق
المجاورة لها ، في حين أن واردات اليابان من البضائع القطنية انتشرت
بسرعة في كافة أرجاء البلاد ، ووصلت الى اقصى القرى الجبلية النائية .
وطبقا للتقديرات التي أجرتها حكومة الميجي ، فقد كانت اليابان تستورد
٦٧٥ بالمائة من اجمالي ما تستهلكه من القطن في الفترة من عام ١٨٧٤
وعام ١٨٧٧ .

ولا تقتصر أهمية التجارة الخارجية على كمياتها فقط ، بل يمتد
تأثيرها على الانتاج المحلي وحياة الناس . وفي حالة اليابان ، فقد ندفت
المنتجات القطنية عالية الجودة التي كانت تتكون معظمها من الخيوط
القطنية ، مما كان له أثر بالغ على الصناعة المحلية ، فلحق الدمار
بصناعات الغزل اليدوية بالريف ، ونمت صناعة الأقمشة القطنية ، التي
اعتمدت على الخيوط المستوردة بصورة فجائية في بعض المناطق ، وانهارت
صناعة النسيج التقليدية في كثير من المناطق ، التي كانت موطنها لها .
وكانت هذه التطورات أحد العوامل الرئيسية ، التي أدت الى اندلاع

النورات أثناء فترة الاصلاح الميجى . بدأت واردات اليابان من القطن فى الانخفاض فى منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر ، وتحولت اليابان الى تصدير الخيوط القطنية والأقمشة القطنية بدءا من عام ١٨٩٠ . ولا يدين هذا التحول الذى شهدته البلاد بالشئ الكثير للتغيرات التى طرأت على الوضع الدولى بل انه راجع الى الجهود التى بذلها حكومة الميجى لتقييد الواردات والنهوض بصناعة القطن الخاصة ، بعد أن عملت على الاستفادة من الآلات والمعدات التى اسودرتها من الخارج .

ويتضح مما سبق أن الضغوط الأجنبية على اقتصاد اليابان لم تكن أقل من مثيلاتها على اقتصاد الصين . وأنا أعتقد أن ضغوط البيئة الدولية على احدى الدول تعتمد بصورة كبيرة على ما تفعله هذه الدولة لتغيير هذه البيئة .

ورغم حصول التجار الأجانب على حق مزاولة الأنشطة التجارية داخل الصين ، الا أن هذا الأمر انطوى على صعوبة بالغة . وفى معظم الأحوال ، زاول أولئك التجار نشاطهم التجارى من خلال التجار الصينيين الذين كانوا يساعدونهم على بيع منتجاتهم فى المناطق النائية ، وشراء البضائع من داخل البلاد . وعرفت اليابان ذلك الأسلوب التجارى على نطاق واسع أيضا . ولذلك لانرى أن حصول التجار الأجانب على حق مزاولة التجارة داخل البلاد قد لعب دورا هاما فى اختلاف مصير الصين واليابان .

وعلىنا أن نلقى نظرة على موضوع استثمار رأس المال ، لم تعد قيمة استثمارات بريطانيا التى كانت أكبر دولة مصدرة لرأس المال ، واحد بالمائة فى اليابان والصين حتى نهاية عام ١٨٩٠ . وطبقا لتقديرات السيد نيقولاس ردورك أوكوز القائم بالأعمال البريطانى فى الصين ، فقد بلغت ديون الصين ٤٧٠.٠٠٠ ر.ه جنيه استرلينى عام ١٨٨٥ ، وهو ما يعادل ثلث الدخل القومى للصين لنفس العام . ولكن ماذا كان الوضع بالنسبة لليابان ؟ طبقا للتقديرات التى أجرتها حكومة الميجى عام ١٨٧١ ، وهو نفس العام التى ألغت فيه نظام الالتزام الاقطاعى ، وأحلت محله حكومة مركزية تتكون من ولايات ، فقد بلغت ديون حكومة باكوفو والاقطاعات السبع والثلاثين السابقة ١٠ مليون ين (٢٢ مليون جنيه استرلينى) . وتقدمت حكومة الميجى بطلبين للاقتراض من لندن . تضمن الطلب الأول مليون جنيه استرلينى لإنشاء خط سكة حديدية يربط بين طوكيو ويوكوهاما عام ١٨٧٠ ، وتضمن الطلب الثانى ٢٤ مليون جنيه استرلينى لتصفية الرواتب المتوارثة ، التى كانت تتقاضاها طبقة الساموراي السابقة عام ١٨٧٣ . ورغم أن الديون الخارجية تجعل الدول

الدائنة تطالب بامتيازات متعددة من الدول المدينة ، مما يؤثر على أوضاعها فتصبح في موقف ضعيف ، الا أن ذلك الوضع لم يكن له تأثير خطير على الصين أو اليابان آنذاك . وزادت ديون الصين بصورة كبيرة بعد ذلك ، حيث اضطرت الى دفع تعويضات ضخمة بسبب هزيمتها في حروبها مع اليابان (١٨٩٤ - ١٨٩٥) ، وتمرد المصارعين (١٩٠٠) . أما بالنسبة لليابان ، فلم تزد ديونها الا بعد دخولها الحرب ضد روسيا (١٩٠٤ - ١٩٠٥) ، فاضطرت الى الاستدانة لدعم مواردها المالية أثناء الحرب وبعدها . واختلف مفهوم الديون الخارجية في الصين عنه في اليابان .

بالنسبة لليابان ، فلم تزد ديونها الخارجية حتى عام ١٨٩٨ عن تلك الديون التي أشرنا اليها ، ولم تجد صعوبة في تسديد الأصول والفوائد . ويرجع ذلك الى الجهود التي بذلتها الحكومة لتوحيد البلاد ، والنهوض بالاقتصاد القومي ، وتحسين الأنظمة النقدية والمالية :

وتعتمد مولدر على الحقائق التي توفرت بعد الحرب الصينية اليابانية لدعم نظريتها التي ترى أن خضوع الصين للدول الغربية كان أكثر من اليابان ، وذلك فيما يتعلق بالاستثمار والامتيازات . وأنا أرفض مناقشة النتائج وكأنها أسباب ، وعدم الاهتمام بالطريقة التي عالجت بها الدولتان مشكلاتهما في الستينيات والثمانينات من القرن التاسع عشر . وقد عين السير روبرت هارت Sir Robert Hart الانجليزى - مفضنا عاما بإدارة الجمارك البحرية بالصين في الفترة من عام ١٨٦٣ حتى عام ١٩٠٨ ، واعتمدت عليه الحكومة الصينية لبدء المشورة فيما يتعلق بالشئون المالية ، والسياسية ، والدبلوماسية . وازداد نفوذ السير روبرت زيادة هائلة عندما انيطت به مشكلة الديون الخارجية والادارة الخارجية بالصين قرب نهاية حكم أسرة تشينج Ch'ing ، غير أن السلطات الصينية كانت تستطيع - لو شاءت - أن تجعل الدور الذى قام به ذلك الرجل مقصورا على المهام الرسمية المنوطة به فقط (يمكن للمرء مقارنة الدور الكبير الذى قام به هارت في الصين والدور المحدود الذى سمحت به حكومة اليابان للمستشارين الغربيين) . وهذا لايعنى أن وجود وظيفة مفتش عام للجمارك قد ساهم في اعتماد الصين السياسى على الغرب ، أو أدى الى خلق عقبات فى طريق النهوض ومسايرة طابع العصر .

(*) اشارة الى النمرود الذى قام به الصينيون الذين اعتمدوا على فنون المصارعة في مواجهة الأجانب لأنهم كانوا يفتقرون الى الأسلحة الحديثة .

فى مقال بعنوان « امبريالية التجارة الحرة » ، ناقش ج . جاليجار
 Gallager ور . روبنسن R. Robinson (٥) وجهين من
 أوجه التوسع البريطانى فى شتى بقاع الأرض فى منتصف العصر
 الفيكتورى . ارتبط الوجه الأول « بالامبراطورية الرسمية » ،
 أو « التجارة والحكم اذا لزم الأمر » . وارتبط الوجه الآخر « بالامبراطورية
 غير الرسمية » أو « التجارة والتحكم غير المباشر » . وهناك علاقة وثيقة بين
 وجهى التوسع البريطانى . ويطلق المؤلفان على السياسة التوسعية التى
 اتبعتها بريطانيا اسم « امبريالية التجارة الحرة » . ويفسر لنا ذلك سبب
 خضوع الهند - درة التاج البريطانى - للسيطرة الاستعمارية « الرسمية » ،
 بينما خضعت الصين ، واليابان ، وفارس (١٨٣٦ - ١٨٥٧) ، وتركيا
 (١٨٢٨ - ١٨٦١) ، وسiam (١٨٥٥) ، ودول أخرى للتحكم غير
 « المباشر » ، حيث أبرمت بريطانيا معاهدات غير عادلة مع تلك الدول ،
 واستندت على تلك المعاهدات لفرض هيمنتها فى النواحي الاقتصادية
 والسياسية والدبلوماسية . واذا أخذنا فى الاعتبار ظروف النقل
 والمواصلات آنذاك ، وقدره بريطانيا المحدودة على حشد قواتها العسكرية
 فى تلك المناطق البعيدة عنها جدا ، فلا يمكن لنا أن نتخيل أن بريطانيا
 كانت لديها القدرة على غزو أو فرض السيطرة المباشرة على الصين
 واليابان ، ولاسيما أن هاتين الدولتين تتمتعان بتقاليد تاريخية عريقة
 فى الشرق الأقصى . وكانت سياسة السيطرة والهيمنة غير المباشرة التى
 اتبعتها بريطانيا فى الشرق الأقصى ، وذلك بعد أن أخدمت تمرد تايبينج
 Taiping Rebellion ، ووقوفها بجانب أسرة تشينج Ch'ing
 الحاكمة فى الصين وحكومة الميجى فى اليابان ، تدخل ضمن تكتيك معقد
 استعانت به بريطانيا فى مواجهة القوى الغربية الأخرى . وفى معظم
 مناطق القارة الآسيوية أوربية تضاربت مصالح بريطانيا وروسيا . وظهرت
 فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية على مسرح الأحداث كدولتين رأسماليتين
 وصناعيتين ، وأخذتا تتنافسان مع بريطانيا فى كافة أنحاء العالم . وفى
 الوقت الذى أخذت فيه الصين واليابان تفتحان أبوابهما للتجارة ، أخذت
 العلاقات بين القوى الغربية فى التعقد فى منطقة شرق آسيا ، وكانت تلك
 العلاقات تتسم بطابع التعاون تارة وبطابع المنافسة تارة أخرى . وكان فتح
 الصين واليابان بمثابة الحلقة الأخيرة فى تشكيل السياسات الدولية
 الحديثة والسوق العالمى الرأسمالى .

وفيما يلى أهم التطورات التى صاحبت الصراعات التى خاضتها القوى
 الغربية لفرض هيمنتها على قارة آسيا (خرجت الولايات المتحدة من
 السباق مؤقتا بسبب الحرب الأهلية التى وقعت فيما بين عامى

١٨٦١ و ١٨٦٥) ، فقد قامت انجلترا وفرنسا بتنسيق جهودهما في مواجهة الصين في الخمسينات والستينات . وتوغل الفرنسيون داخل فيتنام الجنوبية ، كما امتد نفوذ روسيا الى حدود الصين الشمالية الغربية ، والشمالية . ودخلت بريطانيا في مصادمات مع روسيا حول جزيرة تسوشيما Tsushima عام ١٨٦١ . وانقسمت بريطانيا وفرنسا فيما بين عام ١٨٦٤ وعام ١٨٦٧ حول السياسة المتبعة تجاه اليابان . ودخلت بريطانيا وروسيا في صدام بشأن كوريا ، ابتداء من النصف الأخير من السبعينات . وفي النصف الأول من الثمانينات ، فرضت فرنسا سيطرتها على فيتنام بأكملها ، وقامت بريطانيا بضم بورما .

وهكذا نجد أن ارهاصات الامبريالية الغربية قد بدأت تعلن عن نفسها في شرق آسيا منذ بداية الستينات من القرن التاسع عشر ، ولم تلبث أن نضجت عندما اقترب القرن التاسع عشر من نهايته . وانتهجت الصين سياسة دفاعية ازاء الأزمات التي كانت تنشأ على الحدود ، وازاء الأزمات التي تعرضت لها الدول المجاورة الواقعة تحت سيادتها ، بينما سعت اليابان الى الاستفادة من الظروف المحيطة بها أثناء قيامها بحركة التصنيع ، فعملت على تحويل السياسة الدفاعية التي انتهجتها كل من الصين وكوريا لصالحها ، فبذلت اليابان المجهود الكبير لتحقيق أطماعها في فرض سيطرتها على تايوان Taiwan ، وريكيوس Ryukyus ، وكوريا Korea . وتتبع هذه النزعة التوسعية موضوعا آخر من موضوعات الدراسة ، وذلك نظرا للأثر الذي أحدثته محاولات اليابان للتوسع فيما وراء البحار على تطور الأوضاع الدولية في منطقة شرق آسيا كلها .

وفيما بين الستينات والثمانينات ، توافرت لدى الصين واليابان القدرة على الارتقاء الى مستوى معقول من الاستقلالية عند تعاملهما مع الغرب ، وذلك رغم خضوعهما غير الرسمي لنفوذ بريطانيا . فلا يجدر بالسالم أن يركز فقط على الاختلاف في درجة الخضوع الاقتصادي والسياسي لكل منهما ، ويفغل أو يقلل من الردود الوطنية المختلفة .

لم يبق على الأمم غير الغربية سوى انجاز مهمة واحدة من المهام العديدة التي شهدتها التاريخ الانساني ، الا وهي التصنيع والأخذ بأسباب التقدم . وأثبتت التجارب المبكرة في اليابان التي تمكنت من وضع أسس التصنيع أثناء المييجي اشن وعند نهاية القرن التاسع عشر ، وكذلك أثبتت تجارب ما يعرف الآن بالدول حديثة العهد بالصناعة - industrializing Countries newly ، وتجارب بعض الدول التي بدأت تتجه نحو التصنيع بعد الحرب العالمية الأولى أو الثانية ، أن هذه الدول ستظل تحرص على انجاز مهمة التصنيع والأخذ بأسباب التقدم ، وازدادت

أهمية دراسات المقارنة بين هذه الدول ، بما فيها اليابان . ولم يعد التصنيع الرأسمالي اليوم ممكنا فحسب ، بل أصبح التصنيع الاشتراكي ممكنا أيضا . وكانت تجربة اليابان التي يبلغ عمرها نحو قرن من الزمان محدودة تاريخيا ، فلم يكن لديها خيار سوى الاتجاه نحو التصنيع الرأسمالي لأنه كان هو الخيار العملي الوحيد آنذاك . والمقارنة بين الدول التي اتجهت نحو التصنيع في القرن التاسع عشر ، مثل اليابان والصين وكوريا ، هي مقارنة بين دول اشتركت في هذه التجربة المحدودة . لذلك لا يمكن لهذه النتائج المستمدة من المقارنة بين هذه الدول أن تنطبق على الدول المعاصرة .

ولا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا هذه القيود عندما نحاول استخلاص بعض الدروس من تجربة اليابان ، التي يمكن الاستفادة منها في عمليات التصنيع والتحديث . وتخضع هذه العمليات للبيئة الدولية وما تنطوي عليه تلك البيئة من نواح معقدة ومظاهر متعددة الطبقات .

أولا : باءت كافة الاجراءات التي كانت تحظر التجارة الخارجية بالفشل في النهاية . صحيح أن التجارة الخارجية أضرت الصناعة المحلية ضررا بالغا ، ولكن الحكومة بذلت جهودا منظمة للنهوض بالبلاد ومساعدة القطاع الخاص على النهوض بالصناعة المحلية ، وذلك من أجل التغلب على الآثار الناجمة عن هذا الضرر . وسعت الحكومة الى النهوض بالصناعات التصديرية ، كما سعت الى اذكاء روح المنافسة بين تلك الصناعات ، وذلك عن طريق جلب التكنولوجيا المتقدمة الى البلاد وتوطينها .

ثانيا : لتحقيق التصنيع على المستوى القومي ، كان يتعين وضع نظام اقتصادي مستقر من خلال وضع النظم المالية والنقدية الفعالة التي تدعم الصناعة ، كما كان من الضروري أيضا وضع تعريف جمركية مستقلة وبناء قوة منافسة في مجال النقل البحري ، والتمويل الدولي .

ثالث : كان يتعين وجود سلطة مركزية فعالة في مواجهة السلطات المتعددة التي تتخذ القرار ، وذلك للتخلص من الامتيازات الأجنبية المتعلقة بالتمويل وتنمية الموارد واستثمار رأس المال بصفة عامة ورأس المال الاجتماعي بصفة خاصة . ولتحقيق هذه الأهداف دون اللجوء الى العنف ، كانت الدولة في حاجة الى : (١) دولة موحدة تلتزم بسياسة الاستقلال وتقرير المصير في مواجهة الدول الأجنبية (٢) قاعدة مالية قوية (٣) كفاءة تنظيم السلطة المختصة بالتنمية .

إذا أردنا أن نحدد مدى التزام الدولة بالسعي لتحقيق هذه الأهداف أو عدم حرصها على ذلك ، رغم تعقد العلاقات الدولية ، وما إذا كانت

الجهود التي تبذلها من القوة بحيث تمكنها من تغيير العلاقات الدولية .
فعلينا أن نبحث هذه القضية في إطار رد الفعل الذي تظهره الدولة ازاء
مواقف معينة ، وأنا أعتقد أن هذه النقطة هامة بالنسبة للأبحاث القائمة
على المقارنة ، فاكثافونا بالنظر للبيئة الدولية المحيطة بها يعد عملا لا معنى
له ، بل ان علينا أن نوضح الجهود التي بذلتها الدولة لمجابهة هذه
البيئة الدولية .

وقد بين لنا التاريخ أن الضغوط السياسية والاقتصادية قد تعيق
تقدم الدولة وتزيد من فقر أبنائها ، الا أن التسرع في تنظيم السلطات
الحاكمة ، واتجاه الدولة نحو التصنيع السريع والتحديث ، يخلق
مشكلات أخرى ، ويفاقم من حدة الاحتكاكات السياسية الاقتصادية ،
ويزكي روح العداوات السياسية الخطيرة داخل الدولة . وتؤدي صعوبة
اجماع الرأي على المستوى القومى حول بعض القضايا ، وصعوبة تحقيق
الاستقرار والوحدة القومية - بشكل أو بآخر - الى خلق نظام حكومى
قائم على الاستبداد والتعسف . واليابان خير دليل على ذلك ، فقد تجلت
هذه الظاهرة عندما بدأت اليابان تأخذ بأسباب التقدم ومسايرة طابع
العصر . هذا فضلا عن نزوع الدول من هذا النوع الى السعى وراء تحقيق
سمعة طيبة فى أعين شعوبها وأعين الدول الأجنبية الأخرى ، وذلك عن
طريق اشغال نيران التوتر بينهما وبين الدول المجاورة ، واذكاء النعرة
القومية لكسب تأييد الناس للجهود ، التي تبذلها لمد نفوذها بالخارج .
وترتبط عمليات التصنيع بالجهود التي تبذلها الحكومة لدعم الحكم
المطلق ، والسيطرة على مقاليد الحكم ، فهما وجهان لعملة واحدة . واقتربت
رغبة اليابان فى التوسع فيما وراء البحار بمصالح القوى الغربية ، وأدت
الى حدوث تغيرات كبيرة فى إطار العلاقات الدولية بين القوى الغربية فى
شرق آسيا . وكانت تلك العلاقات تتسم بطابع التعاون تارة ، وطابع
الصراع والتنافس تارة أخرى . ولا يجب أن تغيب عن أذهاننا تجربة
اليابان التاريخية عند دراسة سبل التقدم والرقى فى الدول غير الغربية .

مراجع وملاحظات :

(١) Edwin O Reischauer and John F. Fairbank, East Asia :
The Great Tradition (Houghton Mifflin, Boston. 1958).

(٢) P. A. Baran, The Political Economy of Growth (Monthly
Review Press, New York. 1957).

(٣) F. Y. Moulder, Japan China and the Modern World Evo-
nomy (Cambridge University Press, Cambridge, 1977).

Shibahara Hakuji. Nihon Kinkai no Sekaishi-teki ichi (1)
(Japan's Modernization : A Study in the International
Context) (Iwanami Shoten, Tokyo, 1981).

J. Gallagher and R. Robinson, "The Imperialism of Free (2)
Trade", Economic History Review, 2nd Series, 6 no. 1
(1953).

العلاقات الدولية فى أوائل عهد الميجى اشن

بقلم

وان فنج Wan Feng

أكاديمية العلوم الاجتماعية بالصين

بكين - جمهورية الصين الشعبية

يركز هنا المقال على العلاقات الدولية التى أحاطت باليابان أثناء حكم باكوماتسو ، مع التأكيد على تأثير الأحداث التى وقعت بالصين على اليابان فى الأعوام السابقة للميجى اشن . وكان قد طرأ تغيير على الأدوار التى تقوم بها القوى الرأسمالية والاستعمارية الغربية ، ووصلت العلاقات الدولية فى الشرق الأقصى الى منعطف خطير .

ويرجع اهتمام القوى الغربية بالشرق الى القرن السادس عشر ، أو ما يطلق عليه كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) بداية الحقبة الرأسمالية . وفى عام ١٥٠٩ كان لدى البرتغال حاكم عام فى الهند . وفى عام ١٥١٧ وصلت ثمانى سفن حربية برتغالية الى مصب نهر التسويانج Zhujiang عند مدينة كانتون ، وأطلقت نيران مدافعها لارهاب سكانها . وفى العام التالى أقامت القوات البرتغالية تحصينات فى تامنج Tammang (جزيرة سانت جون) عند مصب النهر ، لشن هجمات على داخل البلاد . وهناك حادث تاريخى آخر مشهور ، وهو انحراف سفينة برتغالية حتى وصلت شواطئ جزيرة تانجاشيما Tanegashima اليابانية عام ١٥٤٣ أو عام ١٥٤٢ طبقا لاحدى الروايات) . وبدأ احتلال البرتغال للفلبين فى ذلك الوقت . وكانت إسبانيا والبرتغال تمثلان القوى الغربية ، التى انطلقت تغزو شرق آسيا

فى القرن السادس عشر ، ثم حلت محلها هولندا وانجلترا فى القرن السابع عشر ، وتفوقت بريطانيا على كافة منافسيها الغربيين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فسيطرت على زمام الأمور فى الشرق . وفى الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر ، طرأت تغيرات كبيرة على العلاقات الدولية فى الشرق الأقصى ، بعد أن قامت بريطانيا ودول الغرب الرأسمالية الأخرى بحملات طموحة للتوسع والاستعمار . وتجسدت تلك المطامع الاستعمارية فى غزو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا للدول الأخرى ، فى الفترة من عام ١٨٤٠ - ١٨٦٠ ، وتوقيع اتفاقيات غير عادلة مع الصين (فى الأربعينات) واليابان (فى الخمسينات) لارغامها على فتح الموانئ . وأسهمت تلك التغيرات الكبيرة التى شهدتها العلاقات الدولية فى الشرق الأقصى فى إنهاء العزلة الطويلة ، التى فرضتها اليابان على نفسها على مدى قرون طويلة ، وفى اسقاط حكومة طوكوجاوا وقيام الميجى اشن على أثرها .

يعتبر معظم المؤرخين أن فصلة الضغوط الغربية بدأت بعد وصول الأسطول الأمريكى بقيادة الكومادور ماثيو بيرى (١٧٩٤ - ١٨٥٨) الى شواطئ اليابان ، ولكنى أرى أن الضغوط الغربية قد بدأت بعد أن شنت بريطانيا حرب الأفيون الأولى والثانية على الصين . وتحولت الأنظار الى الصين بعد حرب الأفيون الأولى (١٨٤٠ - ١٨٤٢) ، وتأثرت اليابان بما كان يجرى فى الصين . وأرغمت الصين على فتح موانئها وإبرام معاهدات غير عادلة مع الغرب فى الأربعينات ، وتكرر نفس الشئ فى اليابان فى الخمسينات . وفى الحالتين حاولت القوى الغربية البورجوازية إصلاح النظام الاقطاعى العتيق فى الشرق الأقصى ، واقامة أسواق رأسمالية موحدة .

أما السبب الذى دعا القوى الغربية الى تركيز عدوانها فى الشرق الأقصى على الصين ، فهو أن تلك القوى الغربية كانت ترى أن الصين أكثر أهمية من اليابان ، ففيها تركزت المصالح الاستعمارية والمؤسسات الاستراتيجية . لذلك كانت اليابان محظوظة بحق .

ان تحليلي للعلاقات الدولية فى آسيا فى نهاية عهد طوكوجاوا يحملنى على الاعتقاد بأن عدوان القوى الغربية على الصين قد عجل بسقوط حكومة طوكوجاوا فى اليابان ، وخلق ظروف مواتية لتحقيق الميجى اشن .

كانت حرب الأفيون التى أدت الى فتح واحتلال موانئ الصين ، ضدمة عنيفة أيقظت الوعى القومى لدى اليابانيين ، وعملت قسوات الساموراي ذات الرتبة الأدنى التى أطاحت بحكم طوكوجاوا على الاستفادة

من دروس الصين بعد أن اعتدت عليها القوات الغربية . وقد تأثر شوزان ساكوما Shozan Sokuma (١٨١١ - ١٨٦٤) - أحد قادة الفكر في عهد باكوماتسو - تأثرا شديدا عندما قرأ جريدة هايكو توتشي Haikuo Tuchih (الجريدة المصورة التي تسجل الشؤون الدولية) ، التي كان يحررها العالم الصيني واى يوان Wei Yuan (١٧٩٤ - ١٨٥٧) ، وندب حظه العائر الذي جعله يولد في الزمن العسير ، فلا يعرف شيئا عما يحدث للآخرين . ذهب تاكاسوجى شينساكو Takasugi Shinsaku (١٨٣٩ - ١٨٦٧) ، الذى عمل على تنظيم وقيادة الوحدات المحلية غير النظامية بمقاطعة تشوشو ، الى شنغها بالصين برفقة كوزاكا جنزوى Kusaka Genzui (١٨٤٠ - ١٨٦٤) رفيقه فى السلاح ، ووفقا على ما يجرى فى الصين . وكانت تجربة الصين تكفى لاقناعهما بضرورة اتخاذ كافة الاجراءات الممكنة للحيلولة دون الانزلاق الى مستنقع الاستعمار كما حدث للصين ، والحفاظ على استقلال البلاد . وجعلت صدمة حرب الأفيون اليابانيين يسارعون الى اجراء اصلاحات موسعة بالبلاد ، وذلك تحت شعار « لنعمل على اثراء البلاد والنهوض بجيشها » . وكان اليابانيون يعترفون بسيادة التقاليد الصينية ، التى تمثلت فى التعاليم الكونفوشية فى عالم الروح ، وسيادة العلوم الغربية فى مجال التكنولوجيا . لذلك اعتمدوا على العلوم الغربية لتحقيق شعار « الأخلاقيات شرقية أما التقنيات فغربية » أو « الروح اليابانية والمعرفة الغربية » . وبقيام الميجى اشن تحولت اليابان تحولا تاما الى الثقافة الغربية ، فتراجعت مكانة الثقافة التقليدية .

واستفادت القوى الغربية من تجربة الصين بعد العدوان ، فعملت على خلق وجود شبه استعماري لها فى اليابان . ويمكن تلخيص الدروس التى استخلصتها القوى الغربية من تجربتها فى الصين بعد حرب الأفيون على النحو التالى :

أولا : أهمية ابرام معاهدات غير عادلة تخولها حق الدولة الأكثر رعاية . وقد أجرى تعديل على معاهدة كاناجاوا Kanagawa (١٨٥٤) ومعاهدة انسى (١٨٥٨) بحيث تتشابه مع المعاهدات التى تم ابرامها بين الصين والقوى الغربية - كمعاهدة نانجينج Nanjing ، التى أبرمتها بريطانيا عام ١٨٤٢ ، ومعاهدة وانجشا Wangsha ، التى أبرمتها الولايات المتحدة عام ١٨٤٤ ، ومعاهدة تيانتنسن Tientsin ، التى أبرمتها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا عام ١٨٥٨ . وقد جاء على لسان لورد إلجين Lord Elgin (١٨١١ - ١٨٦٣) قوله ، « ان تلك المعاهدات كانت سلاحا موضوعا على عنق الصين » .

ثانيا : التأكيد على استخدام القوة المسلحة . شنت القوى الغربية عدة حروب عدوانية واسعة النطاق على الصين . فقد كانت مقتنعة بفاعلية السلاح ، ولكنها لم تلجأ الى استخدام القوة العسكرية المباشرة لحمل اليابان على ابرام الاتفاقيات غير العادلة ، وان لوحث بإمكانية استخدام قوتها العسكرية لدعم مطالبها . وقد استخدمت القوى الغربية قواتها العسكرية لسحق العناصر المعادية للأجانب فى اليابان . وشنت بريطانيا حربا على اقطاعية ساتسوما Satsuma . وقام الأسطول الذى كان يتكون من البوارج الحربية البريطانية ، والأمريكية ، والفرنسية ، والهولندية بالهجوم على اقطاعية تشوشو Choshu ، واحتلتها لفترة قصيرة . وفى كلتا الحالتين ، استعرضت القوى الغربية تفوقها العسكرى .

ثالثا : توخى الحرص فيما يتعلق بالانتفاضات الشعبية والقوات المناوئة لحكم طوكوجاوا ، فقد عانت القوات الغربية معاناة شديدة من الانتفاضات الشعبية التى اشتعلت فى الصين ، مثل ثورة بنج ينج توان Ping-Ying Tuan المناوئة للانجليز (١٨٤١) ، وتمرد تايبنج Taiping Rebellion (١٨٥١ - ١٨٦٤) . لذا حرصت القوى الغربية على عدم استثارة اليابانيين أو دفعهم الى الثورة ، كما اتخذوا موقفا مرنا تجاه القوات المناوئة لحكم طوكوجاوا . وبعد أن قام الوزير البريطانى الذى كان عميدا للدبلوماسيين الغربيين باليابان بدراسة الوضع الدولى والمحلى ، تخلى عن أساليب الضغط المسلح على اليابان ، واتبع سياسة المهادنة ، فأقام علاقات حميدة مع العناصر المناوئة لحكم طوكوجاوا فى اقطاعيتى ساتسوما وتشوشو ، لتشجيع الحركات الشعبية التى كانت تهدف الى تحويل اليابان من مجتمع اقطاعى الى مجتمع عصرى عن طريق الاصلاحات التدريجية . ورغم المحاولات التى قام بها ليون روش Leon Roches (١٨٠١ - ١٨٠٩) الوزير الفرنسى - لتأييد الشوجونية ، لجعلها العوبة فى يد فرنسا ، الا أن الغلبة كانت للخط السياسى الذى اتبعته بريطانيا . والتزمت القوى الغربية بسياسة الحياد ازاء حرب بوشن Boshin War (١٨٦٨ - ١٨٦٩) ، ورفضت التدخل فى تلك المعركة المحلية التى وقعت بين القوات المناوئة لحكم طوكوجاوا وقوات الشوجون . وكان ذلك الحياد أحد العوامل الهامة على الساحة الدولية ، التى ساهمت فى اسقاط الشوجون ونظامه .

لم تعتمد القوى الغربية على التجارب المستمدة فى فتح الصين فحسب ، وانما اعتمدت على الدبلوماسيين والقادة العسكريين ، الذين لعبوا دورا قياديا فى حروبها مع الصين . ونال أولئك الرجال شهرة عريضة ، عندما أغاروا على اليابان . وها هى أسماء البعض منهم : لورد الجين (١٨١١ - ١٨٦٣) ، وسير روثر فورد الكوك (١٨٠٩ -

(١٨٩٧) . وسير هارى سميث باركس (١٨٢٨ - ١٨٨٥) ، من بريطانيا ،
وهمفري مارشل (١٨١٢ - ١٨٧٢) ، وتونسند هاريس (١٨٠٤ -
١٨٧٨) ، من الولايات المتحدة الأمريكية ، وجان بانتست لوى جرو
(١٧٩٣ - ١٨٧٠) ، من فرنسا ، والأدميرال ايفيمى فاسيليفتش بوتياتن
(١٨٠٣ - ١٨٨٤) ، من روسيا .

وكان الجين ايرلا شريفا بريطانيا ، أما « جرو » فكان بارونا فرنسا ،
وأرسلتهما الحكومتان الانجليزية ، والفرنسية الى الصين وأثناء حرب
الافيون الثانية ، التى أشعلت نيرانها الحادثة المعروفة بحادثة « السهم »
عام ١٨٥٦ . وقد كلف الرجلان بإبرام معاهدات مع الصير أكثر اجحافا
من المعاهدات غير العادلة التى أبرمت مع الصين أثناء حرب الافيون الأولى .
وأسرع الرجلان بالتوجه الى اليابان بعد وصول أنباء تعيد بأن الولايات
المتحدة أبرمت معاهدة مع اليابان (معاهدة أنسى) للتفاوض بشأن إبرام
معاهدات مماثلة . وكان لورد ألجين هو المحرض الأول على حريق القصر
الصيفى (Yuan-Ming Yuan) عام ١٨٦٠ ، الذى كان يبعد
١٥ كيلو مترا شمال غرب بكين . وقد اهتز العالم كله من هول ذلك
الحدث المريع .

كان همفري مارشل (Humphery Marshal) مفوضا أمريكيا لدى
الصين ، واشترك فى المؤامرات والمناورات لقمع تمرد تايبينج . ثم رحل الى
اليابان بضرورة إبرام معاهدة أنسى . وقبل وصوله الى اليابان ، كان يعمل
عام وأول وزير ترسله أمريكا الى اليابان . وقد لعب دورا هاما فى اقناع
اليابان بضرورة إبرام معاهدة أنسى . وقبل وصوله الى اليابان ، كان يعمل
قنصلا فى نينجبو Ningbo . حيث قام بدور قيادى فى تدخل أمريكا
فى الصين .

عمل سير روتر فورد الكوك Rutherford Alcock قنصلا فى
فوزهو Fuzhou ، ومناطق أخرى من الصين ، قبل أن تعينه بريطانيا
قنصلا عاما لدى اليابان عام ١٨٥٨ ، (وأصبح وزيرا فى العام التالى) .
وكان يوافق حكومته فى بريطانيا بكل ما يجرى فى اليابان أثناء اقامته
بها ، وساهم اسهاما كبيرا فى رسم سياسة بريطانيا فى اليابان .

وقدم سير هارى سميث باركس Harry Smith Parkes
الى الصين ، وهو فى الثالثة عشرة من العمر ، وشارك فى الأنشطة العدوانية
البريطانية ، وهو لا يزال فى سن صغيرة . وكان يعمل وكبل قنصل فى
كانتون بالصين عام ١٨٥٣ . وهو العام الذى وصل فيه الأسطول الأمريكى
بقيادة الكومادور بيرى الى شواطئ اليابان ، ثم عمل مندوبا بريطانيا
فى الصين أثناء حرب الافيون الثانية . وفى عام ١٨٦٥ ، أى بعد سقوط

تايبينج Taiping Tianguo (مملكة تايبينج) بفترة قصيرة ، عينته الحكومة البريطانية وزيرا في اليابان ، خلفا للسيد روثر فورد الكوك . وظل يشغل ذلك المنصب لمدة ١٨ عاما . وكان شخصية كلاسيكية بين الدبلوماسيين الغربيين ، وذلك نظرا لأنه كان أحد المحاربين القدماء ، الذين ساهموا في غزو الصين ، وحاولوا مد النفوذ الغربى الى اليابان .

وكان الكونت فاسيليفتش بوتياتن أدميرالا بالبحرية الروسية . وزار بوتياتن اليابان لأول مرة كمبعوث خاص عام ١٨٥٣ . وباتت مفاوضاته مع حكومة باكو فو بالفشل ، وكانت تلك المفاوضات تهدف الى اقامة علاقات تجارية مع اليابان وتسوية القضايا الاقليمية . ثم ذهب بوتياتن الى الصين ، وأخذ يضغط على كانتون وشنغهاي للفوز بنفس المعاملة الخاصة التي حصلت عليها انجلترا من الصين . وفي عام ١٨٥٧ ، زار الصين مرة أخرى كمفوض فوق العادة ، وحاول ارغام الحكومة الصينية على ابرام معاهدة تتنازل بمقتضاها لروسيا عن بعض أراضيها . وفي عام ١٨٥٨ ، عينته الحكومة الروسية مندوبا ساميا في الصين ، فنجح في عقد معاهدة تيانجن Tianjin (تيانتنس Tientsin) مع الصين ، مستغلا سيطرة انجلترا وفرنسا على المدينة .

استفادت بقية دول آسيا من مقاومة بعض دول آسيا الأخرى للقوى الغربية الاستعمارية . ويطيب لى أن أؤكد فى هذا الموضع على أن مقاومة الشعب الصينى للاستعمار والاقطاع قد ساعدت على اعاقه تقدم القوى الغربية نحو اليابان ، كما ساعدت على اسقاط نظام الشوجونية ، ونجاح الميجى اشن بطرق مختلفة . وأعاق تمرد سيبوى Sepoy Mutiny الذى وقع بالهند عامى ١٨٥٧ - ١٨٥٨ ، الغزو البريطانى للصين ، ولو بشكل مؤقت . كما أعاق الحركات الشعبية التى قامت بالصين هجوم القوى الغربية على اليابان . كما أن انتفاضات بينج - يانج توان Ping-Ying Tuan وتايبينج Taiping وهسيو تاو وهوى Hsiqo-Tao-Hui (جمعية السيف القصير) ، وتمرد نين Nien والمسلمين وجهت ضربة شديدة للقوى الاستعمارية والأسر الحاكمة فى الصين . وتركت القوات المسلحة الصينية المناوئة للثورة التى عرفت باسم « الجيش المنتصر للأبد » ، بصماتها على التاريخ ، بعد أن سحقتم تمرد تايبينج ، وتولى قيادة ذلك الجيش رجل أمريكى يدعى فريدريك تونسنند وارد (١٨٣١ - ١٨٦٢) ، ثم مغامر أمريكى يدعى هنرى اندريه برجيفين (١٨٣٦ - ١٨٦٥) ، ثم الضابط الانجليزى تشارلز جورج جوردن (١٨٣٣ - ١٨٨٥) ومن المؤكد أن الشعب اليابانى كان سيعانى الأمرين لو قدر لذلك الجيش أن يطأ أرض اليابان .

ومن العوامل الأخرى التى لعبت دورا حاسما لصالح اليابان أن الصين نالت اهتمام القوى الغربية أكثر من اليابان ، حيث كان للصين أولوية استراتيجية لدى تلك القوى ، فاستفادت اليابان من تفضيل الصين عليها . وعانت الدولتان نفس المصير ، فهما قد ذاقتا مرارة التجارب شبه الاستعمارية على يد القوى الغربية الرأسمالية ، ولكن التنمية فى كل منهما قد اتخذت مسارا مختلفا عن الأخرى . ويعزى المؤرخون الغربيون والشرقيون سبب اختلاف مسار التنمية فى البلدين الى اهتمام القوى الغربية بالصين . وكتب المؤرخان الأمريكيان هوزيا بالو مورس Hosea Ballou Morse (١٨٥٥ - ١٩٣٤) (١) وهارلى فارنز ورث ماك نير Harley farnsworth MacNeir (١٨٩١ - ١٩٤٧) عن الحظ الوافر الذى وقف بجانب حكومة باكوماتسو باليابان ، فنجت من القلاقل لسنوات طويلة ، بينما ظلت الصين محورا لأطماع القوى الغربية . وتظهر لنا هذه الملاحظة مقدار ادراك الدول الغربية الاستعمارية الرأسمالية للأهمية الاستراتيجية للصين فى القرن التاسع . وقد ظل غزو الصين ونهب ثرواتها حلما يراود خيال القوى الاستعمارية الامبريالية ردحا طويلا من الزمن ، فكانت تلك القوى الاستعمارية تنظر الى الصين - كما يقول التعبير الصينى - وقد « سال لعابها ثلاثة أقدام » .

وقد كرست القوى الغربية جهودها لتحقيق تلك الغاية بدءا من توقيع معاهدة نانجينج Nanjing ، قحظت روسيا بالنصيب الأوفر ، بينما أبت اليابان التنازل حتى عن النذر ليسير من أراضيها ، حتى بعد أن أبرمت معاهدة كاناجاوا ومعاهدة أنسى ، وكانت الاستثناءات مؤقتة . فعلى سبيل المثال ، لم يتابع الروس غزوهم لجزيرة تسوشيما Tsushima فى عامى ١٨٦٠ - ١٨٦١ . وتم تسوية النزاع الذى أسفر عن الهزيمة التى لحقت باقطاعية ساتسوما عام ١٨٦٣ فى المعركة البحرية التى شارك فيها الأسطول البريطانى ، وكذلك الهزيمة التى لحقت باقطاعية تشوشو عام ١٨٦٤ على يد القوات البريطانية والأمريكية والفرنسية والهولندية ، فاكتمل المنتصرون باجبار اليابان على دفع تعويضات . وخلاصة القول هو أن الأهمية الاستراتيجية للصين فاقت الأهمية الاستراتيجية لليابان . ولو انقلبت الآية ، لكانت اليابان قد عانت نفس المصير ، الذى عانت منه الصين .

(١) هـ . ب . مورس حصل على المواطنة البريطانية فى عام ١٩١٧ .

ثالثا :

السياسة والشخصية

الميجى اشن وسياقها السياسى

بقلم

ناجيتا تيتسوو Najita Tetsuo

جامعة شيكاغو

شيكاغو - الينوى - الولايات المتحدة الأمريكية

نظرا لان مجال تخصصى هو التاريخ الفكرى للسياسة ، فسوف يتطرق مقالى لهذا المجال وعلاقته بالميجى اشن . وأحب أن أؤكد على نقطة سبق لى أن أشرت اليها مرارا ، وهى أن كلمة « استعادة » Restoration ليست الترجمة الدقيقة للفظ « اشن » اليابانى . وقد أثر سوء الترجمة هذا على تفهم الحركة فى أوروبا وأمريكا . فحرف « i » فى عبارة Meiji Ishin يعنى جمع كافة فئات المجتمع المتفرقة ، وتقسيمها الى مجموعات . ويعنى مقطع “shin” الانطلاق فى اتجاه جديد . لذلك لا تدل كلمة الاستعادة على المعنى الثورى الذى يتضمنه مقطع shin فكلمة استعادة Restoration تعنى استعادة الامبراطور لقوته وهيمنته ، كما حدث فى بريطانيا بعد كرومويل Cromwell ، أو فرنسا بعد نابليون . ولكن لم يكن لامبراطور اليابان أية قوة حتى يستعيدها بعد فقدانها . ولم تكن الصورة الرائعة التى احاطته بها الميجى اشن ، الا نتاجا للتركيب الأيديولوجى لليابان فى العصر الحديث ، ولم تكن ضمن الميراث التاريخى اليابانى .

وبعد فهمنا لعبارة shin فهما صحيحا ، اسمحوا لى أن أقدم الفكرة الرئيسية التى يستند عليها هذا المقال . ويمكن ايجازها على النحو التالى :

ان الأحداث التحولية ، أو ما دعاه ميشيل فوكو Michel Foucault بالعتبات Thresholds ، لاتحدث تلقائيا الا في القليل النادر ، ان حدثت ، فلا بد من وجود دافع يحركها . ويتمثل هذا الدافع في تاريخ طويل من وضع المفاهيم النقدية . وأعتقد أن انطونيو جرامشي Antonio Gramsci كان محقا حينما وصف هذا اللون من التفكير بأنه « جهد نقدي مكثف من جهود فن النقد » . ومن ثم لا ينبغي أن نعالج التاريخ الفكري للسياسة على أنه مجرد رحلة داخل الأمور المجردة ، بل باعتباره جهدا ابستمولوجيا (قائما على المعرفة النظرية) . واذا طبقنا هذا على الميجي اشن ، لوجدنا أن الرجال الذين انتقدوا « الوضع القائم » آنذاك ، وعملوا على تغييره ، فحولوا الحكومة الاقطاعية غير المركزية (hoken) الى حكومة بيروقراطية مركزية (Kokka) وحولوا الاقتصاد الزراعي والتجاري الى اقتصاد قائم على الصناعة والتكنولوجيا ، يتجسد في منظمات واسعة النطاق . وكانوا يتمتعون بادراك فكري قائم على الشوارد والسوانح التي استمدوها من تاريخ الأعمال الفكرية السابق على عصرهم ، وهي مفاهيم قريبة من الفطرة العامة التي لا تحتاج لتأويل العلماء . وسواء كانت الميجي اشن تضم بين صفوفها رجالا أمثال ساكوما شوزان Sakuma Shozan ، ويوشيدا شوين Yoshida Shoin ، وساكاماتوريوما Sakamoto Ryoma ، وكيدو كوين Kido Koin ، واكوبو تو شيميتشي Okubo Toshimichi واواساكي ياتارو Iwasaki Yataro وشيبوساوا ايتشي Shibusawa Eiichi الذين أوتوا القدرة على الاقناع والتأثير ، ولعبوا دورا هاما في الميجي اشن ، الا أنه يوجد هناك قاسما مشتركا من المعرفة ، ووعيا مشتركا بأفكار وأنشطة الآخرين ، رغم احتدام الجدل والخلاف الذي تجسد في مقتل عدد من المجاهدين الشباب ، أمثال ساكوما Sakuma و ساكاموتو Sakamoto ويوشيدا Yoshida واكوبو Okubo . وأنا أحاول أن أبين أن هؤلاء الرجال الذين ساعدت أنشطتهم في بناء اليابان وايدلوجياتها المعاصرة كانت أفكارهم نتاجا لمحاولات نقدية سابقة .

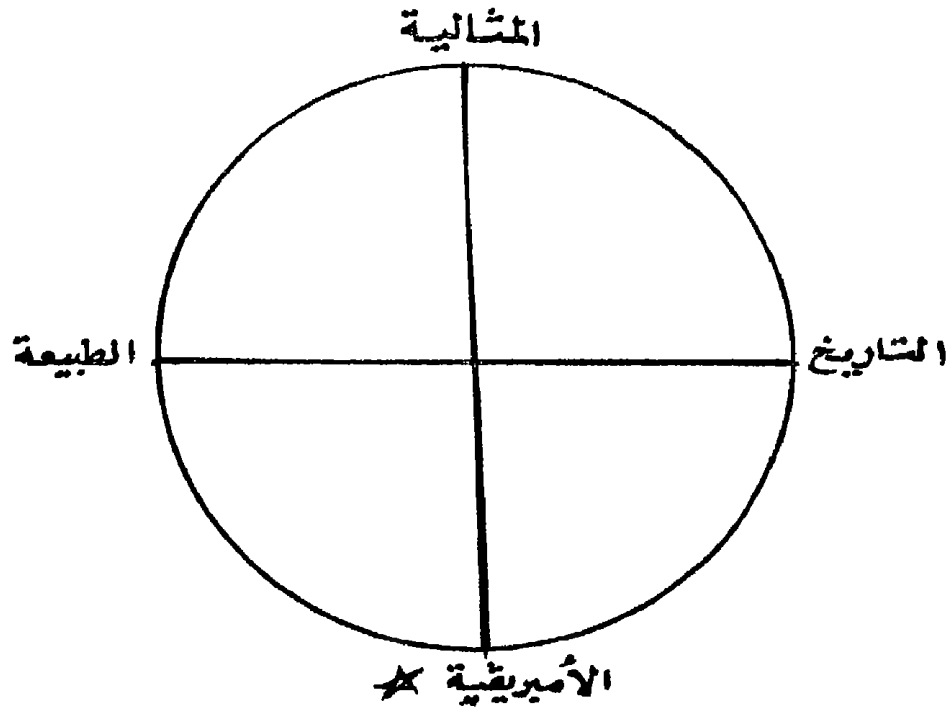
وأود أن أؤكد على أن تلك المحاورات كانت تتضمن آراء ذات صبغة كونية وعالمية طوعت لتكوين رؤية حول النشأة التاريخية لليابان أو طبيعتها في اطار مطلق انطولوجي(*) . سمح لهم بتكوين رؤية تنظر لليابان باعتبارها رافدا من روافد النهر العالمي ، أو نهر المعرفة المقارنة ، ومن ثم اعتبروا الانشغال بالعلوم الدنيوية أساسا من أسس القوة . وبقول آخر أدت هذه النظريات المعرفية العالمية الى خلق أيديولوجيات تابعة من الفطرة الانسانية ، استطاع بها اليابانيون اقامة نطاق جديد على أنقاض النظام

(*) الانطولوجيا علم يبحث في المنشأة الميتافيزيقية للأشياء (المترجم) .

السابق ، أى أن الايديولوجية التى ترى أن المعرفة العالمية تكمن أساسا فى الطبيعة أضحت قاعدة القوة والثروة اللتين باتتا جزءا من واقع البيئة الجديدة لليابان ، التى نظم اليابانيون وفقها العمليات القانونية والانتاجية لأول ثورة من ثوراتهم الصناعية فى الثمانينات من القرن الماضى . ولا بد أن يعتمد تفسير الميجى اشن على المحاورات التى انتشرت فى القرن الثامن عشر فى مجال المعرفة والطبيعة والتاريخ والاقتصاد السياسى أو ما يعرف بالجدل حول Keisei saimin وهو الاسم الذى يطلقه عليه اليابانيون بصفة عامة : أى تنظيم المجتمع وانقاذ البشرية . وفى العصر الحديث ذابت عبارة Keisei saimin فى كلمة Keizai التى استخدمت فى اليابان للدلالة على كلمة « اقتصاد » كما يفهمها الغرب . ومع ذلك كانت العبارة فى القرن الثامن عشر تشير الى احدى قضايا فلسفة المعرفة ، وهى قضية ارساء أسس المعرفة اليقينية (Sure Knowledge) عند القيام بتنظيم المجتمع وانقاذ البشر . ما المقدمات التى يمكن من خلالها البحث عن المعرفة وتطبيقها بعد ذلك داخل النظام السياسى الذى ارتضى هذه المعرفة ؟ يبين لنا الشكل رقم (١) المصادر الأساسية التى استندت اليها المحاورات حول الاقتصاد السياسى ، وأثرها على مشكلة الوعى الفكرى النقدى فى مرحلة الميجى اشن .

لقد وضعت هذه الأشكال التوضيحية لبيان أن المقارنة بين الأحداث التاريخية العظيمة تقتضى الاستعانة بالتنميط "typologizing" أى تجميع الظواهر التى تنطوى على معان عامة وتصنيفها فى أنماط أو فئات . ورغم أنها عملية قد تهدر بعض المعلومات ، اذ لا يمكن لآى نظام تنميطى استيعاب كل شئ ، الا أن هذا النظام يساعد على اجراء المقارنة بين الأحداث التاريخية . ويبدو لى أن المؤرخين كثيرا ما يعتمدون على خبراتهم الخاصة لابرار أوجه الاستثناء ، وهى مهارة محدودة فى حد ذاتها ، الا أنها قد تضلنا عن المعنى العام ، فتظهر الأحداث وكأنها أحداث عرضية لا تشير الى التطور الانسانى بمعناه الواسع . وأنا ان كنت لا اعترم الخوض فى هذه المعضلة التاريخية فى هذا المقال ، الا أننى أنوه بها هنا لأن الكثير من أحداث التاريخ اليابانى ، بما فيه أول ثورة تشهدها آسيا ، وأقصد بها الميجى اشن باليابان ، قد فسرت وعملت وكأنها ظواهر استثنائية غريبة على الفكر الأوروبى ، وفريدة من نوعها . ومن ناحية أخرى ، فقد عمل النقاد الثقافيون باليابان فى القرن العشرين على تأكيد تفرد الميجى اشن بادعائهم تفرد اليابان عن غيرها فى ثقافتها عبر التاريخ ، واستعانوا بأسطورة سلسلة الأباطرة المتصلة التى يؤكدتها دستور اليابان الحديث ، لتدعيم هذا المنظور لاستمرارية الثقافة اليابانية استمرارية

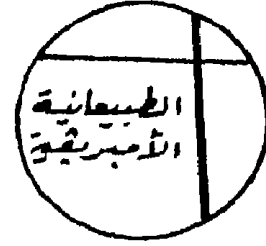
تميزها عن غيرها ، وساعد على تأكيد هذه الفكرة الترجمة الخاطئة لكلمة « اشن » بمعنى استعادة [الأمباطور لسلطته] ، فأوحت بانقلاب قادة القصر لاستعادة سلطة الأمباطور كما حدث مع الملوك فى أوربا الذين استطاعوا استعادة سطوتهم عن طريق الانقلابات . ومن ثم بهتت الايماءات المتضمنة فى الكلمة التى تعبر عن التحول السياسى عندما ترجمت . وفقدت الكلمة قيمتها التاريخية باعتبارها تحولا جذريا عن مسار الماضى ، ويتمثل هذا التحول فى الاعادة الكاملة للبنيان السياسى بما فى ذلك النظم الايدولوجية ، والتعليمية والاقتصادية بغية حشد طاقة الشعب ، وتحقيق الثراء ، والقوة ، واستقلال الامة - وهى أهداف ثورية مازالت الكثير من شعوب العالم تتطلع اليها حتى اليوم فى كثير من أنحاء العالم . ولسنا نشك فى أن الميجى اشن قد أضفت على سلطة الامباطور معنى جديدا واستنفرت قواه ، الا أننا نؤكد على أننا مهما وسعنا مدلول « الاستعادة » ، فيظل عاجزا عن ايفاء الابعاد التحولية التى تنطوى عليها كلمة اشن .



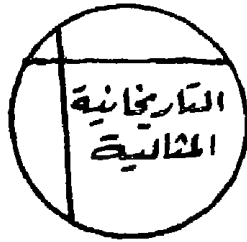
الأنماط



أ



ب



ج



د

الشكل (١) نماذج المذاهب الفكرية الأساسية

كما أسىء فهم الشخصيات المرتبطة بالاصلاح الميجى • وقد اعتاد المرء اطلاق بعض المسميات على تلك الشخصيات مثل « التقليديين أو الاقطاعيين أو الكونفوشيين » ، مما يوحي بأن تلك الشخصيات كانت تفتقر الى القدرة العقلية اللازمة لاجداث التحول فى هجومها على النظام القديم • وكثيرا ما يقال ان مجموعة صغيرة من رجال الساموراي الطموحين قد ردت الى النظام الامبراطورى هيئته لدعم مصالحها السياسية الضيفة • وهو رأى يتمثل فى تجنب المؤلفات الغربية التى وضعت للميجى اشن اليابانية لاستخدام كلمة الثورة ، فى حين أنها تفيض بالحديث عن الثورات الأخرى التى قامت فى ألمانيا وكوبا والمكسيك وفيتنام • اننى أعتقد أننا ابتعدنا عن مفهوم اشن باعتبارها ميدانا من ميادين السياسة نظرا لصعوبات فى

(*) الامبريقية أسلوب ينحو الى رفض المعرفة المسبقة وينحو الى التجريب والاستقراء •

تفسيرها تعرقل من فهمنا لها ، وتقلل من قدرتنا على تفهم المنازعات والمجادلات العنيدة التي أدت لهذا الحدث .

إذا نظرنا الى حدث معقد كالاشن ، فمن الحكمة أن نتخلى عن التوصيفات الايديولوجية الشاملة للشخصية السياسية والسلوك السياسي، التي تستخدم مصطلحات مثل تقليدى أو اقطاعى أو كونفوشى ، وما شابه ذلك ، والتي تنقب عن مسميات نطلقها عن الظواهر التي قد نلمحها فى خضم الساحات الايديولوجية المعقدة للانقسامات والتحالفات الطبقيّة والتدرجات البيئطبقية intra-class gradation (*) .

ورغم الهدوء الذى كان يظهر على السطح ، فقد خاطر كثير من الأسباب ، وضحي البعض بأرواحهم . وبرزت شخصيات عظيمة من بين أولئك الشبان ، ولقد لعب رجال مثل ساكوما شوزان Sakuma Shozan ويوكوى شونان Yokoi Shonan واكوبو توشيميتشى Okubo Toshimichi أدوارا بارزة حقا . ولكننا لا نعرف المفاهيم التي استندت عليها المعتقدات السياسية لأولئك الرجال . وهناك اعتباران لابد أن نعيدهما اهتمامنا : الاعتبار الأول ، هو أن « الاشن » استندت على دعاوى فكرية قوية أدت الى ظهور منازعات وصراعات مثلما هو الحال فى كل الأحداث التي غيرت من مسار التاريخ . والاعتبار الثانى ، هو أن الوعي الفكرى الذى نبعت منه هذه الدعاوى التي أثارت النزاع هو وعى نابع من حقل عريض من المفاهيم السياسية والفلسفية التي تكونت عن طريق الخبرة العقلية العميقة التي كان اليابانيون قد اكتسبوها قبيل الميجى اشن . ولا تظهر الايديولوجيات فجأة كاملة وقت الازمات ، بل لابد من وجود أفكار مترابطة تستند عليها . وينطبق ذلك على الميجى اشن كما ينطبق على الثورة الفرنسية ، اذ نمت الجذور الايديولوجية للثورة الفرنسية فى ارض الواقع الفكرى السائد آنذاك ، قبل أن يشرع الفلاسفة الفرنسيون فى جدلهم ، ورغم أن الاطار الاستطراذى يمكن أن يوصف « بالملكى » أو « التقليدى » ، الا أنه أرسى لغة فكرية حافلة بالمفاهيم تتيح تشكيل إمكانيات ورؤى جديدة .

لو أردنا أن نقارن البيئة الفكرية للميجى اشن ببيئة فكرية مماثلة ، لوجدنا بغيتنا فى القرن الثامن عشر ، اذ جرت الأحداث فى مناخ يمكن أن نصفه بالاقطاعى ، ولكننا لا نرمى الى تفسير الميجى اشن فى ضوء هذا السياق ، بل نستعين به وبالمفاهيم النقدية المرتبطة به لتوضيح غرض

(*) مصطلح منحوت من كلمتى بين وطبقة ، ويشير الى التدرجات التي قد تكون قائمة بين أبناء طبقة واحدة - المترجم .

ومعنى الحركة السياسية والتغير الذى طرأ على البنية فى اليابان • فهو يرسى الأطر الخارجية التى قد تدور داخلها الصراعات ، واعتقد أن هذا الجدل الفكرى الذى شهدته اليابان يوضح مدى الوعى الفكرى الذى تمخضت عنه حركة الميجى اشن باعتبارها حركة سياسية ، ويضفى على هذا الحدث جدية تنأى بها عن أن تكون أسلوبا مستوردا أو أن تكون محاولة لاعادة نظام ملكى عتيق •

واذا رجعنا الى الشكل رقم (١) ، فسنجد أن هذا الرسم التوضيحي يبين لنا أربعة أقطاب تمثل لنا المقدمات الأساسية المتعلقة بالمعرفة ، ويبين لنا المحور الرأسى المدخل الابيستمولوجى(*) لتناول المعرفة ، حيث تأخذ المثالية مركز الصدارة • ويأت التجريب (الامبريقية) بعدها • وفى المثالية يتم اكتساب المعرفة أولا وأخيرا عن طريق الاستبطان الذى يمكن أن يفسر العالم الخارجى من خلاله فى اطار مثالى • أما فى الامبريقية - التى كان لها تأثير كبير فى القرن الثامن عشر - فيتم اكتساب المعرفة عن طريق فحص البراهين الخارجية ، سواء فى الطبيعة أو التاريخ • ومع أنه لا ينكر الروح الباطنة ، الا أنه يؤكد ضرورة اتساق العقل المدرك مع المعرفة الخارجية • ويختص المحور الأفقى بما كان يعتقد أنه الهدف الأساسى للمعرفة ، أو بقول آخر « النص » الصحيح ، الذى علينا أن ننتهى الى دراسته ، والذى يتألف من قطبين هما الطبيعة والتاريخ • ان من اكتفى بقبول محور واحد وأنكر الآخر قلة ، أما الأغلبية فقد أولت جل اهتمامها للمنظور الأفقى العريض مما تمخضت عنه آثار بعيدة المدى كما ستبين الأمثلة التالية •

يشير النمط (أ) الى « التاريخانية الامبريقية » (المذهب التجريبي) الذى يرى أن العقل الانسانى لا يجب أن يفحص ما يخرج عن نطاق التجربة الانسانية ، ونعنى بها التاريخ ، وهى فكرة تجلت فى كلمات أوجيو سوراي Ogyu Sorai ، وهذا المدخل الى المعرفة ، عند أوجيو ، يقلل من أهمية الطبيعة أو ينكرها ، باعتبارها مادة للمعرفة ، فالطبيعة فى رأيه لانهائية ويقصر عنها فهم الانسان ، ولذا لا يستطيع أن يتخذها معيارا يهتدى به لحركته ، التى يمضى بها التاريخ • وقد اتخذ ايتوجنساي Ito Jinsai موقفا أقل تطرفا ، اذ اعتبر الطبيعة أشبه باستعارة بلاغية تعبر عن « نشاط الحياة » الدائب • ولكن كلا هذين القطبين من أقطاب الفلسفة قد سعيّا الى البحث فى الزمن الانسانى لا فى عمل الطبيعة عن

(*) المبحث الفلسفى الذى يتناول المعرفة كنظرية - المترجم •

الاسلوب الذى تكونت به المبادئ التى أضفت معنى على الوجود الاجتماعى .

وكما هو معروف ، رأى ايتوجنساى أن « منشيوس » Mencius يمثل المحاولة الأولى للتعبير عن النزعة الانسانية الكونية نحو السلوك القويم . ولا بد لهذا المفهوم الاخلاقى العريض أن يساند كافة الفترات التاريخية التالية بصرف النظر عن المكان والزمان . لذا كانت تعاليم منشيوس هامة فى حياة العامة ، الذين عاشوا أثناء حكم طوكوجاوا الذى اتسم بصبغة تجارية تزايدت تزايداً سريعاً . وقد أضفت دراسات « ايتو » الفيلولوجية الامبريقية على فكر منشيوس قيمة عالمية هائلة ، اذ رأى أن الطبقات الدنيا تتمتع بقيم أخلاقية تعادل القيم التى اشتملتها المكانة التى احتلتها الأرستقراطية بحد السيف ، وهى فكرة أدت فى نهاية المطاف الى تفكك الطبقة الأرستقراطية فى عهد الميجى اشن .

وساهم أوجيو سوراي Ogyu Sorai فى هدم تماسك الأرستقراطية ، وانتقد ايتو لأنه لم يناقش الأسباب التى أدت الى ظهور البنى (جمع بنية) السياسية فى التاريخ ، وما الداعى لظهورها . وانتقد تعاليم منشيوس ، وقال عنها انها تعاليم جدلية لا يعتمد عليها ، وسعى الى كشف النقاب عن السر الذى جعل الانسان يمتلك تاريخاً دون سائر المخلوقات . وبذلك طرح أوجيو قضية نشأة التاريخ ، وقال بأن السياسة هى التى أدت الى وجود التاريخ . فقد سعى الملوك القدماء الى خلق التاريخ عن طريق اختلاق وسائل صناعية تمكنهم من تحقيق السلام والرخاء للجنس البشرى ، ودعم الفضائل الانسانية . ومن ثم اعتبر التاريخ تاريخاً أخلاقياً اذا احتفظ بالهدف الأسمى منه ، وهو الهدف الذى دعاه الفضيلة العظيمة للخير . وطالما أن الخير لا يتأتى الا مع نشأة التاريخ ، فلا يمكن اعتباره شيئاً كامناً فى نفس الانسان الفرد فى حاضره أى مرحلة من مراحل التاريخ ، وما يسميه البشر « بالفضيلة » ، ليس معياراً يساعد على نشأة التاريخ ، بل هو نعمة فاضت بها قوة خارقة ، ندعوها السماء ، على كل فرد منا ، وهى موزعة توزيعاً عشوائياً ، بحيث يعجز العقل البشرى المحدود عن أن يعي أعمال السماء . ومن ثم فالفضيلة لا يمكن أن تكون حكراً على الأرستقراطية وحدها ، رغم أنها تتمتع بقوة يدعمها القانون تفوق قوة العامة . ويبقى أوجيو فيقول بأن كل فرد لديه قدر من الفضيلة خاص به بصرف النظر عن مكانته ، وان هدف الحكومات هو دعم هذا الحشد من الفضائل لدى الأفراد . وهذا يعنى أيضاً أن الفضيلة السياسية لا تخص طبقة اجتماعية ، أو تخص جميع الأفراد ، ولكنها قاصرة على بعض من الخاصة . لذا طالب الذهب التاريخانى الذى نادى به أوجيو بضرورة عودة

المحاربين الساموراي الى الأرض • ومن الواضح أن المفكرين اليابانيين قد هاجموا الارستقراطية باعتبارها نظرية ترى أن الفضيلة السياسية حكر على أبناء الصفوة ، وقد ساعد هذا على انحلال الارستقراطية ، وظهور بناء بروتقراطي جديد يعتمد على الكفاءة في عهد الميجي •

ومن المفيد أن ندرس الآثار التي خلفتها فلسفة « اوجيو » التاريخية على الفعل والحركة في اليابان • رأى اوجيو أن علينا دائما أن نحلل التاريخ في حركته تحليلا امبريقيا ونقيمه كذلك ، وأن نستخدم في تحليلنا وتقييمنا للمعيار الموضوعي لنشأة التاريخ ، فالتاريخ يتغير ، ولكن المعيار باق • ويرى دازاي شوندي Aazai Shundai أن ذلك يعني بحث ظاهرة التجارة والمبدأ الزمني التي تؤكد على تحقيق الثروة عن طريق تبادل البضائع ، وذلك بغرض التعرف على مدى امكانية تطبيق هذا التاريخ الجديد لتحقيق الهدف الأساسي للتاريخ • وآمن دازاي في امكانية تطبيق هذا التاريخ • واذا لم يستطع البنيان الاجتماعي العمل وفقا لمعيار تكون التاريخ ، فينصح دازاي الناس بالثورة ، أو عدم القيام بشيء • وكان يقصد بالخيار الثاني أن النظام سينهار من تلقاء نفسه • وقال عن الخيار الثاني ، متهمكا ، بأنه كان المعنى السياسي الحقيقي للفلسفة التاوية Taoism ، وكان ميراث هذا الاتجاه التحليلي عميقا • ورفض ياماجاتا دايني Lamagata Daini الخيار الثاني القائم على السلبية تجاه الأوضاع القائمة ، ونادى بالثورة والهجوم المباشر على حكومة باكوفو Bakufu في ايدو Edo ، أو وضع استراتيجية اقليمية للاستحواز على إحدى الاقطاعات وحشد قوى الشعب • وبذلك تنبأ بالهجوم الذي ستقوم به اقطاعيتي ساتسوما Satsuma وتشوشو Choshu على النظام القديم • ويرى نيشي أمانه Nishi Amane ، أن نظرية أوجي فتحت دينا جديدة ، ويرى المجتمع فيها تلفيقا واختلاقا لأشياء تحقق الأغراض الاجتماعية والأخلاقية ، وأن الشيء المهم هو تحقيق هذه الأغراض ، وليس الولاء الشخصي للسيد أو المولى • أما يوكوي شونان Yokoi Shonan الوائق أيضا من الغرض الاجتماعي للتاريخ ، فقد أكد على نظرية دازاي المتعلقة بأهمية التجارة ، ونادى بنبذ سياسة العزلة الاقتصادية والسياسية التي لم تعد تتماشى مع العصر • وجدير بالذكر أن بعض المفكرين مثل موتسو مونيمتسو Mutsu Munemitsu قد استفادوا من نظرية أوجي البنيوية وصاغوا منها بناء فكريا تأمليا ، فاستطاعوا به استيعاب المبادئ الأساسية للإيجابية القانونية والنفعية ، ولا سيما بالاسلوب الذي صاغها به جرمي بنتام Jeremy Bentham • ومن ثم لن نعجب إذا عرفنا أن كتابي أوجيو : بندو ، وبني Bendo و Benmei ، وهما

من أكثر الكتب التى أطراها موتسو ، يأتيان فى الأهمية بعد كتاب بنشام .

ولابد لى من إيضاح ثلاثة موضوعات ، وذلك لأن هذه الموضوعات مرتبطة بالميجى اشن ارتباطا وثيقا : أولها النسق المميز فى التاريخانية الامبريقية الذى يباعد بين عقل الباحث وتفاصيل الأحداث من حوله ، والذى يعتبر معيارية خارج نطاق الحاضر الذى يحتاج الى الفحص والدراسة ، لذا نادت التاريخانية الامبريقية ، كما هو موجود فى النصوص القديمة ، بأن يقفز المرء بخياله الى عالم آخر بعيد . وبعد التعرف على المعيار الكونى فى حقبة من الحقب التاريخية القديمة ، يمكن مواجهة الحاضر بعد الاستفادة من هذا المبدأ الذى يفسر نشأة التاريخ ، وتنطوى هذه العملية على امكانات نقدية اذ تسمح لنا بتحليل أحداث الحاضر باستخدام معيار خارجى يمكن التحكم فيه . وفى أواخر القرن الثامن عشر ، بدأ هذا المعيار الخارج على نطاق التاريخ الذى يتلقاه الانسان من الاسلاف ، ينتقل من مجال العالم القديم الى المجالات المجردة للعلم والتكنولوجيا . ومن ثم الى علم الادارة وما ندعوه أحيانا بالقانون الدستورى . وباجتصار ، فان محاولة وضع مفهوم سياسى لحركة التاريخ فى اطار يختلف عن الاطار القائم (مثل المعرفة الجديدة التى أطلقها ميثاق ١٨٦٨) محاولة تنطوى على امكانية نقدية يمكن للمرء أن يمسك بناصية الحاضر ويعيد تنظيمه .

وترتبط بهذا الموضوع النزعة الاختزالية ، التى كانت ماثلة فى التاريخانية ، أى اختزال حقل تجريبي معقد الى معيار قابل للتحكم فيه يمكن به قياس الأحداث سواء أكان لتلك الأحداث علاقة بالتجارة والاتجار على الساحة المحلية ، أو عدوان القوى الغربية القادمة من وراء البحار . والهدف العام من ذلك المعيار الثابت هو ترتيب المعرفة حتى يمكن الاستفادة منها فى التنبؤ بالتاريخ المقبل ، والاقبال فى فرص التخطيط التاريخى . وقد يخيل للبعض أنى أبالغ فى مدى الاستفادة من هذه العملية الاختزالية الى حد الشطط ، ولكنها تبدو لى عنصرا رئيسيا نحتاجه لتبسيط وغرلة حقل من الحقول الايديولوجية المعقدة حتى يسهل التعامل مع الايديولوجيات والتيارات التاريخية التى كانت سائدة وقت قيام الميجى اشن والعقود التالية . ان الميثاق الذى وضعه كيدو كوين Kido Kuin وغيره يعكس بوضوح ، كما يتراءى لى ، هذه الاستمولوجية الاختزالية التى تبسط القضايا المعقدة بمصطلحات يسهل استخدامها والعمل بها ، ففكرة وجود قوانين ثابتة أودستور (Kenpo) تنطوى على الكثير من نفس هذه الأهمية الفكرية . وخلاصة القول ، ان الاختزالية (reductivism).

بالصورة التي اشتقت منها تاريخانية القرن الثامن عشر يمكن أن نعتبرها
عنصرا من عناصر تشكيل الايديولوجيات الحديثة التي أوجزت في مطلع
عهد الميجي في العبارة التالية « الثروة والقوة العسكرية من أجل السياسة
القومية » - Fukoku Kyohei

يرتبط الموضوع الثالث باستخدام البنى الاجتماعية لتحقيق الأغراض
الاجتماعية ، اذ اعتقد أن الاستخدام التحليلي للمعيار كفيل باظهار
التناقض بين الأنظمة الاجتماعية القائمة ومستوى البؤس الاجتماعي .
واعتقد أوجيو ودازاى أن هذا التناقض حاد ، وأنه اذا لم تجر تغييرات حادة
في البنيان الاجتماعي ، فلن يكتب البقاء لنظام طوكوجاوا ، وقالوا بأن القادة
الموهوبين سيقودون الجماهير الغاضبة ، ويسقطون الحكومة . ورغم أن
هذا التقدير تغلب عليه النزعة التشاؤمية ، إلا أن القضية العامة التي
تقول بأن البنيان الاجتماعي ثابت لا يتغير في اطار ثبات المطلقات الكونية ،
وأن هذا البنيان قد أقيم بغرض تحقيق المنفعة الاجتماعية العلمانية (وهي
الفكرة التي صيغت في صرامة تتفق مع عنف الكارثة التي واجهت اليابان
آنذاك) ، ظلت إحدى الأركان الرئيسية في الفكر السياسي في القرن
الثامن عشر .

واتجه تحليل البنى في ضوء المنفعة الاجتماعية بالفكر الاقتصادي
السياسي تجارية . وتعد شخصية هوندا توشياكي Honda Toshiaki
خير دليل على ذلك . وفي عام ١٨٠٠ توصل هوندا الى حتمية تغيير الهيكل
الاجتماعي تغييرا جذريا حتى يمكن حل الأزمات التي تعاني منها البلاد ،
وأرجع مصادر الخلاف الى التناقض بين النمو الطبيعي للسكان والقيود
الطبيعية على الأرض المنتجة ، وقال ان ذلك التناقض يسود العالم بأسره ،
مما يفسر الموقف العدواني الذي انتهجته الدول الأوروبية تجاه آسيا .
وأوصى هوندا باتباع السياسات التجارية التالية : مركزية السياسة
القومية ، والرقابة المركزية على المال والمعادن النفيسة ، واقامة نظام
التعليم العام مع وجود مدرسة كبيرة في المحور لتعليم الموهوبين من مختلف
أنحاء البلاد أحدث معارف العصر ، والاستفادة من العلوم والتكنولوجيا
لزيادة القدرة على نقل وتوزيع البضائع ، وبناء أسطول تجاري يساعد
اليابان على القيام بالاكشافات الجيولوجية والطبيعية فيما وراء البحار ،
 ووضع استراتيجية دفاعية ضد الغرب ، ونبذ سياسة العزلة التي لم تعد
تلائم الوضع الراهن . وبدأ أبناء اليابان يفتحون عيونهم على المشهد
التراجيدي لبلادهم ، الذي أخذ يتشكل في أواخر القرن الثامن عشر ،
وذلك من خلال المذهب الاقتصادي الاجتماعي ، الذي بدأ يتشكل آنذاك
والذي انتقد بشدة النظام السياسي الذي انتهجته حكومة طوكوجاوا ،

وأرسى القواعد الفكرية لدولة الميجى التوسعية . ولا نحتاج الى جهد كبير حتى نكتشف أن جميع القادة السياسيين فى عهد الميجى اشن قد ساروا على هدى الفكر التجارى الذى نادى به هولندا . ومن أولئك القادة الذين أرسوا دعائم البنيان الاجتماعى ، اكوبو تشيميشى Toshimichi kudo ، وكيدو كوين Kido Koin وايتوهيرومى Yamagata Aritomo Ito Hirobumi ، وياماجاتا اريتمو . الخ . . . الذين يعتبرون مهندس البنية الحديثة وايدولوجية « الثروة والقوة » .

وأحب أن أتعرض الى نقطة هامة تشكلت خلال القرن الثامن عشر ، ونشطت أثناء حكم الميجى . وأنا أطلق عليها اصطلاح « الانطولوجيا الطبيعية » natural Ontologism . ولا تنبذ هذه النقطة « التاريخ » ، ولكن الطبيعة الكونية هى التى تعتبر فى نظر معتنقى هذا المذهب الهدف النهائى من الدراسة . ويرى المدافعون عن المذهب التاريخانى - أمثال أوجى - أن الطبيعة لا يمكن الاعتماد عليها للتوصل الى المعرفة المعيارية ، وذلك لأن العقل البشرى المحدود لا يستطيع استيعاب جوهر الطبيعة . ويرى المؤيدون للانطولوجيا أن الطبيعة مطلقة وغير محدودة ، لذلك فهم تصلح لأن تكون المرجع النهائى لكافة أنواع المعرفة التاريخية أو الانسانية التى يجب أن نتعامل معها بمصطلحات نسبية . وهذا يعنى أن الذكاء البشرى لا يمكن أن يستوعب المعنى الكلى للطبيعة ، ولكن يتعين على الانسان السعى الدؤوب لدراسة التاريخ حتى تتكون لديه بصيرة ثاقبة يرى بها الطبيعة بوضوح . وهى ترى أن فكرة المذهب التاريخانى التى تقول بأن دراسة التاريخ القديم قد تميظ اللثام عن معايير أساسية ، وذلك عن طريق قيام المتخصصين فى فقه اللغة بدراسة النصوص التاريخية ، هى قضية تشوبها الشوائب . وتعرض أوجيو لكثير من النقد بسبب هذه النقطة ، خاصة وأنه اعترف بأن الامبريقية قاعدة مفتتة وممزقة . وبعد الاشارة الى الطبيعة على أنها شئ كونى مطلق ، يسعى العقل البشرى دائما الى اكتساب المزيد من المعرفة عنها ، ولكنها تظل دائما معرفة ناقصة ، فقد أمكن اصفاء طابع النسبية على الأحقاب التاريخية المتعددة باعتبارها تقدم أدلة على أن الانسان يسعى دائما الى اكتساب بصيرة جديدة وأكثر عمقا تمكنه من الغوص فى أعماق الطبيعة . وبسبب تراكم المعرفة بمرور الزمن ، يمكن القول بأن علماء اليوم يعرفون أكثر مما يعرفه حكماء العصور القديمة ، كما ستفوق معرفة علماء المستقبل معرفة علماء اليوم ، وذلك رغم أن هذه المعرفة - سواء المعرفة التى يحيط بها علماء الحاضر أو علماء المستقبل - يشوبها النقص . ولذا كان لتأملات تشوهسى Chu Hsi أهمية كبيرة فى هذا الاطار السبى ، رغم تضمنها لبعض الجوانب الميتافيزيقية

المقلقلة ، ورغم أنها لا يمكن أن تعتبر كاملة لا يشوبها نقص .
ومن أبرز تعاليمه مبدأ « العقل الكونى » . كما حظيت المعرفة التى
أحرزها العلماء الغربيون - ولا سيما العلماء الهولنديون - بكثير من الاهتمام
والاحترام فى هذا الإطار الفكرى . وتعددت الأنشطة فى عهد الميجى ،
فانشغل كيبارا اكيكين Kaibara Ekiken - الفيلسوف الذى لعب دورا
محوريا فى هذا المجال - بالدراسات الزراعية المتعلقة بفلاحة الأرض مع
زملائه مثل ميزاكى ياسوسادا Miyazaki Yasusada . وكان نيشيكافا
جوكين Nishikawa Jowen وجوى رانشو Goi Ranshu من التجار
الذين اشتغلوا بالتدريس ، بينما سعى ميورا باين Miura Baien
الانطولوجى الى تشكيل فئات جديدة من فئات المعرفة . وعمل سوجيتا
جينباكو Genpaku Sugita فى ميدان الدراسات الهولندية
وعلم الغريبة . وسعى ياماجاتا بانتو Yamagata Banto
وزملاؤه والمثقفون ، الذين أدركوا أهمية التجارة الى تحقيق الاستقرار فى
هذا العالم المضطرب على أسس عقلانية . وكان نينوميا سوناتكو
Nishikawa Jowken أحد الفلاحين الحكماء الذين كانوا يحلمون
بالقضاء على الفقر فى أوساط الفلاحين . وتلقى كثيرون من قادة اليابان
الحديثة تعاليمهم على يد ساكوما شوزان Sakuma Shozan . وتستمر
سلسلة المفكرين والعاملين حتى نصل الى مجاهدى الميجى اشن ، أمثال
كيدو كوين Kido Koin واكوبو تشيميتشى Okubo Toshimichi
فنجد تواصلا ثقافيا فى هذا المجال يمكن اعتباره تطورا عميقا اخترق
القواصل القائمة بين الطبقات وتوغل فيها .

وكما هو الحال بالنسبة للمذهب التاريخانى الامبريقى ، فقد كان
للانطولوجيا تأثيرا هداما على الأسس الايديولوجية التى يقوم عليها الحكم
الارستقراطى . ونظرا لأن معرفة الانسان للطبيعة كانت دائما أمرا نسبيا
فلا يمكن للفرد ، مهما بلغ شأن العقل الذى يتمتع به ، أن يدعى احاطته
بكافة أسرار الطبيعة احاطة تامة . لذلك ثبت خطأ الزعم القائل بأن
الارستقراطية تراث الذكاء وراثه شرعية ، وبرزت الحقيقة القائلة بأن كل
انسان لديه القدرة العقلية - بدرجات متفاوتة - التى تمكنه من فهم شيء
عن الطبيعة الكونية من أسرار جوهرها المطلق ، الذى يسمو عما يجده
المرء حوله من البنى السياسية « والهيراركية الاجتماعية » . وأكدت التعاليم
التي نادت بها ميازاكى Miyazaki ، ونيشيكافا Nishikawa
وجوى GOI ، على أن الطبيعة لا تخلق الطبقات بين الناس ، ولا تقيم
علاقات غير متساوية بينهم ، فتجعل هذا سيدا وذلك مسودا . وكثيرا
ما نادى فيكيوزاوا يوكتشى Fukuzawa Yuckichi باتباع تلك

التعاليم أثناء فترة التنوير التى مرت بها البلاد فى عهد الميجى . وقال أولئك العلماء ان الطبيعة قد حبت عامة الناس بالقدرة على اكتساب المعرفة الأساسية - سواء المعرفة العلمية أو الأخلاقية - التى تمكنهم من تنظيم أوضاع العالم المحيط بهم والتحكم فيها . وقد قال نيشيكافا Nishikawa ، ان الانسان كالزهرة التى تتفتح اذا ما عهدها بالرعاية ، فيمكن للفلاح البسيط أن يصبح من الساموراي اذا توفرت له سبل الرعاية ، رغم أنه لم يولد فى طبقتهم . وبذلك أفرغ نيشيكافا الارستقراطية من مضمونها مرة أخرى . وأكد أولئك العلماء على أن هدف المعرفة هو انقاذ الناس - عامة الناس - عن طريق السيطرة المنظمة على المعايير الكونية الموجودة فى الطبيعة . وكانت كافة الكتيبات المتعلقة بزراعة الأرض ، والتى تم توزيعها على جميع أنحاء قرى اليابان ، تستند على ذلك المفهوم . ونرى هذا المبدأ جليا على المستوى القروى ، فاقبعت الجمعيات التعاونية الجماعية . وتظهر لنا الأنشطة التى قام بها الفلاحون بالريف أن أولئك الفلاحين قد أوتوا قدرا كبيرا من الحكمة أكثر مما كان يظن البعض .

وكان للانطولوجيا الطبيعية تأثير هام بالمثل على معنى التاريخ ، حيث رأت أنه يتألف من عمليات متعاقبة . وبما أن التاريخ قد أصبح نسبيا بالقياس الى الطبيعة ، كما لم تعد هناك مرحلة تاريخية تفوق مرحلة أخرى ، فقد غدا تاريخ معين ، كتاريخ الصين مثلا ، نسبيا بالقياس للطبيعة . وجعلت هذه النظرة الناس ينظرون الى تاريخ اليابان على أنه نسبى أيضا ، ويمكن منه أن ننفذ الى جوهر الطبيعة أو نتطرق اليها ، ويعد وصف أراى هايكو سيكى Arai Hakuseki لقيام النظام اللامركزى hoken فى اليابان مثالا هاما لذلك ، اذ استعرض تاريخ اليابان من منظور التطورات التى شهدتها البلاد ، ورأى أنها كانت ستؤدى فى نهاية الامر الى ظهور نظام طوكوجاوا ، وكان الممكن استخدام الانطولوجيا الطبيعية (دون الحاجة للإشارة الى الصين أو العصور القديمة وغيرها) لخدمة الايديولوجية التى تؤكد على تمايز التاريخ اليابانى عن تاريخ الامبراطوريات المركزية القائمة فى آسيا ، ولا يفوتنا فى بداية القرن الثامن عشر استخدم هذا النسق التاريخى لاطهار عظمة نظام طوكوجاوا وقوته ، غير أن هذا النسق أخذ يضمحل باستمرار ، وتحولت وجهة ذلك التاريخ فى نهاية القرن ، فأظهر لنا ذلك التاريخ انهيار التنمية المحلية التى أدت الى اخفاقات الحاضر . وقد استغل التاريخ القومى استغلالا ايديولوجيا لتعزيز الارستقراطية ، كما استعان به ياماجاتا هاينى Yamagata Haini ، وناكاى ريكن Nakai Riken ، ورأى سانيو Rai San'yo ، وآخرون لاطهار عدم كفاءة الارستقراطية آنذاك . واستخدم اصطلاح هوكن hoken (الحكم اللامركزى) الذى يمثل

التاريخ السياسى تمثيلا شاملا كمرادف لكلمة « اقطاعى » فى العصر الحديث .

يمكن استخدام لا مركزية التاريخ بأساليب ايدولوجية أخرى . فقد استخدمه الممولون التجار ، أمثال ياماجاتا بانثو Yamagata Banto لتكوين رؤية اقتصادية للسياسة يمكن تفسيرها على اعتبار أنها المدخل البورجوازي للميجى اشن . واستعان ياماجاتا بنظرية الانطولوجيا الطبيعية لاستنباط جميع التطورات العقلية الكبرى ، النى شهدها القرن الثامن عشر ، ووضعها ضمن مؤلفه الكبير Yume no Shiro ويعنى (فى موضع الأحلام) . وقال ياماجاتا ان المعرفة اما أن تسبق علم الفلك أو تأتى بعده ، ثم قام بتصنيف المعرفة الى فروع ، تتدرج من المعرفة فى أقصى أشكالها تجردا وعالمية الى واقع الحاضر . وبدأ فلسفته بنظرية كوبرنيكوس التى أضفت صبغة النسبية على العلاقة بين الأرض والكون ، ومنها انتقل الى دراسات مقارنة ، تضمنت الجغرافيا ومرحلة ما قبل التاريخ المكتوب (عندما اعتمد الانسان على الشعائر والتقاليد الشفهية) والتاريخ واللغة لتسجيل الأحداث ، التى ساهمت فى تشكيل التقاليد السياسية . ثم انتقل ياماجاتا بعد ذلك الى الاقتصاد السياسى داخل نظام طوكوجاوا ، فأصر على أن الانسان لديه القدرة على اكتساب المعرفة ، وعلى ضرورة عدم اعتماد الانسان على الأحلام الخرافية . وما يهمنى هنا من هذا الحديث عن الاستمولوجيا هو الدافع الايدولوجى الكامن فيها ، اذ اعتمد ياماجاتا على الانطولوجيا الطبيعية حينما قال بنسبية الكرة الأرضية والتاريخ والجغرافيا ، ثم طبق مبدأ النسبية على الأحداث التى شهدها حكم طوكوجاوا دون الرجوع الى الأحداث المشابهة التى وقعت فى الصين ، اذ رأى أن الكثير من الخبرات النى مرت بها الصين لا تصلح لليابان . ومن هذه الخبرات الكتابة الايدوجرافية (التى تعتمد على العلامات التى ترمز لأفكار البيروقراطية) . ونظرا لأن اليابان عبارة عن جذر ، فقد قال ياماجاتا بأن اليابان تشبه انجلترا . وبعد أن أسند ياماجاتا فلسفته الاستمولوجية على الطبيعة ، أنكر الرأى المستمد من الدراسات القومية التى قالت بأن اليابان أرض مقدسة . واعتمد ياماجاتا على ادراكه للمعرفة لمناقشة أخطاء القادة السياسيين فى تعاملهم بالقضايا المالية والتجارية والاعتمادات المالية ، ونادى بضرورة توافر المعرفة الأساسية المتعلقة بالاقتصاد الذى رأى أنه عماد أى حكومة فعالة ، وكون بذلك ما يمكن أن نسميه بمتطور اقتصادى للسياسة ، وسلامة الكيان السياسى كله .

ورغم أن الكثيرين ينظرون الى ياماجاتا على أنه مجرد مفكر ، الا ان فلسفة المعرفة التى نادى بها توحى بعقيدة ايدولوجية راسخة ، وان لم تكن بادية للعيان فى كثير من كتاباته ، وهى تعكس وجهات نظر أرباب

التجارة . وأظهرت هذه الفلسفة ، التي كان ينادى بها ياماجاتا ، وكذلك الكتاب الذى وضعه كوزاما ناوكاتا Kusama Naokata بعنوان « تاريخ المال » ، عدم كفاءة حكومة باكوفو فيما يتعلق بالنواحى المالية التى اعتبرها عقبة قومية ، ورأى أنه دون توافر معرفة علمية دقيقة فيما يتعلق بالعمليات التى تتم على نطاق واسع فى مجال المال والبضائع يستحيل اطلاق يد الرجال من أمثاله فى اقتصاد البلاد ، بعد أن ثبت عدم قدرة الارستقراطية على تطوير معارفها المتعلقة بالنواحى الاقتصادية . وطرح أولئك الرجال ذلك الرأى وهم يدركون ادراكا لا يتسرب اليه الشك بأنهم ينتمون الى العامة ، ولكنهم استطاعوا اكتساب قدرا من المعرفة الهامة يفوق تلك المعرفة التى توافرت لدى الطبقة الحاكمة .

ونظرا لأن أنظار أولئك الرجال كانت متجهة ناحية عالم المال الذى ينتمون اليه ، فقد عجزوا عن تقدير المدى الذى توغلت اليه النظريات العلمية والانطولوجية فى الحياة الفكرية لدى الارستقراطيين . وتحضرني أسماء بعض العلماء أمثال كايهو سيريو Kaiho Seiryو عالم الاقتصاد السياسى ، وأوجاتا كوان Ogata Koan أستاذ الطب الهولندى . كما أتذكر - على وجه الخصوص - ساكوما شوزان Sakuma Shozan الذى رأى أن تاريخ وثقافة معبنة يتجردان من المركزية بالنسبة للمبدأ الكونى الذى اعتبره كايهو يتمثل فى جوهره فى علم الرياضيات ، وبينما استعان كايهو بالمبدأ العام القائل على الدقة لشرح طريقة عمل النظم الاقتصادية ، وقال ساكوما شوزان بأن ذلك المبدأ العام هو أساس التكنولوجيا ، ومن ثم فهو أساس القوة . ومن المهم هنا أن نفطن الى أن اعتبار العلم والتكنولوجيا شيئين عالميين قد أخرجهما من نطاق احتكار الدول الغربية ، وجعلهما نظريا ملكا لجميع البشر ولكافة المجتمعات ، بغض النظر عن الجوانب الثقافية والتاريخية الخاصة بكل مجتمع . لذا يمكن الجمع بين العلم بعالميته والثقافة الخاصة . وإذا كان العلم أساس القوة ، فلا ينبغى للتاريخ اليابانى أن يظل بمعزل عن الحياة الفكرية والسياسية اليابانية . ويتضح لنا من خلال هذا المقال ، أنه بمقدور الانسان اكتساب المعرفة الأساسية المتعلقة بالعلم والطبيعة . وهو ما كان ياماجاتا بانتو قد نادى به من وجهة النظر التجارية . ويقوم علم الرياضيات عند ساكوما وعلم الفلك عند ياماجاتا بنفس الوظائف الفكرية ففى وضع المفاهيم فى الاطار الشامل لأعمالهما الفكرية ، مما سمح لهما بالنظر الى تاريخ الماضى من زاوية نقدية . كان لتعاليم ساكوما أثرا بالغاً على المصلحين الفكرين والسياسيين ، وعلى المجاهدين الذين عرفتهم الميجى اشن . وقد تأثر بتعاليم ساكوما كثير من المثقفين ، أمثال فوكوزاوا يوكيتشى Fukuzawa Yukichi ونيتشى امانه Nichi Amane وكاتوهيرووكى

Kato Hiroyuki ، كما تأثرت بها أفكار بعض الرجال ، أمثال كيدو كوين Kido Koin واكوبو توشيميتشى Okubo Toshimichi الذين عملوا على ادخال العلم والتكنولوجيا للبلاد . وأحب أن أؤكد على الدور الهام الذى لعبته الانطولوجيا بما حوته من نزعة تأملية فى تشكيل مفهوم اقتصادى أو بورجوازى للسياسة ، تلاحم تلاحماً مع أفكار القادة السياسيين ، أمثال ساكوما Sakuma ، وكيدو Kido . وقد كان أولئك القادة ينظرون الى الاقتصاد والتكنولوجيا من وجهة النظر السياسية . وأنا أعتقد أن ذلك التآلف بين النظرة الاقتصادية للسياسة والنظرة السياسية للاقتصاد كان بمثابة القاعدة التى ارتكز عليها النضال ضد النظام القديم ، وتشبيده أسس نظام جديد . وبذلك يمكننا أن نرى أن الميجى اشن كانت أكثر من مجرد حدث سياسى ، فقد كانت حدثاً اقتصادياً وسياسياً فى آن واحد ، كما رفعت شعار Keisei Saimin وهو الشعار الذى صيغ فى القرن الثامن عشر . فلا غرابة فى أن يتحول الفلاح شيباساوا ايتشى Shibusawa Etschi الى صاحب مشروعات تجارية ، فيقوم بوضع نظام مصرفى جديد ، ويشرف ماتسوكاتا ماسايوشى Matsukata Masayoshi - أحد الساموراي بمقاطعة ساتسوما - على العملية بأكملها .

وهكذا فقد أوليت ثقلاً كبيراً للنظامين الامبريقيين للتفكير اللذين نبنا وسادا خلال عصر الميجى اشن وما تلاه ، واختلقت العلاقة بين النظامين ، فكانت تتقارب حيناً وتتباعد حيناً ، فكانا يتبادلان الدعم أحياناً ويتنافران أحياناً أخرى . وهذا الموضوع يكتنفه الكثير من التعقيد ، ورغم ادراكى لأبعاد المشكلة ، الا انى لا أعرف كيفية علاجها بصورة فعالة ، ولكن دعونى أتناول هذا الموضوع على النحو التالى .

ان المثالية مثل الامبريكية يمكن أن تجتذب ناحية الطبيعة آنا أو ناحية التاريخ آنا آخر ، والاختلاف هنا يتعلق بالدرجة التى تقف عندها المثالية على شريحة عريضة تمتد بين طرفى القطبين (الطبيعة والتاريخ) . وعندما تتجه المثالية الى الطبيعة تؤكد لنا فلسفتها الاستمولوجية على فضائل المجتمع الطبيعى . ويعد فكر اندو شوكى Ando Shoeki المتعلق بالزراعة الجماعية التى انفصلت عن عالم السياسة البيروقراطية خير دليل على ذلك . كما يعد هيراتا اتسوتين Hirata Atsutane مثلاً آخر على ذلك . فقد قام ذلك الرجل بحركة دينية ربطت بين الاخلاص الذى يبديه الفلاحون فى عملهم اليومى مع التربة المقدسة : وعندما ارتبط المذهب المثالى بالتاريخ ، استطاع هذا المذهب التعبير عن نفسه من خلال

النظريات الجمالية والأدبية التي نادى بها موتورى نوريناجا Norinaga Motoori وأتباعه . وسعى موتورى الى اثبات تفوق الروح الثقافية غير المتغيرة ، باعتبارها احدى العناصر الأصلية للتاريخ القومى . ونادى اشيدا بيجان Ishida Baigan بارتباط المذهب المثالى بكل من المجتمع الطبيعى والتاريخ ، وهو الذى قاد حركة تعليم أبناء الشعب التى عرفت باسم Shingaku (دراسات الروح الداخلية) . وأكدت تلك الحركة على شيوع الفضيلة الروحية بين جميع البشر ، ودعمت بعض الأفكار التى نادى بها ايتو جينساي Ito Jinsai من وجهة نظر تاريخية .

وساعدت الأفكار المتمردة التى نادى بها أوشيو هيهاشيرو Oshio Heihachiro على اشتداد تطرف المذهب المثالى الذى استبعد كافة الامكانيات الاستمولوجية الأخرى . وأقام أوشيو أفكاره على أساس المثالية التوحيدية monistic idealism (*) عند وانج يانج مينج Wang Yang — ming وثور مينج Ming المتأخرين ، فرفض كافة الأشكال البيروقراطية ، وقاد التمرد فى اوساكا Osaka عام ١٨٣٧ ، وتوقع قيام الشعب بالثور . واذا كان ياماجاتا بانتسو Yamagata Banto قد استعان بالامبريقية لنقد أخطاء الحاضر ، فقد اتخذ أوشيو موقفا مشابها قائما على المذهب المثالى . وفى حين هاجم ياماجاتا المذهب المثالى لأنه ينتمى - فى رأيه - الى عالم الأحلام ، فقد رفض أوشيو المذهب الامبريقى لأن هذا المذهب - فى رأيه - يستحيل أن يكون هديا أخلاقيا يقود الناس الى حسن السبيل . كما يرى أوشيو أن الامبريقية ما هى الا مذهب استمولوجى قائم على التفرقة التى تسببت فى وجود نظرات مغرصة فى المجتمع . وقال ان التاريخ هو سجل الخيانة والغدر بالشعب ، وتذكرنا قضية الفعل - Action التى أثارها أوشيو بالعقلية اليوتوبية التى قال بها كارل منهيم Karl Mannheim . فاذا أدرك الانسان أن التاريخ الذى يتلقاه تاريخا فاسدا يتعذر قبوله ، فكيف يمكن له التصرف حيال ذلك ؟ ودفعت مشكلة التصرف أو السلوك هذه بأوشيو الى التطرف فى المثالية أو اليوتوبيا ، وقال بأن الامبريقية تنظم المعرفة فى شكل مجموعات أو نوعيات تنفصل كل منها عن الأخرى . وبذلك انفصمت العلاقة بين الذات الأخلاقية والأشياء الخارجية ، كالكائنات البشرية العادية التى ينزلها ذلك المذهب مثولة دنيا . ولتصحيح هذا الوضع ، يرى أوشيو ضرورة أن نرى الذات المدركة ، والأشخاص الآخرين ، والمخلوقات الأخرى ، وكافة الأشياء الأخرى ، من خلال مذهب مثالى أخلاقى

(*) المصود بالترجيد هنا وحدة قادة الكون ورفض ازدواجية المادة - المترجم .

موحد ، كما يرى أوشييو ضرورة العمل بما يتماشى مع معايير العدالة العامة المتسقة مع المذهب المثالي .

ورغم أن تمرد أوشييو لم يؤد إلى تغيير بنية المجتمع بالمعنى المباشر والظاهر ، إلا أن المذهب المثالي الذي نادى به قد ساعد على تغيير بعض المسارات التاريخية ، إذ دفع بالمشكلة الفلسفية « للفعل » ، التي جردتها الامبريقية الطبيعية والتاريخية من أهميتها إلى خضم فلسفته ، ولم تحل مثالية أوشييو محل المناهج الاستمولوجية الأخيرة . واستخدم المفكرون فى تأملاتهم بين المعرفة والفعل بعض الاستعارات العاطفية مثل « الأحلام » و « اللعب » و « الموت » . وقد استعمل المثقفون تلك الكلمات لبيان تحولهم عن مبدأ ما والتزامهم بمبدأ آخر ، كما هو الحال مع شيبا كوكان Shiba Kokan ، الذي مارس تجاربه على الفنون الغربية ، وكايهو سيرو Kaiho Seiryō الذى فصل نفسه عن الارستقراطية . أما بالنسبة لأوشييو فقد التزم التزاما شديدا بمبدأ العمل ضد الحاضر باعتبار أن هذا العمل ضربا من ضروب التضحية ، وحل هذا المبدأ محل تلك الاستعارات الامبريقية المغالية لدى ياماجاتا بانئو التى نبذت الأحلام ومثالية أوشييو التى لا تقل تطرفا فى إيغالها فى نزعتها التأملية ، مما يوحى لى بأن المذاهب الفكرية أخذت تتبادل الأفكار تبادلا قويا فى ظل الميضى اشن مما أدى إلى تداخل فى المفاهيم الفكرية .

وليس من السهل أن نوضح كيف تألف هذان المذهبان ، ولكن يمكن الاستفادة من آراء ميتو Mito حول هذا الموضوع ، فهذه الآراء تلقى الضوء على هذه العلاقة ، خاصة وأن كثيرين من قادة الميضى اشن — أمثال يوشيدا شوين Yoshida Shoin ، وكيدو كوين Kido Koin ، وآخرين — قاموا بدراسة التركيب الفكرى لفلسفة ميتو . وعندما نتعرض لفكر ميتو — الذى قام فيوجيتا يوكوكو Fujita Yukoko ، وازاوا سيشيساي Aizama Seishisai ، بتطويره — نجد أن التاريخانية الامبريقية تلقى بظلمها على التاريخانية المثالية ، ثم تتحد معها بعد ذلك . وإذا قمنا بقفزة سريعة إلى الماضى ، فسنجد أن القيم الأخلاقية التى كانت سائدة فى بداية التاريخ القومى المقدس ، تتشابه مع القيم الأخلاقية التى كانت سائدة فى الصين فيما يعتقد . وليس المهم هنا هو إثبات تلك المعايير والقيم من الناحية الامبريقية والفيلولوجية ، بل أهميتها التعليمية باعتبار أن قيما مثل الثقة والاخلاص تتماشى مع الأسس الجوهرية التى يقوم عليها الكيان القومى (Kokutai) . ونظرا لأن هذه الأسس الجوهرية ثابتة ، اعتبرت الروح القومية مجموعة من القيم الأخلاقية سابقة على « البنية » ، ومن ثم اكتسبت مسحة عملية ومتغيرة تتصل بالقيم الأساسية . ونظرا لأن هذا البنيان الاجتماعى ليس مقدسا ، فهو يحقق مصلحة المجتمع كله .

وتكمن مصلحة المجتمع في حل مشاكل الاقتصاد السياسي ، مثل الفقر الذى أخذ يضرب بأطنابه على الارستقراطية والتوسع فى التجارة والانتاج الزراعى من خلال مشاركة أبناء الشعب . ويمكننا أن نرى أن المذهب المثالى والمذهب التاريخانى النقدى يهدفان الى حل مشاكل البنيان الاجتماعى والاقتصادى ، ويكونان ايدىولوجية موحدة تهدف الى حشد طاقات الشعب ، وحنها على العمل . واذا كان أتباع ميتو قد ألفوا فى أوشييو تطرفا ، فإن ذلك راجع لاهتمامهم الزائد بالبنيان السياسى باعتباره ضرورة وظيفية ، فى الوقت الذى يقتصر فيه مذهبه المثالى الى هذه الضرورة الوظيفية . وقد رأى أولئك الرجال أن التوسع التجارى واستيراد التكنولوجيا من الاستراتيجيات الهامة اللازمة للارتقاء بالقيم التاريخية . وفى الوقت الذى اتجه فيه أولئك الرجال الى وضع الاستراتيجيات نجد أن مثالياتهم قد افقدتهم الصبر حيال المساوىء السياسية آنذاك سواء فى نطاق المقاطعات أو على مستوى البلاد . وقد زجت هذه المثالية اتباع ميتو فى آتون من حرب أهلية مدمرة فى أواخر الخمسينات من القرن التاسع عشر ، كما قام المتطرفون من أتباعه بقتل آى ناوسوكى *li Naosuke* كبير المستشارين فى نظام طوكوجاوا فى عام ١٨٦٠ .

امتزج المذهب المثالى بمذهب الاقتصاد السياسى عند ميتو فى تركيبة قوية ، وجذب ذلك الامتزاج جميع السياسيين من كافة أرجاء البلاد . ويمكن اكتشاف درجات من تلك التركيبة عبر المنظور السياسى كله ، كما استمر قائمة لفترة طويلة فى اعقاب الاشن كتراث سياسى . واختار البعض الانحياز الى جانب المذهب الامبريقي ، شأنهم فى ذلك شأن ياماجاتا بانئو ، أو الانحياز الى المذهب المثالى ، شأنهم فى ذلك شأن أوشييو ، وذلك رغم تأثر الشخصيات السياسية بالمذهبين أثناء الاشن ، ولكن التفسير المتبادل للأفكار أمر محورى بالنسبة للشخصية السياسية للاشن . بل ان حالة يوشيدا شوين *Yoshida Shoin* - الذى وصف مرارا بأنه مثالى أخرق - تبين لنا أنها حالة معقدة جدا فى الواقع . ولما كان يوشيدا هو أهم معلم للقادة الذين قادوا الهجوم من داخل اقطاعية تشوشو *Choshu* ضد النظام القديم ، فلم توافقه المثالية المطلقة واليوتوبية التى دعا اليها أوشييو ، وآثر أن يتحاز بجوارحه لأراء منسيوس *"Mencius"* الغاضبة فيما دعوته بالقفزة التاريخية ، فقد قام بدراسة متأنية لاستراتيجيات ميتو . وأدرك يوشيدا أهمية انطلاقة الطاقة المثالية التى يجسدها أوشييو ، كما أدرك أهمية العلاقة بين المعرفة والقوة فى الدول الغربية ، تلك العلاقة التى أكدها له ساكوما شوزان *Sakuma Shozan* واقترن الالتزام المثالى لدى يوشيدا لتحطيم الوضع القائم باتجاه الامبريقية للاستحواز على الخبرة التكنولوجية المتوفرة لدى الغرب وتفهمها ، بل

والسيطرة على تلك الخبرة . لذلك يعد يوشيدا مثالا للشخصية السياسية
الراديكالية التي عرفت الميحي اشن ، مما جعل الكثيرون يلتفون من حوله
عن استحقاق .

دعوني أختتم مقالى بهذه التعليقات الموجزة ، فقد تعرضت فى مقالى
لكثير من المذاهب والاتجاهات الفكرية ، مثل الاتجاه نحو المجتمعية
المثالية (*) والمجتمع الطبيعى . ورغم أن المفاهيم المرتبطة بالميجى اشن التى
شرحتها فيما سبق ، والتى حاولت بها أن أحدد مشكلة ادراك المفاهيم ،
يمكن تفنيدها ، الا أن القول ، بأن البنى الرئيسية للوعى السياسى
للميجى اشن ينبع من نظرة القرن الثامن عشر للتاريخ وأن هذه البنيات
قد اعتمدت على التاريخ والطبيعة والسلوك الأخلاقى ، هو فى اعتقادى
قول صحيح .

رابعاً :

الثقافة

الميجى : ثورة ثقافية

بقلم

فرانك ب. جبنى Frank B. Gibney

دائرة المعارف البريطانية

شيكاغو - الينوى - الولايات المتحدة الأمريكية

شهد العالم المعاصر خمس ثورات عالمية كبيرة منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى وقتنا هذا . وهذه الثورات هى الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦ ، والثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، والثورة الروسية عام ١٩١٧ ، والثورة الصينية عام ١٩١١ - التى لم تكتمل الا بانتصار ماوتسى تونج Maozhehong عام ١٩٤٩ (وقد تكون لم تنتهى بعد) ، وثورة الميجى Meiji Restoration باليابان عام ١٨٦٨ . وتستحق كل هذه الثورات بأن توصف بأنها ثورات ، نظرا لأنها قد أتت بتغيرات سياسية كبيرة . وأدت تلك التغيرات الى استبدال سلطة حاكمية بسلطة أخرى ، وما أعقب ذلك من تغيير أفكار وأهداف الحكم . وخلط الثوريون بين الأفكار القومية الضيقة والأفكار العالمية السامية . واعتمدوا على الأفكار الديمقراطية حتى أنهم استمدوا كثيرا من هذه الأفكار الديمقراطية من الأفكار المثالية التى سادت عصر التنوير ، وذلك رغم أن هذه الأفكار قد بدأت تضمحل . ولذلك تختلف هذه الثورات عن الثورات اليمينية التى عرفتھا الفترة الفاشية فى أوربا ، كما تختلف عن كافة الصراعات المتعددة التى عرفت باسماء مختلفة مثل الصراع الشعبى أو القومى أو الشيوعى ، وكانت هذه الصراعات تهدف الى السيطرة على الحكم . ولكنها لم تنجح الا فى استبدال نظام مستبد بنظام آخر مستبد . وتلقى هذه الثورات بظلال كثيفة ، كما أن آثارها وتأثيراتها قد تعدت البلدان التى وقعت فيها . وتجدر الإشارة

الى أن التاريخ المعاصر شهد قيام ثورات أخرى ، من أشهرها الثورة المكسيكية ، والثورة التي قام بها بوليفار Boliver وسان مارتن San Martin في أمريكا الجنوبية ، والثورة التي قام بها محمد علي في مصر والشام ، والثورة التي قسام بها أتاتورك في تركيا . ولكن جميع هذه الثورات كانت ثورات اقليمية قومية محدودة ، فهي تختلف عن الثورات الخمس الكبرى التي تعدت آثارها حدود البلدان التي وقعت فيها .

واذا رجعنا الى هذه الثورات الخمس ، فسنجد أن الثورة الأمريكية كانت مثالا للثورة على الاستعمار وتحقيق الاستقلال واقامة جمهورية ديموقراطية فيدرالية تستند الى سيادة القانون . كما أن شعار « الحرية والمساواة والاخاء » الذي رفعته الثورة الفرنسية ، ما زال يستحث كثيرا من الشعوب للثورة على حكم الفرد والقضاء على الامتيازات التي تتمتع بها أقلية من الناس . كذلك كانت الثورة الروسية مثالا لسيطرة الطبقة العاملة (البروليتاريا) على مقاليد الحكم . وجدير بالذكر أن الثورة الصينية الشيوعية - التي تشابهت مع الثورة الروسية - كانت من الحكمة بحيث سيطر الفلاحون - وليست الطبقات العاملة - على مقاليد الحكم . وبذلك كانت الثورة الصينية مثالا للثورة الزراعية الناجحة تحتذى به كثير من دول العالم الثالث .

وما زال الكثيرون يسيئون فهم استعادة الميجي Meji Restoration واذا سألت كثيرين من المثقفين في أوربسا وأمريكا عن معنى عبارة استعادة الميجي ، فسيقول لك البعض منهم بأنهم لم يسمعو قط بهذه العبارة ، وسيقول البعض الآخر بأن هذه العبارة لها علاقة بالامبراطور وقيام الكومادور بيرى Commodore Perry بفتح اليابان . وفي الواقع ، فقد ظل كثيرون من المثقفين اليابانيين حتى وقت قريب يتبعون آراء المؤرخين اليمينيين ، الذين قالوا بأن الاستعادة Restoration تعنى استعادة الحكم الامبراطورى لانقاذ البلاد من الاستعمار الاجنبى ، او يتبعون آراء الماركسيين التقليديين ، الذين قالوا بأن الميجي Meiji كانت مجرد استبدال نظام الاقطاع القديم الذى عرفه حكم طوكوجاوا Tokugawa بنظام البرجوازية الرأسمالية . وفى الفترة التي تلت الحرب ، أكد كثير من الباحثين الأمريكيين على أن الميجي Meiji كانت تعنى النهوض بالبلاد ومسايرة طابع العصر ، وذلك رغم قيام المؤرخين اليابانيين بالابحاث الأساسية المتعلقة بالميجي Meiji

تعدت آثار الميجي Meiji الدولية حدود اليابان ، وما زالت تؤثر على كثير من بلدان آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط أكثر من ذي قبل ،

بل ان أثارها فاقت الآثار التي أحدثتها وقت قيامها ، حينما غطت النزعة العسكرية وطغت القوة الاستعمارية التي عرفتھا اليابان على الجانب الثورى للميجي Meiji . لذا كانت الميجي Meiji نورة ثقافية بحق . ولم يشهد التاريخ المعاصر قيام أية دولة أخرى بتغيير المجتمع والعادات والاقتصاد والبنیان السياسى بالقدر الذى قامت به اليابان . ولم يقيم اليابانيون بالنهوض بالبلاد فحسب ، بل قاموا بتحويل النظام الاقطاعى المستبد الى نظام معاصر ، دون أن يفقدوا هويتهم القومية الثقافية أثناء عملية التحويل ، بل ان هويتهم الثقافية ازدادت تأصلا وعمقا . وكان شعار المعركة الذى رفعه صغار المحاربين الساموراي المثقفين فى الستينيات من القرن التاسع عشر ، هو ان تاريخنا يبدأ من اليوم ، لأننا كنا بلا تاريخ . « وكان ذلك الشعار يكفى لحث الثوريين الشباب على الثورة » . واندفع المتحمسون الشباب الذين قالوا بأنهم « أمة بلا تاريخ » ، يفتشون صفحات تاريخهم وتاريخ الشعوب الأخرى ، فلربما وجدوا فى التاريخ ما يضىفى طابع الشرعية على رغبتهم فى الثورة .

وفى كتاب « دراسة التاريخ » ، أشار ارنولد توينبى Arnold Toynbee الى تفرد اليابان بالصراع الثقافى بين « الهيروديين » و « المتعصبين » ، وقال ان ذلك الصراع موجود فى كافة الحضارات ومختلف الأزمنة . وسمى الهيروديين بهذا الاسم نسبة الى هيردوس أجربا Herod Agrippa الحاكم الرومانى الذى حكم اقليم الجليل بفلسطين فى القرن الأول الميلادى . وقد عمل ذلك الحاكم الرومانى على استيعاب جميع المعارف الأجنبية والحضارات المختلفة بكافة الوسائل المتاحة لديه . وسمى المتعصبون بهذا الاسم نسبة الى المتعصبين اليهود الأوائل (Zealots) الذين عملوا على الحفاظ على الثقافة المحلية التقليدية ، وقاوموا الأجانب ، وحاربوا كل ما هو مستورد وأجنبى . ويبدو أن توينبى تردد قبل استخدام هذا التشبيه اليهودى ، خاصة عندما وصف الميجي اشن بأنها « السعى لتحقيق أهداف المتعصبين بالاستعانة بوسائل الهيروديين » . وأضاف قائلا « سرعان ما اتضحت الصعوبات التى انطوى عليها استخدام مثل هذه العبارات » ، وذلك رغم أن تقسيم طرفى الصراع الثقافى الى طرفين كان يبدو أمرا سهلا للوهلة الأولى .

ونحن نقدر حيرة توينبى ، فقد وقع فيها كثير من الباحثين الغربيين الذين حاولوا تطبيق منطق ديكرت عند تحليل هذه الظاهرة اليابانية . وقد تمثلت أهم الجوانب المثيرة لثورة الميجي Meiji Revolution فى قدرتها على الجمع بين الهيروديين والمتعصبين اليابانيين تحت لواء الامبراطور . ولم تكن حالة ايتو هيروبومي Ito Hirobumi الذى بدأ حياته العامة بالهجوم على السفارة البريطانية الجديدة ، ثم أصبح

من أشد المؤيدين لنقل الأفكار السياسية الأوروبية الى اليابان ، حالة فريدة من نوعها على الإطلاق . فكم من يابانيين غيروا آراءهم عدة مرات خلال سنوات قليلة ، حين أدركوا أن المعرفة الغربية لا تقتصر على صناعة المدفع واستخدام معدات الملاحاة . وقال يوشيدا شوين Yashida shoin في هذا الصدد : يمكننا جميعا الاستفادة من المدافع وبناء السفن ، ومن معارفهم في مجال الطب والعلوم الطبيعية بعد استغلالها الاستغلال الأمتل . . . ولكن المشكلة هي من أين نبدأ وأين نتوقف عن الاستفادة من هذه الأشياء .

ولم يستطع شوين حل هذه المشكلة ، ووافته المنية وهو يحذر من شرور التدخل الأجنبي في شئون اليابان . وكان ساكاموتو ريوما Sakamoto Ryoma من أشد المعارضين لكل ما هو أجنبي ، ثم ما لبث أن أصبح القوة الدافعة التي تولت قيادة حركة « الحضارة والتنوير » (Bunmei Kaika) التي سبقت الاستعادة ودفعت بها للأمام ، وقد ألهمت خططه الرامية الى اقامة مجالس نيابية ، والتخلص من الامتيازات الوراثية ، حماس المدافعين عن حقوق الشعب . واستشهد في سبيل هذه القضية . ويجمل بنا أن نلاحظ كيف بدأت ثورة الميجي Meiji Revolution تلتهم أبنائها حتى قبل أن يشتد عودها . ومعظم الثورات تأتي بهذا الفعل . فلم يكن هناك مكان للثوريين الاجتماعيين من أصحاب المثل في الاتحاد السوفيتي أيام ستالين . ولكن ثورة الميجي Meiji Revolution بالغت في تطرفها .

فما سر نجاح اليابان في النهوض واضفاء طابع الثورة على كل شئ بها ، في الوقت الذي أخفقت فيه الجهود التي بذلتها دول كثيرة متخلفة للنهوض بأحوالها ، فلم يتحقق لها ما كانت تصبو اليه ؟ وأنا أشارك البروفسير كوابارا Kuwabara رايه في أن الميجي Meiji قد كتب لها النجاح لأنها كانت ثورة ثقافية في المقام الأول ، فقد استوردت الأفكار من الخارج ، وساعدت تلك الأفكار على تغيير نمط الحياة لدى قطاع كبير من السكان . وساعد ذلك التغيير في نمط الحياة على نجاح واستمرار ثورة الميجي Meiji Revolution ، وكان أكثر أهمية من التغيير الذي طرأ على نظرة اليابانيين للعالم المحيط بهم الذي جاء بمزيد من البطء ولم يكتمل بعد .

وعبارة ثورة ثقافية تجعل المرء يتذكر الثورة الثقافية في جمهورية الصين الشعبية . ولكن هناك نقاط تشابه قليلة بين الثورتين . فقد أطلق الحرس الأحمر على ثورة الصين اسم « الثورة الثقافية الكبرى » ، وهي تسمية خاطئة . وقد حثت العناصر التي كانت تتولى زعامة الحزب

الشيوعي على قيام الثورة في الصين ، وذلك لضمان بقائها في الحكم . ورغم أن الصين قد عرفت الكثير من المظالم التي ساعدت على تأجيج الثورة ، وتمثلت تلك المظالم في عدم إتاحة فرص التعليم لأبناء العمال والفلاحين ، إلا أن بكين هي التي كانت تقوم بتوجيه أعمال الشغب ، وتشجيع الثوار على القضاء على الحرس الأحمر . وحتى شعار « للثوار الحق في الثورة » قد استخدم لتبرير أعمال العنف التي قامت بها الدهماء . ولذلك يمكن القول بأن هناك جهات عليا لعبت دورا في قيام الثورة ، فهي نموذج كاريكاتيري للثورة ، كما أنها ليست ثورة ثقافية .

على عكس الثورة الصينية ، فقد نالت ثورة الميجي Meiji Revolution موافقة الشعب ، وكانت تهدف الى القضاء على النظام الحاكم كله وتعقيد في قمته وتحطيمه ، لا في ايدو Edo - مقر الحكم - فقط مع استثناء بعض قيادات اقطاعيات افرديّة . وشارك في تلك الثورة حشد كبير من الناس ، وعلى رأسهم البيروقراطيون والمثقفون وكبار التجار وأهل المدن وعدد لا بأس به من المزارعين . وبذلك يمكن القول بأنها كانت ثورة ادارية تنزعها الطبقات الوسطى . وكانت تلك الثورة تمثل انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة الى الطبقات الوسطى العاملة . وكان هناك استثناء واحد لهذه القاعدة ، وهو الامبراطور - رمز السلطة القديمة - الذي أعيدت اليه هيمنته ، وقوى نفوذه .

وعندما أقول ان الثورة نالت موافقة الشعب ، فأنا لا أعني أن كل فرد في اليابان كان يجري وراء الدهماء الذين تجمعوا كالجراد حول معابد كيوتو Kyoto واوساكا Osaka وكافة المدن الأخرى ، وكانوا يهتفون في سعادة "ee ja nai ka" عشية قيام ثورة استعادة الميجي Meiji Restoration وساد جو من الحماس الشعبي ، وكان هناك احساس لدى الجميع بأن ثمة تجديد (Yonaoshi) لابد وأن يحدث . ويرجع ذلك الى استياء الشعب المتزايد من حكومة باكوفو Bakufu التي عاشت في عزلة عن العالم . ويشير فيكيوزاوا يوكيتشي الى تلك العزلة بقوله « عاش ملايين اليابانيين داخل ملايين من العلب المغلقة » .

وكانت هناك أسباب ايجابية تدعو الى قيام الثورة ، فقد رأت اليابان أن هناك آمالا عريضة تنتظرها اذا ما قامت الثورة . واذا رأى الشعب أن كثيرين من أصحاب المواهب يطرقون أبوابا جديدة ويشقون طريقهم في الحياة ، رغم انخفاض مكانتهم ، فقد بدا للجمع أن هناك أبوابا جديدة تفتح أمامهم . وأمن معظم أفراد الشعب بشرعية الاستعادة الفعلية ، بل حتى مؤيدو طوكوجاوا أمنوا بها . وكان يكمن وراء كل هذا افتتان الناس بكل ما هو جديد : فقد فتنوا بالعبادات الجديدة والأفكار الجديدة

والتكنولوجيا الجديدة والمعارف الجديدة . وسرعان ما امتزج الشعور الوطني بروح التحديث والتغيير الثقافي . وبذلك وجد الهيروديون والمتعصبون من الأسباب ما يدفعهم الى الاتفاق فيما بينهم .

كان الطابع السياسى يغلب على الثورتين الفرنسية والأمريكية ، وذلك رغم وجود العوامل الاجتماعية والمشاكل الاقتصادية التى ساعدت على نجاحهما . وغلب الطابع الايديولوجى على الثورتين الروسية والصينية . وسبقت التغيرات الثقافية التى أدت الى التحديث ، قيام الثورة السياسية الحقيقية فى اليابان ، ثم ما لبثت تلك التغيرات السياسية أن ساعدت على تاجع الثورة . ومن ثم يمكن القول بأن استعادة الميجى Meiji Restoration كانت أول ثورة شاملة تشهدها العصور الحديثة . وكانت هذه الثورة شاملة لأنها كانت ثورة على كل شئ فاستعاد العرش امبراطورا شابا ، وشمل التغيير قوانين البلاد ، وادخال نظام جديد للتعليم ، وعرف الناس الموسيقى الغربية والأدب ، وتغيرت أساليب الملابس وتسريحات الشعر لديهم . وشهدت البلاد بناء مصارف جديدة ، واقامة جيش حديث ، وادخال الدستور ، ووضع نظام سياسى جديد ، وسعت المصانع الى تحقيق أهدافها الثورية .

لعل المرء يتذكر الأمثال الشعبية التى عمت البلاد فى الأيام الأولى لقيام ثورة الميجى Meiji ، ومن هذه الأمثال المثل الذى قال « أقرع رأسا نصف شعرها مخلوق » ، وستسمع صوتا قائلا « لنتمسك بالتقاليد القديمة » . وأقرع رأسا كل شعرها مخلوق ، وستسمع صوتا قائلا ولنستعيد الحكم الامبراطورى . وأقرع رأسا طرفها العلوى مخلوق . الشعر بحسب العادات اليابانية (١) ، وستسمع صوتا ينادى بالحضارة والتنوير .

ولم يكن قص شعر الرأس الاجبارى للدلالة على اتباع السياسة الثورية مقصورا على المصلحين اليابانيين وحدهم ، فمنذ مائة عام خلت ، أصدر بطرس الأكبر - قيصر روسيا - أوامره لحراس القصر لقص الشعر وحلاقة الذقن كرمز لمسايرة طابع العصر . وتذمر أولئك الحراس من تلك الأوامر . وبعد مرور فترة قصيرة من الزمن على قيام ثورة الميجى Meiji كان الصينيون يقطعون ضفيرة الشعر كرمز للاستقلال والتخلص من طغيان مانتشوس Manchus . وحتى فى العصور الحديثة ، أصدر الحكام ، أمثال لى كوان Lee Kwan - حاكم سنغافورة - أوامره للشباب بقص شعر رؤوسهم ، بحيث يكون قصيرا وأنيقا .

كانت ثورة الميجى Meiji الثقافية أبعد أثرا ، فكان حظر تقلد السيوف رمزا يدل على أن النظام القديم قد ولى . ورغم أن الفوارق الطبقيّة

كانت لا تزال قائمة فى اليابان ، وكانت الصفوة المميزة تحتل معظم المناصب القيادية ، الا أن انتشار التعليم الاجبارى ، ودخول أبناء الشعب الجامعات ، كان اشعارا موجها لكل فرد من أفراد الشعب اليابانى يخبره فيه بقدرته على النرقى الى أعلى المناصب عن طريق الاستحقاق والكفاءة الشخصية فقط ، وذلك بصورة لم تعدها البلاد من قبل .

وأنا أسلم بأن دوافع اصلاح العادات الاجتماعية والتغيير الثقافى لم تكن خالصة . فما كان بمقدور النساء أن يتحررن من يوشيوارا Yoshiwara ويبتعدون عن أماكن اللهو الأخرى ، فحولا استياء الأجانب من ذلك . كما تغيرت كثير من العادات القديمة المتعلقة بالاستحمام وأكل اللحوم والزينة ، بعد أن استاء الأجانب من تلك العادات . فضلا عن ذلك ، فقد اعترفت البلاد بضرورة استيراد المعرفة الغربية والثقافة الغربية بجانب الآلات الغربية من أجل تحقيق مستقبل أفضل .

وكان لتلك التغيرات الاجتماعية أبلغ الأثر على الكثيرين . وقام مورى ارينورى Mori Arinori بتأليف كتاب عن أثر التغيرات الاجتماعية والثقافية فى حياته ، وانتشر ذلك الكتاب كما تنتشر النار فى الهشيم . كما تصور لنا مؤلفات ناتسومى سوزيكى Natsume Soseki الصراع النفسى الذى أحدثته ثورة الميجى الثقافية . وتصور بعض الكتاب الآخرين ، أمثال مورى أوجى Mori Ogai ، المشاكل المتعلقة بتمثل الثقافة الغربية ، ولم تكن الضغوط التى تعرضت لها اليابان فى تلك الفترة هينة ، ولكن النتائج النهائية أثبتت نجاح الثورة الثقافية نجاحا منقطع النظير ، فلم تحد اليابان عن سياسة تلك الثورة ، وذلك رغم كافة العثرات التى مرت بها .

وتصاب جميع الثورات بالبرود ، وأحيانا بالتجمد ، ويصدق جانب كبير من هذا القول على ثورة الميجى Meiji . ومن الناحية السياسية ، ظلت الميجى Meiji محتفظة بحراريتها لبعض الوقت . فبعد عام ١٨٩٠ ، طوق البيروقراطيون ودعاه النزعة العسكرية نيران الثورة التى اندلعت بعد أن طالب أصحاب المثل بحقوق الشعب ولكن سرعان ما تأججت نيران تلك الثورة مرة أخرى فى العشرينات من القرن العشرين ، واحترق البيروقراطيون ودعاه النزعة العسكرية وسط نيران النزعة العسكرية التى سادت الثلاثينيات والأربعينات من القرن العشرين . وتوارى العلماء ورجال الأعمال والبرلمانيون المخلصون - الذين عاصروا فترة حكم الميجى Meiji وأوائل فترة حكم تايشو Taisho - عن الأنظار قبل وصول الأساطيل والجيوش الغربية ، وضربها لمدن الصين . وكان على اليابان أن تنتظر حتى تحل بها الهزيمة النكراء على يد القوات الأمريكية فى الحرب العالمية

الثانية حتى تخرج من قوقعتها السياسية التي مكثت بداخلها حتى بعد قيام ثورة الميجي Meiji ، كما انتظرت الاحتلال الأمريكي لأراضيها حتى تعمل على احياء التقاليد التي ظلت باقية ولم تمت أبدا . كما ظل التراث النقفي للميجي Meiji باقيا . وقد ثبت أن التراث الثقافي الياباني لا يقدر بثمن ، وذلك بعد أن تلقت اليابان مساعدات ضخمة من القوات الأمريكية المحتلة ، فنطلقت تعيد بناء نفسها ، وتحولت الى قوة اقتصادية عظيمة يعمل لها العالم ألف حساب . وظل جيل كامل يكافح لتخليص نفسه من الحطام الذي خلفه الاستعمار الأوربي وراءه بعد رحيله عن البلدان التي كان يحتلها . ووجدت هذه البلدان التي نالت استقلالها مؤخرا نفسها تواجه الكثير من التحديات ، فكان عليها النهوض ومسايرة طابع العصر والقيام بالتعيرات الثقافية ٠٠٠٠ وهي نفس التحديات التي نجح اليابانيون في مواجهتها منذ قرن من الزمان .

ومن السهل علينا الآن تقدير حجم الانجازات التي حققتها ثورة الميجي Meiji ، بعد مضي قرن من الزمان ، وذلك بأن ننظر الى تلك الأحداث الماضية - التي كن لثورة الميجي الفضل الأول في حدوثها - من زاوية عالمية . فلم تعد ثقافة أوربا الغربية هي الحكم الذي يصدر أحكامه على سياسة واقتصاد ونمط الحياة في العالم ، وجعلتنا التكنولوجيا ووسائل الاتصالات السريعة تقف على كل ما يحدث في بقاع الأرض ، واستطاع أصحاب النظرة القومية الضيقة الطواف بكافة أنحاء العالم من خلال شاشة التلفزيون . فلا عجب أن يتحول الرجل الياباني المتعصب ، صاحب الایدولوجيات العدوانية ، الذي كان أبرع من يستخدم السيف ، ويقوم بخطط الرهائن ، بين عشية وضحاها الى مبشر بالتنوير والتكنولوجيا . وقامت حكومات دول عديدة بتقليد واستيعاب أفكار الميجي Meiji في الخمسين سنة الماضية ، ومن أشهر هذه الدول غانا وأندونيسيا ومصر وكوبا وكينيا . ويجعلنا التطرف المخيف الذي صاحب ثورة ماو Muo الثقافية في الصين ، نفتح أعيننا على حقيقة الانجازات الضخمة التي حققتها ثورة الميجي Meiji ، برغم جميع الخسائر التي تكبدتها والتي كان لا مفر منها .

وعملت الدول الآسيوية على السير في ركاب ثورة الميجي Meiji عندما حاربت الاستعمار ، وسعت الى تحقيق الاستقلال . وقد فر لينج تشي تشو Liang Chi-Chao الى اليابان ، بعد أن فشلت محاولاته لحمل حكام مانتشو Manchu في الصين على الأخذ بأسباب التقدم والنهوض بالبلاد عام ١٨٩٨ . كما أوت اليابان سن - يات سين Sun Yat-sen الذي كان بعلم في أخريات حياته بتحقيق ثورة في الصين على غرار ثورة الميجي Meiji في اليابان . وسعى اميليو اجينالدو

Emilio Aguinaldo الى الحصول على مساعدة اليابانيين في صراعه ضد الأسبانين أولا ثم الأمريكيين في الفلبين . وحاول الثوار في الهند وأندونسيا الاستفادة في دروس اليابان . وفي بداية الثمانينات من القرن العشرين ، سعى بعض القادة الكبار ، أمثال دنج زيوبنج Deng Xiaoping في الصين وأنور السادات في مصر ، الى الاستفادة من تجربة الميجي Meiji في النهوض ببلادهم ومسايرة طابع العصر .

والآن دعونا نلقى نظرة سريعة على أحوال اليابان وقت قيام ثورة الميجي Meiji ، حتى نعرف مقدار ما تكبده المصلحون في تلك الفترة . ففي عام ١٨٦٨ ، كان يحق لنا أن نطلق لفظ اقطاعي على اليابانيين ، وهو نفس اللفظ الذي نطلقه على أوروبا في العصور الوسطى . فقد كان لا يزال ضرب العنق والطنن بالرماح والصلب هي أساليب العقوبة المتبعة في اليابان . وكان لا يزال بإمكان أحد رجال المحاربين الساموراي طعن رجل من العامة بالسيف ، اذا رأى منه ما لا يرضيه . وكان القانون الرئيسي يتمثل في مجموعة الأعراف التي ارتضتها كل عشيرة لنفسها ، بعيدا عن القوانين العامة التي وضعها الشوجون . وكان الرجل الاقطاعي هو الذي يتحكم في ظروف التعليم والاقامة . وكان الرجل يدين بالولاء لعشيرته فقط . وواقع الأمر أن حكومة اليابان لم تتغير كثيرا في الستينات من القرن التاسع عشر عن نظام الشوجون الذي أرسى قواعده طوكوجاوا اياسو Tokugawa Ieyasu عام ١٦١٦ ، بعد استيلائه على قلعة اوساكا Osaka

وبعد ذلك بقرنين ، عرفت أوروبا عصر النهضة والاصلاح والثورة الصناعية والتنوير ، بينما ظلت اليابان منغلقة على نفسها - فكنت تتعبد في محراب العزلة مثلها في ذلك مثل جارتها كوريا . ولكن في ظل فترة السلام الممتدة التي نعمت بها اليابان ، كانت القوة البورجوازية قد بدأت تطل برأسها ، وكان لتلك القوة أفكارها وثقافتها في الفن والاقتصاد . وحصل بعض الناس على قسط من العلم ، فتشككوا في قيمة نظام السلطة القائم على « الهيراركية » . وساعد تسرب المعارف الغربية في مجال الطب ، وبناء السفن ، وصناعة السلاح ، على شحذ همم المفكرين الكونفوشيين باليابان . وبفضل التجارة الداخلية تمكنت اليابان من تطوير نظام قومي لد الطرق ، وادخال القياسات والمواصفات ، فاستطاعت بذلك التخلص من العزلة المحلية التي فرضتها الشائثر الاقطاعية ، ومهدت الطريق أمام ثقافة قومية جديدة .

ونلاحظ من خلال قراءة هذا المقال أن هناك ثلاث مجموعات لعبت دورا حاسما في ذلك الوقت العصيب الذي مرت به اليابان . وهذه المجموعات هي :

١ - أهل المدن الجدد : ويتكون أهل المدن من التجار والمزارعين والسماسر ، وأصحاب الأراضي الجدد ، الذين عملوا على خلق اقتصاد يعتمد على المال منذ أوائل القرن التاسع عشر ، وأضفوا الطابع التجارى على المجتمع الزراعى فى اليابان ، ونمكنوا من خلق ثقافة شعبية فى المدن . وبذلك كانوا أول من أقام مجتمعا معاصرا قوامه الطبقة الوسطى .

٢ - المفكرون الجدد : انسقت عدة أجيال من العلماء والفلاسفة والمؤرخين والسياسيين البرجماتيين على ايدىولوجية طوكوجاوا الكونفوشية . فقاموا بفحص دعائم مجتمعهم ، وأخذوا ينظرون فى جذورهم كيابانيين . وفى أثناء ذلك اكتشفوا النقائص التى تعيب شرعية حكم طوكوجاوا . وفى نفس الوقت ، أنكب باحثون آخرون على الكتب الأوربية التى كانت محظورة من قبل ، فعثروا على عالم جديد من العلوم والتكنولوجيا الغربية .

٣ - المتدمرون من أصحاب الموهبة : ثارت الطبقة الخاملة التى كانت تضم بين صفوفها جيلا جديدا من اليابانيين ، معظمهم من المحاربين الساموراي من الطبقة الدنيا ، وبعضهم من العامة وأبناء التجار والمزارعين ، على حالة الخمول التى كانت تعاني منها ، فأخذت تعبر عن عدم رضاها عن المجتمع المغلق ، ثم انطلقت تبحث عن القوة والسلطة وسبل علاج تلك المساوئ الاقتصادية والسياسية التى عانت منها البلاد آنذاك ، معتمدة على الموهبة لا على الرتبة الاجتماعية .

ولا يجب علينا النظر الى هذه المجموعات الثلاثة من الزاوية الأوربية . فلا يصح أن نتصور التجار اليابانيين الذين عاشوا فى أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر ، على أنهم بورجوازيون ذوو عقول مستقلة ، أو أنهم كانوا يتلهفون الى قلب نظام الحكم والقضاء على الامتيازات التى كان الارستقراطيون المحافظون يتمتعون بها . كما لا يصح القول بأن المفكرين الذين عاشوا فى مقاطعة ميتو Mito ، كانوا يتلهفون الى نبذ الايهام الفكرى الذى سيطر على الطبقة الاقطاعية ، وتفضيل الفكر العقلانى عليه ، أو تصور الشباب من المحاربين الساموراي وكأنهم ثوريون يضيقون بكل ما حولهم ، مثلهم فى ذلك مثل خريجى الجامعات العاطلين عن العمل فى أمريكا اللاتينية أو صغار الموظفين الذين كانوا يضيقون زرا بمن هم أعلى منهم فى التسلسل الوظيفى . صحيح أن تلك العناصر كانت موجودة ، ولكنها استغرقت وقتا طويلا لتظهر . وفى بداية الأمر ، كانت هناك قلة ممن كانوا يظنون أنفسهم ثوريين . فقد كانت الغالبية تدين بالولاء لنظام طوكوجاوا الحاكم .

وكان على اليابانيين انتظار وصول اسطول الكومادور بيرى Commodore Perry وما أعقبه من تهديد أوربى وأمريكى ، حتى يتجهوا

بافكارهم شطر الثورة المطلقة • وأشار فيكيوزاوا Fukuzawa الى الموقف الصعب الذى وجد اليابانيون أنفسهم فيه بقوله « كان يصعب على اليابانيين الأخذ بزمام المبادرة » • ولكن لولا وجود تلك القوى التى أخذت تعمل داخل اليابان ، لنهى « فتح اليابان » نهاية مختلفة عن تلك التى نعرفها ، وما كان لثورة الميجي Meiji Revolution - التى نعرفها - أن تبدأ أبدا ، فقد ساعد النشاط الذى قامت به المجموعات الثلاثة على قيام ثورة الميجي Meiji

وأهل المدن الجدد Chomin حالة تستحق منا الدراسة • فلم يقوموا ببناء دعائم المجتمع التجارى فى اليابان فحسب ، بل كان ذلك المجتمع لديه من القوة بحيث لم يكن بإمكان الحكومة القضاء عليه بمجرد اصدار مرسوم أو كبتة رسميا ، ولذلك بقيت روح ذلك المجتمع التجارى قائمة فى كافة المؤسسات القومية اليابانية حتى يومنا هذا - ولكنهم خلقوا شيئا آخر • فقد خلقوا بدايات الثقافة الجماهيرية المعاصرة • وبذلك مهدوا الطريق لقيام ثورة الميجي Meiji الثقافية • فلم يرفض الشوجون Shoguns مسرحيات الكابوكي Kabuki بل كانوا يؤدونها بصفة دائمة ، كما لم يستنكروا الشهرة التى حظيت بها بين جماهير المدن ، لمجرد الرفض أو الاستنكار ، فقد رأوا أن تلك المسرحيات تمثل رمزا لثقافة المدن الجديدة التى يمكن أن تقفز فيما وراء حدود عالم طوكوجاوا المغلق على نفسه ، وتوحد صفوف الناس الذين كان من المفروض أن تفصل بينهم الجدران الطبقة • وان كان الأدب قد تجرد من بعض السمات الأخلاقية آنذاك ، الا أن الطبقة الوسطى وجدت فى هذا الأدب بديلا يغنيها عن ثقافة الطبقة الارستقراطية •

وزاد عدد من يعرفون القراءة والكتابة • وانتشرت محلات بيع الكتب وبيوت اللهو فى ايدو Edo • وكان لكل منهما أنصار يراعونها • وازدادت معدلات من يعرفون القراءة والكتابة ، اذ لم تكن هناك صعوبة فى الحصول على قسط من التعليم فى أواخر عهد طوكوجاوا • وكان يسمح للعامه ولللبوشى bushi بالحضور فى كثير من مدارس الاقطاعية • وانتشرت مدارس المعابد الصغيرة teakoya فى كافة أنحاء الريف ، وكانت تعلم أصول القراءة والكتابة وبعض تعاليم كونفوش • وكانت قراءات أهل المدن Chomin فى مستوى أقل وأوسع من حكاية جنيجي Tale of Genji أو قصص monogatari عن المحاربين القدماء • وارتبطت معرفة القراءة والكتابة وقراءة القصص البسيطة مع بدايات نقل المعرفة الغربية الى اليابان • فقد لاقت تلك المعرفة اقبالا لدى عامة الناس ، وذلك حينما جاءتهم فى صورة ملابس وأدوات نافعة وأوان جديدة فضلا عن الآلات

الجديدة • وكان فجر ثورة الميجي Meiji الثقافية على وشك البزوغ ، وكان أهل المدن الجدد هم نواة الطبقة المتوسطة التي ستخرج الى النور •

ولم تكن ثقافة أهل المدن ثقافة تجارية بحتة • فقد كان لأهل المدن الجديدة خلفية ثقافية تفوق ثقافة الـ Chomin الذين قد استقروا في ايدو Edo • وبجانب البيروقراطيين وأصحاب الأراضي الذين كانوا يدينون بالولاء لحكم طوكوجاوا ، عاش عدد كبير من رجال الساموراي المشردين Ronin ، الذين لم يعودوا يدينون بالولاء لأية اقطاعية ، فكانوا يتكسبون قوتهم بالعمل مدرسين أو حرفيين أو معلمين يدرسون مذهب كونفوشى أو مدرسين على المبارزة بالسيف أو تجارا • فبعد أن أمسك الفقر بخناق طبقة الساموراي ، تحول كثيرون منهم الى التجارة ، وبذلك فضلوا الغنى على الصيت • وكان هناك تداخل اجتماعي ، فحصل التجار الناجحون على الرتب التي كان يتمتع بها رجال الساموراي • • • فكان أحد أفراد أسرة طوكوجاوا الحاكمة ، أو أحد السادة الاقطاعيين (الذين ربما كنت تربطهم علاقة مال أو استدانة مع أولئك التجار) يمنح التجار الحق في تقلد سيفين ، والتسرف بلقب من الألقاب •

وبعد تعقد الأمور ، تحولت مقاطعات اقطاعية كثيرة الى التجارة • ووجد رجال الساموراي – الذين تلقوا تدريباً ليكونوا باحثين أو موظفين ، ان لم يكونوا محاربين حقيقيين – أنفسهم يتاجرون في الحرير أو الخشب أو المنسوجات في مراكز التجارة الكبرى • وفي المدن ، كنوا يصغون الى المحاضرات التي كان يلقيها ايسيدا بيجان Ishida Baigan ، وبعض الفلاسفة الآخرين، عن الـ Shingaku (دراسة القلب) • وكان أولئك الفلاسفة يعلمون أتباعهم بأنه لايعيب المرء شيئاً اذا ما عمل بالتجارة • وفي الوقت الذي ظل فيه حكام طوكوجاوا والسادة الاقطاعيون يحتفظون بتقاليد البلاط ، كان رجال الساموراي ذوو الرتبة الدنيا يفقدون رتبهم ، أو على الأقل يعيدون التفكير فيها •

مرت اليابان بأوقات عصيبة قبيل قيام ثورة الميجي Meiji فساد الاضطراب الثقافي المثير • وقد كتب أحد العلماء الشباب عن ذلك بقوله « فقدت تعاليم كونفوشيوس Confucius وهنسيوس Mencius ما كان لها من قوة • وكان على المعارف العلمية أن تصلنا من الغرب • وكان الأمر يبدو وكأن الشمس قد غربت ، ولكن القمر لم يطلع بعد » •

ومن حسن حظ اليابان أنه كان لديها عدد وفير من الشباب من ذوى المواهب ، الذين كانوا يتوقون الى التعلم وقيادة دفة الأمور ، ولكنهم كانوا يشعرون بالضيق والاحباط لما يفرضه الشوجون من قيود ، وكانوا

يشعرون بالحزن لتفوق الأوروبيين عليهم . فقبل حلول عام ١٨٦٨ ، كانت السفن البريطانية والفرنسية قد أذاقت رجال العشائر اليابانيين نيران المدافع ، وما يمكن أن تفعله بقلع ومنازل المحاربين بالسيوف .

تعثرت انجازات مصلحي الميجي Meiji . وألغيت المقاطعات بمقتضى القانون الامبراطورى عام ١٨٧١ ، وذلك رغم أن الامبراطور استعاد هيمنته بفضل جهود العتسائر . وحلت الولايات محل الاقطاعات ، وظهر البرلمان (الدايت) وعرفت البلاد الدستور القومى على غرار الدستور الذى أدخله بسمارك Bismark فى ألمانيا عام ١٨٨٩ . كما صدر قانون لفرض نظم التعليم الاجبارى عام ١٨٧٢ ، أى بعد صدور قانون مماثل فى انجلترا بعامين فقط ، وقبل أن تصدر قوانين مماثلة فى فرنسا والولايات المتحدة . وأنشئت جامعة طوكيو التى كانت مدرسة قديمة « لتعلم لغات البرابرة » . وأصدر رجال الساموراي المعارضون للحكومة أول جريدة معاصرة فى السبعينات من القرن التاسع عشر . ثم صدرت أول قوانين للرقابة . وكان لابد للحكومة البدء بتشكيل قوة بوليس بالمدن من نقطة الصفر . وأطلق على تلك القوة لفظ "Purisu" لأن اللغة اليابانية لم تكن تحتوى على كلمة تعبر عن مفهوم البوليس . وبذلت اليابان كل ما فى وسعها لتصبح مجتمعا معاصرا ، فدخلت كافة النظم المصرفية وأساليب نشر الكتب . وانطلقت البعثات السياسية والثقافية والتكنولوجية الى أمريكا وأوربا للوقوف على أحدث النظم التى يمكن نقلها لليابان . وحل شعار "Wakon yosai" أو « الروح اليابانية والمعرفة الغربية » محل الشعار القديم الذى قال « بجل الامبراطور واطرد البرابرة » . ولتطبيق مبدأ الاستفادة من المعرفة الغربية ، حملت السفن مئات المعلمين والمستشارين والفنيين الأجانب الى اليابان .

كانت الرغبة فى الاستفادة من المعارف العربية تدفع البعثات اليابانية التى كانت تدرس بالخارج ، الى النهل من هذه المعارف ، فتواضعت تواضعا شديدا لتحقيق تلك المآرب ، لدرجة أنها كانت تحط من قدر العادات والتراث اليابانى أحيانا . فقد كانت تلك البعثات تدرك تفوق الغرب على اليابان . ويعبر فيكيوزاوا عن ذلك بقوله « لا يمكن لأحد أن يزعم بأن معارفنا أو تجاربنا كانت تقف على قدم المساواة مع معارف أو تجارة الغرب . وكل ما كان بمقدور اليابان أن تعتز به هو مناظرها الطبيعية الخلابة » .

ويحمل هذا القول قدرا كبيرا من التهكم اليوم ، بعد أن فاقت معارف وتجارة اليابان منيلاتها فى الدول الغربية ، بل واتسع البون بين هذه وتلك (ولكن المناظر الطبيعية الخلابة التى كانت تعتز بها اليابان ،

أصبحت نحارب معركة خاسرة ، ويرجع ذلك الى التقدم الصناعى الهائل الذى حققته اليابان) . ولكن ما يسترعى النظر الآن هو السرعة الهائلة التى تغيرت بها عقلية الميجى Meiji ، وذلك حتى تتمكن من اللحاق بركب التقدم الغربى ، حتى أن البعض يصفون سرعة التحول تلك بأنها عيب أكثر منها فضيلة تستحق المديح .

وهزت التغيرات الثقافية كل ركن من أركان المجتمع اليابانى . وكان وقع التغيرات الثقافية على اليابان يماثل وقع عصر الاكتشافات والتنوير على أوروبا . فرغم أن ثورة الميجى Meiji Revolution قد قامت بفضل جهود المثقفين - الذين كانوا يضمون بين صفوفهم الجنود والعلماء والبيروقراطيين - شأنها فى ذلك شأن بقية الثورات ، إلا أن آثارها امتدت الى المزارعين المطحونين الذين كانوا يشكلون قاعدة المجتمع اليابانى ، وكذلك أصحاب الحرف ورجال الأعمال بالملء . صحيح أن ثورة الميجى Meiji كانت بتوجيه من هم فى المراكز العليا بالدولة ، وذلك بغرض النهوض بالبلاد ومسايرة طابع العصر ، إلا أن نظم التجنيد الاجبارى ونظم التعليم العام التى سمحت للتلاميذ بدخول المدارس استنادا الى الكفاءة والتفوق فقط ، قد أفادت معظم السكان .

واذا كانت ثورة الميجى Meiji Revolution ظاهرة غير عادية ، فقد كان قادة تلك الثورة أكثر غرابة . ولم يزد عددهم عن خمسين رجلا . وكانوا من الرجال الموهوبين الذين قاموا بوضع أسس اليابان المعاصرة . وخطط أولئك الرجال لأول انقلاب فى الحكم وعملوا على انجازه ، وسعوا الى تحويل جهود المستعمرين وجهة أخرى بعيدة عن اليابان ، واستطاعوا السيطرة على المناوئين للأجانب والمتحمسين للنظام القديم والمؤيدين للتخلص من العادات القديمة ، فarsوا أسس اليابان المعاصرة من تلك العجينة الخام .

وسار قادة ثورة الميجى Meiji على نفس الدرب الذى صار عليه قادة الثورة الأمريكية منذ قرن مضى ، فعملوا على التخلص من العادات القديمة ، واقتلاع جذور النظام القديم ، وكانوا يكرهون المواقف المتطرفة . كما كن أولئك التامة الثوريون يميلون الى المحافظة على الشئ القديم الذى يمكن الانتفاع به ، أكثر من ميلهم الى التخلص مما هو فاسد . وكان قادة الثورتين - الأمريكية واليابانية - يميلون الى اتباع سياسة المهادنة والحل الوسط . كما لم يتم التخلص من أولئك القادة ، أو تلويت سمعتهم بعد انتهاء الثورة فى البلدين . فمعظم الثورات الأخرى كانت تتخلص من قادتها ، بل وتمثل بجثثهم ، كما حدث لكرمويل Cromwell .

عقب انتهاء الثورة في إنجلترا • فبقى قادة الثورة ، بعد انتهاء الثورة في البلدين ، يفودون المجتمع الذي قاموا بتغييره تغيرا شاملا •

يختلف قادة ثورة الميجي Meiji عن قادة الثورة الأمريكية في أنهم عاشوا في ظروف متواضعة • فلولا الصدمة والاضطراب والتغيير الذي صاحب الثورة ، لعاشوا حياة هادئة مثل معظم رجال الساموراي ذوى الرتبة الدنيا ، والبيروقراطيين ، والعلماء الذين كانوا يعملون بعض الوقت ، وضاعوا بين طيات العشائر المتعددة • وكان بعض قادة الثورة من غير الساموراي ، بل انحدروا من عائلات التجار أو المزارعين ، كما كن بينهم عدد قليل من نبلاء البلاط والسادة الاقطاعيين وزعماء العشائر •

وكان أولئك القادة من أصحاب المثل ، ولكنهم لم يكونوا من أصحاب النظريات • وكانت تستهويهم كلمة Jitsugaku ، وتعنى السعى وراء المعرفة العملية • وقاموا جميعا بدراسة بعض فروع المعرفة الغربية ، وكانوا قد تعلموا بعض اللغات الغربية – كاللغة الهولندية والانجليزية – وقت قيام ثورة الميجي • وسافر بعضهم الى أوروبا أو أمريكا • ولم يكونوا جميعا يسعون الى التخلص من العادات القديمة بصورة شاملة ، أو يهدفون الى المحافظة على القديم على نحو شامل ، بل كانوا مزيجا يضم الطرفين • فقد كانوا ممزقين تتنازعهم الرغبة فى استيراد المخترعات الغربية ، ان لم تكن الأفكار الغربية نفسها ، ويستبد بهم الشعور القومى الجارف الذى يأبى التعاون مع الأجانب ، ولا سيما أولئك البرابرة ذوى الشعر الأحمر ، الذين جاءوا من الغرب • وعمل ذلك الصراع على خلق نوع من التوازن الغرب ، ويمكن للمرء مشاهدة هذا التوازن فى اليابان حتى يومنا هذا •

لم يكن جميع الرجال الذين شاركوا فى ثورة الميجي Meiji من السياسيين ، فتعددت اتجاهاتهم فى الحياة ، فاتجه بعضهم الى العمل بالتجارة ، والبعض الآخر الى التعليم أو وسائل الاتصال أو البنوك • وبذلك ساهموا فى بناء دولة اليابان الحديثة بنصيب وافر • ولا يزال التاريخ يذكر لنا الرجل الذى أسس جريدة Asahi Shintun عام ١٨٨٠ أكثر مما يذكر لنا الرجل الذى قام ببناء أسطول اليابان المعاصر • فقد عرفت اليابان كتابا مرموقين ، ساهموا فى النهضة الأدبية حتى أصبح الأدب اليابانى من أعظم الآداب العالمية •

وعرف رجال الثورة بكثرة الشجار والنقاش وتدبير المؤامرات • واحتفظ كثيرون منهم بالقدرة على تدبير المؤامرات – تلك القدرة التى اكتسبوها وقت قيام الثورة • واتخذ قليلون منهم ذلك مسلكا لهم ،

ولكنهم استجابوا لنداء العمل سويا ، واستجابوا لنداء الحرب الذى أطلقه .
الأميرال توجو Togo من على ظهر سفينته الحربية ميكاسا Mikasa
قبيل بدء معركة تسوشيما Tsushima . فقد قال توجو : ان مصير
اليابان يوقف على ما ستبدلونه اليوم من العمل ، فابذلوا كل ما فى
طقتكم . - وكان هناك هامش ضئيل يفصل بين النجاح والفشل فى
حياة أولئك الرجال .

ومن الظلم القول بأن رجال الثورة كانوا من المؤيدين لحكم القلة ،
أو أنهم كانوا مجرد أدوات تنفيذ فى يد الثورة . فقد كان لكل واحد منهم
شخصيته المستقلة . وكان البعض منهم يميلون الى فرض آرائهم ، ولكنهم
لم يكونوا مستبدين . ورغم الثورات التى كان يقوم بها الفلاحون من آن
لآخر ، ورغم الاضطرابات التى كانت تشهدها المدن ، الا أن رجال ثورة
الميجي Meiji استطاعوا كسب ثقة الغالبية العظمى من المواطنين .

ويصعب علينا شرح الأسباب التى جعلت بعض اليابانيين يقفزون
الى مركز الصدارة . ومن المعروف أن اليابانيين يظهرون قدرا كبيرا من
التفوق اذا عملوا فى جماعات . ويتلشى هذا التفوق اذا انصرف كل واحد
الى العمل بمفرده . وساعدت الأزمة التى لم يسبق لليابان أن تعرضت
لها من قبل على وصول بعض الناس - الذين كانوا مصدر ازعاج فى
الأوقات الأخرى - الى مراكز السلطة . وكتب يوشيدا شيجارو
Yashida Shigera رئيس الوزراء السابق عن ذلك بقوله « استفادت
الطبقة المحاربة من خلفياتها السابقة ، لأن الصفات المطلوبة آنذاك كانت
تتمثل فى المبادرة والجسارة والقوة الدافعة » .

وزيارة لمدينة هاجى ، مدينة القلعة العتيقة لعاصمة اقطاع
تشوشو ، يمكن أن تقيدنا فى فهم المدى الذى أخذتهم اليه دفعتهم هذه .
لقد ظلت هاجى مدينة صغيرة على مدى السنين وعاشت فى كنف ماضيها
بهدهوء ، مع وجود تغييرات حديثة بسيطة . وتبدو بعض شوارع فى قلب
المدينة العتيقة ، كما لو أنها كما هى ، عندما كانت هاجى عاصمة تشوشو
ومركز التآمر ضد الحاكم العسكرى طوكوجاوا فى ايدو . أما مدرسة
يوشيدا شوين « تحت ظلال أشجار الصنوبر » الشهيرة ، فقد تحولت
الى متحف صغير ، مع تغييرات طفيفة . وحتى المنازل التى عاش فيها
اتو هيرومومى ، وياما جاتا اريتومو ، وتلاميذ آخرون مشهورون ليوشيدا
فظل أغلبها على ما كانت عليه فى الخمسينات من القرن التاسع عشر ، عندما
شرع المخلصون الشبان فى الكفاح ضد الشوجون .

لم يكن المرء يصدق نفسه عندما كان يرى الشباب الياباني يجلسون
فى فصول الدراسة ، ثم يراهم بعد عشر سنوات فقط ، وهم يجوبون

أمريكا وأوروبا بحثا عن الأفكار الجديدة التى تناسب مجتمعهم المعاصر
بعد هزيمة الشوجون - وكانوا يرتدون الزى الغربى - ثم يعودون إلى
اليابان لافتتاح السكك الحديدية وحضور المجالس والحفلات التنكرية فى
طوكيو ، والذهاب إلى مصانع صب المعادن ومصانع صنع المدافع التى
استخدمتها اليابان للدفاع عن أراضيها ضد عدوان السفن الأجنبية -
وما زالت بقايا مسبك المعادن القديم مصانة • وانتهى بها الحال إلى أن تصبح
تراثا ثقافيا • ويمكن أن نجد العذر لمقلديه الفاشلين لفشلهم ، فحتى
الآن يصعب علينا فهم كيف قاموا بإنشائه •

أثر الميجي Meiji على الثقافة الشعبية

بقلم

اروكاوا ديكينشى Irokawa Daikichi

كلية طوكيو للاقتصاد Tokyo College of Economics

كوكو بونجي - شى Kokubunji - shi

طوكيو - اليابان

يعد اصلاح الميجي احدى الانجازات النادرة . ومارست القوى الأمريكية والأوربية الكثير من الضغوط على اليابان ، كما كان للحضارة الغربية أثر كبير على اليابان ، فانطلقت الثورة السياسية من قممها ، وقامت بالاصلاحات الاجتماعية الشاملة ، وتحققت وحدة البلاد . فما الذى حدث فى ميدان الثقافة اذن ؟ وما هو موقف الميجي Meiji من تاريخ الحضارة العالمية ؟ ان اليابان عبارة عن جزر ، مما مكنها من الحفاظ على ثقافتها لما يزيد على عشرة قرون ، واستطاعت تجنب الوقوع تحت سيطرة الامبراطورية الصينية ، فما نوع الاضطرابات والتغيرات النوعية التى نتجت عن تأثر اليابان بالحضارة الغربية فى منتصف القرن التاسع عشر ، وأثر ذلك على الثقافة ؟

إذا نظرنا الى الموقف نظرة عالمية ، فاننا نجد أن الاستجابة للحضارة الغربية تمثلت فى تسارين مختلفين عن بعضهما كل الاختلاف . كان التيار الأول يمثل قبول الحضارة الغربية . أما التيار الثانى فكان يمثل رفض هذه الحضارة . وساد التيار الأول فى بعض الدول - كاليابان وروسيا - التى أقامت علاقات مع الغرب ، ولكنها لم تفرط فى استقلالها . وساد

التيار الثاني في الدول التي أرغمها الغرب على إقامة علاقة معه ، وذلك عن طريق أية صورة من صور الخضوع أو الاستعمار . وانتشر التيار الأول بسهولة في تلك الدول ، فعملت على الاستفادة من التكنولوجيا والمؤسسات الأجنبية ، وذلك حتى تتمكن من تنمية اقتصادها والنهوض بقوتها العسكرية . ولكن مقاومة الثقافة الروحية الأوربية – التي تمثلت في الفلسفة والدين – لم تكن قوية بصورة كافية ، مما أدى في بعض الفترات إلى التقليد السطحي والاضطراب .

وساد التيار الثاني – تيار الرفض – في دول كالصين وكوريا والهند والعالم العربي . وارتبطت الحضارة الغربية في تلك الدول بالسيطرة الاستعمارية . وأدى ذلك إلى صراع طويل ومرير بين الثقافة الغربية والثقافة المحلية . واتخذ الفكر في تلك الدول طابع التأمل الذاتي ، وأشعلت روح المقاومة العنيفة حركات التحرر . وتعد بعض الشخصيات مثل غاندي ونهرو في الهند وسن يات سين Sun Yat-sen ولوسن Lau Hsun في الصين تجسيدا للعاطفة الوطنية . وتحرر أولئك القادة من المزايم الأيديولوجية المتعلقة بالحضارة الغربية ، ومن النظرة الوجدانية للحضارة ، فادركوا قيمة ثقافة بلادهم ، وأكدوا على قيمة هذه الثقافة .

وسواء ظلت الأمة محتفظة باستقلالها ، أم استسلمت للاستعمار ، فلن يفسر لنا ذلك سبب اختلاف أساليب الاستجابة للغرب ، ومن الأهمية بمكان معرفة المرة الأولى التي واجهت فيها الأمة القوى الغربية ، وفي أية مرحلة من مراحل تاريخها كانت تلك المواجهة . واختلف موضوع الانفتاح على الغرب في العديد من دول آسيا . فاضطرت الصين إلى الانفتاح على الغرب فيسما بين عامي ١٨٤٠ ، ١٨٥٠ ، واليابان فيما بين عامي ١٨٥٠ و ١٨٦٠ ، وكوريا فيما بين عامي ١٨٧٥ و ١٨٨٠ .

يعد استعداد الدول المختلفة لتقبل التمدن وقوة ثقافتها وقت انفتاحها على الغرب ، أحد العوامل الرئيسة التي تحدد مسار الأمة ، وهل ستتجه نحو الاستقلال ، أم ستخضع للغرب . فعلى سبيل المثال ، تمكنت اليابان من وضع أسس التنمية الرأسمالية في وقت مبكر ، وازدهرت لديها ثقافة ناضجة ، وميراث ضخم من المعارف الغربية (الهولندية) . وارتبط ذلك بارتفاع معدل من يعرفون القراءة والكتابة ، ورغبة من عامة الشعب في الاتيان بالأعمال الجلييلة ، والتطلع إلى عصر جديد . ومن ثم توافرت الاشتراطات الأساسية التي أعانت البلاد على اجتياز الأزمة الدولية التي أمسكت بخناقها .

ولا أهداف الى التعرض لهذه العوامل ، وانما أرغب فى تناول النتائج التى صاحبت الاستعادة Restoration وأثرها على الثقافة أثناء فترة حكم الميجى Meiji . فما هى الآثار وردود الفعل واذطرابات والقدرات الابداعية التى ترتبت على قيام ثورة الميجى Meiji

أثر الإصلاح (الاستعادة) Restoration على طبقات المجتمع اليابانى :

انى أتحدث عن تأثير الاستعادة Restoration على الثقافة ، ولكن ينبغى توضيح بعض الأمور فى هذا الشأن . فاذا نظرنا الى مجريات الأحداث ، وما كانت عليه من نصف قرن مثلا ، فسنجد أنفسنا نتعرض لأثر واحد من الآثار المتعددة . ولكننا لو تعرضنا للحقبة التى تلت الاستعادة مباشرة ، وقمنا بتحليل آثار الاستعادة على قطاعات المجتمع المختلفة من وجهات نظر متعددة ، فسنجد أن هناك اختلافات كثيرة .

كانت الاستعادة Restoration بمعناها الواسع تعنى تحرر الشعب اليابانى . فقد قضت على الفوارق الطبقية ، ومنحت الحرية للمجتمع ، فأصبح أكثر قدرة على الحركة ، ومنحت الناس ما يحتاجونه لتحقيق طموحاتهم ، وكانت القوة الدافعة التى ساعدت على الأخذ بأسباب التقدم والانطلاق نحو التنمية التى لولاها لما استطاعت اليابان التحول من النظام الاقطاعى المستبد الى النظام الدستورى ، ولما استطاعت التحول الى مجتمع صناعى حديث ، أو ازدهرت الثقافة بها أثناء فترة حكم الميجى . وواقع الأمر أن الاستعادة Rertoration جعلت معظم اليابانيين يقفون فى صف الامبراطور أو ما يعرف بـ Tennoshugisha فى اللغة اليابانية .

ولكننا لو تناولنا الموضوع من هذه الزاوية ، فسنعود بالنتائج لنقطة البدء . واذا قمنا بتحليل الاستعادة Restoration تحليلًا وافيًا بعد مضي عشر سنوات على قيامها ، فسنجد أن آثارها تعددت بشكل ملحوظ ، كما اتسعت الهوة التى تفصل بين الطبقات الاجتماعية .

ويمكن تصنيف الطبقات الاجتماعية المتعددة الى مجموعتين ، هما طبقة الساموراي التى كانت تسيطر على مقاليد الحكم بالبلاد ، وطبقة العامة . وانسلخت الصفوة البيروقراطية التى كانت تسيطر على المؤسسات الحاكمة أثناء تولى حكومة الميجى Meiji مقاليد الحكم ، من طبقة الساموراي ، وقامت بتشكيل مجموعة مستقلة . وتمسكت الطبقة البيروقراطية بالقيم العقلانية الغربية والنظرة النفعية فى مجال السياسة . وتمسكت طبقة الساموراي بالمذهب المثالى الذى ينادى باتباع آراء

كونفوشيوس فيما يتعلق بنظام الحكم • وبينما اتفق الطرفان على ضرورة تحقيق الرخاء والنهوض بأحوال الجيش (الثروة والقوة العسكرية fukoku kyohei) ، فقد اختلفا من حيث المبدأ حول القضايا المتعلقة بوضع الخطط لتحقيق ذلك • واستمر ذلك الخلاف طوال تاريخ اليابان السياسى • ويقول ناجيتا تetsuo Najita ، من جامعة شيكاغو ، « أن معظم رجال الساموراي المثقفين الذين طردوا من مناصبهم العالية قد اعتمدوا على هذه القيم المثالية عندما استمروا يواجهون النقد للنظام الحاكم » •

أود أن أوجه النقاش الى طبقات العامة المتعددة ، وأنا أقسم هذه الطبقات الى المجموعات الثلاث التالية :

١ - الفلاحون الأثرياء (gosho) والتجار (Kasho) - وكان أولئك هم قادة القرية •

٢ - الطبقة العاملة بالمدن (Kaso seikatsumin) وكانت تضم المزارعين من الفقراء ومن الطبقة الوسطى ومن كانوا يتشبهون بطبقة البروليتاريا •

٣ - طبقة المنبوذين (hisabetsu minshu)

لم تستجب هذه الطبقات الثلاث للاستعادة Restoration بصورة واحدة • فقد أصدرت الحكومة مرسوما يقضى بوقف استخدام العبارات التى كانت تطلق على طبقة المنبوذين ، وتسبب الأذى لهم - وهو ما سمي بمرسوم التحرر - فى أغسطس سنة ١٨٧١ ، مما أثار موجة من الابتهاج والفرح وسط هذه الطبقة التى أخذت تتساءل قائلة : كيف يتأتى لنا أن نكافئ السماء على هذه النعمة ؟ ورغم أن ذلك التحرر لم يدم الا لبعض الوقت ، اذ لم تصحبه أية ضمانات اجتماعية من أى نوع ، الا أن ذلك الجانب الحضارى من جانب الحكومة ، قد أثلج صدور المنبوذين الذين ظلوا يعانون الظلم والتفرقة لمئات السنين • وصدرت بعض المؤلفات تمتدح الوجه الحضارى الجديد لليابان وتلقى الضوء على انجازات ثورة الميجى Meiji ، منها كتاب (فهم التنوير عن طريق السؤال والجواب) الذى نشر عام ١٨٧٤ ، وكتاب (أضواء على الميجى) عام ١٨٧٥ ، وكتاب (التجديد العظيم) الذى يصور قيام الحكومة الجديدة بتحرير طبقة المنبوذين ، وانهاء حكم طوكوجاوا Tokugawa السابق الذى كان يتكون من نظام الطبقات الأربع ، بأنه عمل عظيم • وهناك حكايات مثل قصة اوماتسو - المغنية الشعبية (toriori Omatsu kaijo shinya) التى قام بتأليفها كى روبرت Kanagaki Robun (١٨٢٩ - ١٨٩٤) ،

ويصف فيها شعور النسوة بعد أن عرفن أن التحرر كان اسمياً فقط ،
لذلك امتلأت قلوبهن بالكراهية الشديدة • وشعرت الطبقة العاملة - التي
كانت تشكل غالبية العامة من السكان - باستياء فقط من المرسوم الذي
أصدرته الحكومة لتحرير المنبوذين • ويسجل لنا التاريخ قيام إحدى عشرة
انتفاضة فيما بين عام ١٨٧١ وعام ١٨٧٣ للتعبير عن المعارضة لذلك
المرسوم • وبلغ التطرف حدا جعل الرماع بولاية أوكاياما Okayama
يقومون بالهجوم على قرية ايتا Itta في يناير عام ١٨٧٢ ، فتسبب
ذلك في مصرع أربعة واضرام النيران في ٢٤ منزلا • وفي عام ١٨٧٣
قام ٢٦٠٠٠ رجلا بالهجوم على ميماساكا Mimasaka بولاية
أوكاياما Okayama ، احتجاجا على قانون التجنيد الاجبارى الجديد ،
وأنظمة التعليم ، ومرسوم تحرير المنبوذين ، فتسبب ذلك في هدم
٥١ منزلا وحرق ٢٦٣ منزلا أخرى •

ووقعت أحداث العنف تلك على نطاق واسع فى ولاية فوكوكا
Fukuoka • فقد ارتفعت أسعار الارز بصورة فجائية ، فانتشرت
أعمال الشغب فى تلك الولاية ، واشترك فيها ١٠٠٠٠٠ شخصا • وقام
أولئك الأشخاص بالهجوم على قرية تلو الأخرى ، والاعتداء على المنبوذين ،
وحرق ٢٠٠٠ منزلا ، وهدم ما يقرب من ٥٠٠٠ منزلا أخرى • وبلغت
أعمال العنف ذروتها عندما قامت الدهماء باقتحام مكاتب الولاية ،
مما تسبب فى مقتل ١٢ شخصا من المسئولين ، بالإضافة الى مقتل عشرات
من المشاغبين ، وذلك عندما تدخلت قوات الأمن لقمع تلك الاضطرابات
(وشملت الاجراءات التأديبية التى اتخذتها الحكومة نحو ٦٤٠٠٠ شخصا) •
وتعد أعمال العنف بولاية فوكوكا Fukuoka ، وأعمال الشغب
التي وقعت بعد ذلك بثلاث سنوات ، بولاية ايزو Aizu من أكثر
الاضطرابات الشعبية التى شهدتها فترة حكم الميجي Meiji

ووقعت أعمال الشغب بولاية ايزو Aizu للاعتراض على قيام
الحكومة بتعديل ضريبة الأراضى • وبدأ الاضطراب فى ولاية ميا Mie
ثم ما لبث أن انتشر فى ولايات ايتشاي Aichi وجيفو Gifu
و وكياما Wakayama المجاورة • وصب المشاغبون حمم غضبهم
على كل ماله علاقة بالنظام الحكومى • فقاموا بتخريب واحراق كل
مكاتب الحكومة بالقرى ومراكز الشرطة والمدارس والمحاكم والسجون •
وأبنية الولاية وسجلات الضرائب وأطلقوا سراح المسجونين • وقامت
الحكومة بحشد قوات الساموراي والحاميات ، فاستطاعت اخماد أعمال
الشغب بعد أسبوع من اشتعالها ، وعاقبت ٥٧٠٠٠ شخصا • وبعد مضي
عشرة أيام ، دعت الحكومة الى عقد اجتماع طارئ لمجلس الوزراء ، وأرغمت

على اصصدار منشور امبراطورى ، أعلنت فيه خفض ضريبة الاراضى
بدرجة كبيرة .

وتصور لنا تلك الحادثة المنفردة مدى معارضة الطبقات الدنيا
للحكومة الجديدة ، ومدى كراهيتها للبيروقراطية . وفى الأعوام الخمس
التي فصلت بين صدور قانون التجنيد الاجبارى وتعديل قانون ضريبة
الأراضى عام ١٨٧٣ ، ومنشور خفض ضريبة الأراضى عام ١٨٧٧ ، زادت
أعمال الشغب التي قامت بها الطبقات الدنيا ضد الحكومة على ١٥٠ حادثة .
وكانت بمثابة ثورة على الحضارة المعاصرة (الغربية) . ولكن لماذا قام
الناس بالثورة ضد الحضارة ؟ (فهل لهذه الأحداث أية علاقة بتعطيم
الآلة - التي كانت بداية انطلاق النورة الصناعية فى أوربا ؟ أو هل كانت
لها علاقة بأعمال العنف التي اندلعت فى الهند والصين وكوريا فى
فى القرن التاسع عشر احتجاجا على الحضارة وعلى اصطباغ البلاد
بالصبغة الغربية ؟) .

تزايد الوعى لدى الطبقات الدنيا التي كانت ترفض اصطباغ البلاد بالصبغة الغربية :

دعونا نبحث آثار الاستعادة Restoration من وجهة نظر الطبقات
الدنيا فى المجتمع اليابانى . كانت السياسة التي انتهجتها الحكومة
الجديدة تسمى الى الطبقات الدنيا ، وكأنها تستخف بكل ما هو مقدس لدى
تلك الطبقات . ولم تتسبب السياسة الدينية التي انتهجتها حكومة
الامبراطور - والتي تمثلت فى فصل الشنتو Shinto عن البوذية
Buddhism ، والانتقاص من قدر المعابد والشعائر البوذية
(waibutsu kishaku) ، واتخاذ الشنتو shimisen الدين الرسمى
للبلاد - فى نشر الفوضى بين عامة الشعب التي كانت تعتنق المذهب البوذى
فحسب ، بل أن تلك السياسة عملت الى القضاء على المعتقدات الشعبية
السائدة . ورفضت الحكومة الممارسات التي كانت الصفوة البيروقراطية
تنظر اليها على اعتبار أنها لن تتسبب فى أى ضرر أو نفع للمجتمع ،
ووصفتها بأنها من مخلفات العادات البائدة ، وأنها ممارسات شريرة
وخزعبلات وغباء . وقامت بالقضاء على تلك الممارسات عن طريق القوانين
التعسفية أو عن طريق السلطات المحلية .

وبينما كان أهل القرى يمارسون طقوسهم واحتفالاتهم السنوية ،
لم تح الصفوة البيروقراطية مقدار الاضطراب والفرع الذى سيحل بأولئك
الناس ، عندما كانت تلك الصفوة تصدر أوامرها بالقضاء على عاداتهم

وتقاليدهم . . . تلك العادات المتوارثة التي كان أهل القرى يحتفلون بها كل عام ، أو عندما كانت تأمرهم بإتباع آلهة جديدة . فقد كانت قلوب أهل القرية تلتف حول تلك العادات . وزاد تدخل الحكومة في حياة أهل القرى ، بعد إلغاء نظام الاقطاعيات ، واستبدالها بنظام الولايات عام ١٨٧١ . ولعل ذلك التدخل المتزايد - من جانب الحكومة - خير دليل على عدم وعي الصفوة البيروقراطية بأمور أهل القرى .

وتبين لنا هذه القائمة مقدار تدخل الحكومة في حياة أهل القرى . فقد حظرت الحكومة احتفالات أهل القرية بالعام الجديد . كما أوقفت مهرجانات الحصاد في الخريف ، وما كان يصحبها من غناء ورقص وكافة وسائل التسلية الأخرى . وحظرت ممارسة الطقوس الدينية التي كان يمارسها أهل القرية عند شروق الشمس أو طلوع القمر (Ohimachi tsukimachi) ، أو التي كانت لها علاقة بعقيدة الشنتو (Shinto) أو الآلهة البوذية . كما حظرت الحكومة وسائل التسلية الشعبية كالرفص التقليدي والعباب شاميسن Shamisen على مسرح الدا بوكي Kabuki وحظرت إقامة المسارح بالقرى . بل حاولت حكومة الميجي Meiji منع القرويين من القيام بواجبات الضيافة التي كانوا يقومون بها تجاه الزائرين في احتفالات العرس والولادة والذهاب إلى الأضرحة والجنائزات ، وجمع التبرعات للأعمال الخيرية ، وحظرت الشحاذة ، والقيام بالأعمال المهيئة لكرامة الرجل مثل عزف الموسيقى من بيت إلى بيت للحصول على المال أو الطعام ، والقيام بالأداء المسرحي على نواحي الشوارع . وحظرت خلع الملابس (كما قد يحدث أحيانا أثناء العمل اليدوي) ، والتعري ، والوشم ، والاستحمام المشترك ، والصور العارية والقمار . وأرغمت الرجال على قص ضفائر الشعر وقص الشعر على الطريقة الغربية . وشملت صور التدخل الحكومي والقهر كافة مظاهر الحياة الخاصة .

ولم تكتف الحكومة بحظر الأنشطة المتعلقة بنواحي الحياة اليومية ، كالشعائر الدينية ، والعادات والعلاقات الاجتماعية ، وأشكال التسلية المتعددة ، والمهرجانات التي كانت تقام في المناسبات ، بل إن السياسة الجديدة التي انتهجتها الحكومة كانت تشكل عبئا على أهل القرى . فقد عانى القرويون من الضغوط الاقتصادية الناجمة عن تغير العادات الاجتماعية بصورة مفاجئة ، عقب صدور المرسوم الحكومي الذي يقضي بتحرير طبقة المنبوذين ، وفرض نظم التعليم الإلزامي ذات الطابع الغربي على الأطفال ، ودفع الضريبة المرتفعة المفروضة على الأراضي نقدا . وألغت الحكومة القيود المفروضة على بيع الأراضي ، وأصدرت اللوائح المتعلقة

بالرهونات المالية ، مما عرض اصحاب الاراضى لخطر انتزاع ملكيتهم للأراضى على يد المراهبين . وساعدت هجرة أهل الريف من القرى الى المدن على زيادة القوضى بين القطاعات الدنيا فى القرى والمناطق الريفية .

وقامت الحكومة بكل هذه التغييرات المتشعبة بصورة تعسفية ، دون أن تقوم باستشارة من سيتأثرون بهذه التغييرات ، أو تحرص على موافقتهم . لذلك نظرت الطبقات الدنيا الى « الحضارة » و « النظام الجديد » على أنهما شر يهدد كيانهم ومصدر قلق دائم لهم . وارتبطت معارضتهم لهذه التغييرات بعدة أيديولوجيات . واشتدت معارضتهم بسبب سوء الفهم واضطراب سبل الاتصال . وقد عبرت تلك المعارضة عن نفسها فى صورة موجة عارمة من السخط على الحكومة وعلى الجهود التى بذلتها لصيغ البلاد بالصيغة الغربية ، وقد التهمت مشاعرهم بعد أن أحسوا بتحطيم الأمل الذى كان يحدوهم فى خفض ضريبة الأطينان nengu hangen ، والاعفاء من الضرائب المتعددة Zatsuzei menjo Yonaoshi ، وتصحيح الأخطاء الاجتماعية yonarashi والمساواة الاجتماعية .

وكانت الاستعادة Restoration تعنى الحرمان الشديد بالنسبة للطبقات الفقيرة فى ايدو Edo والمدن الأخرى بصفة خاصة . وفقد الكثيرون وظائفهم ، عندما بدأ رجال الساموراي يتركون المدن (انخفض عدد السكان فى مدينة ايدو Edo ، فأصبح عددهم ٦٠٠,٠٠٠ ألف نسمة عقب الاستعادة Restoration ، بعد أن كان عددهم ١,٣ مليون نسمة) ، وعانى السكان التضخم الذى اشتد بعد فتح الموانئ . وانتشرت لكوليرا والأمراض الأخرى المعدية التى جلبها الأجانب . لهذا كله نظر أهالى مدينة ايدو Eho الى الحضارة الغربية باشمئزاز . وتصف رواية هيجوتشى اتشيو Higuchi Ichiyo (١٨٧٢ - ١٨٩٦) بعنوان (صورة من صور الظلام) أحوال الفقراء فى مدينة ايدو .

لكن هل فهم البيروقراطيون مشاعر الطبقات الدنيا آنذاك ؟ يصعب علينا تصديق ذلك . فقد كان معظمهم يتمسكون بالاعتقاد القائل بأن « الحضارة تعنى الاصطباغ بالصيغة الغربية » ، وكانوا على اقتناع كامل بأن خير البلاد انما يكمن فى تحول البلاد الى أمة متمدينة ذات طابع غربى وكان المثقفون يشاركونهم الرأى ، وكانوا يزدرون عامة الشعب ، ويصفونهم بأنهم « الرعاع الجهلاء » ، غير المتحضرين ، العاجزين الذين لا حول لهم ولا قوة . وكانوا يعتبرون أن طبقة الساموراي ، وتلك الفئة المحدودة من عامة الشعب التى تشربت روح الساموراي ، وليست طبقة

الفلاحين ، هي القدرة على القيام بالاصلاحات السياسية . وبما أن البيروقراطيين كانوا ينظرون الى حياة عامة الشعب على أنها تنفص بالأساليب البربرية العتيقة النى لم تعد تتماشى مع العصر الحديث ، فقد كانوا يرون ان واجبههم يحتم عليهم قيادة وتوجيه أولئك الناس الى الحياة المتمدينة ، حتى لو اضطروا الى استخدام القوة لتحقيق ذلك . وكان الناس ينظرون الى السياسة على أن لها قيمة مطلقة لا يرقى اليها الشك ، اذ أن تلك السياسة قد وضعتها الحكومة للأخذ بيدهم من البربرية الى المدنية . لذلك لم يقدرروا على مواجهة النظام الجديد ، رغم الخوف الذى أحاط بهم ، ورغم القلق الذى استبد بهم بسبب التغيرات التى اصطدموا بها . وكانت طاقات أولئك الناس تتراكم يوما بعد يوم ، دون أن تجد لها مخرجا ، فكانت تخرج فى صورة ثورات وأعمال شغب . كما عبرت تلك الطاقات عن نفسها فى صورة ديانات شعبية متناوئة للحكم ، مثل ديانة تريكيو Terrikyo وديانة ماريواماكيو Maruyamakyō .

فى مارس عام ١٨٧٣ شهد حى أونو Ono قيام انتفاضة اشترك فيها ٢٠٠٠ رجلا من أتباع طائفة شين shin ، وطالبوا فيها بالحرية الدينية . فى تلك الانتفاضة ، اتخذ احتجاج الطبقات الدنيا على الحضارة صورة دينية ، وأعلنت تلك الطبقات « أن البلاط يؤيد تعاليم يسوع المسيح ، وأن قص ضفيرة الشعر وارتداء ملابس غريبة هى عادات مسيحية ، وأن المبادئ الثلاثة التى استند عليها التعليم الدينى نابغة من تعاليم يسوع المسيح » . وانخفضت حدة التوتر والقلق الذى كان يشعر به عامة الشعب بمرور الوقت ، ولكنها ظلت تشعر بأنها لا تتوافق مع ايقاع المجتمع المتمددين المعاصر ، ولازمها ذلك الشعور ، مما ساعد على افراز الثقافة الجماهيرية فى أوائل فترة حكم شوا Showa ، وهى على النقيض من الروايات الشعبية . وساعد شعور عامة الشعب بعدم مسايرتها لطابع المجتمع المعاصر على نشأة الجناح الراديكالى اليميني الذى يرمى الى التجديد ، ويطالب باستعادة الشوا

ويمكن تقسيم تيارات الفكر المعاصر التى استمدت مصادرها من استعادة الميجى Meiji Restoration على النحو التالى :

(أ) التيار الرئيسى الذى كان يسعى لتطبيق النماذج الفكرية الغربية .

١ - التيار الرئيسى للعقلانية البيروقراطية .

٢ - تيار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر (ويمكن لهذا التيار أن يظهر فى صورة مشتركة مع التيار الوارد فى الفقرة ب ٢) .

(ب) التيارات الجانبية التى كانت تسعى الى ايجاد نموذج للتقدم والمعاصرة فى دول شرق آسيا .

- ١ - تيار الرفض الخفى الذى اتبعه الطبقات الشعبية الدنيا .
- ٢ - تيار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر .

يمثل اكوبو توشيميتشى Okubo Toshimichi وايتو هيروبومي Ito Hirobumi قاده التيار الرئيسى للعقلانية البيروقراطية المشار اليه فى الفقرة أ - ١ . ويمثل سياجو تاكامورى Saigo Takamori وكيكا ايكى Kita Ikki تيار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر المشار اليه فى الفقرة ب - ٢ . وينتمى معظم المجاهدين الذين تزعموا الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات لتيار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر ، بينما ينتمى ساكوموتو سوساكو Sakamoto Sosaku وتناكا شوزو Tanaka Shozo وبعض المجاهدين الآخرين الذين طالبوا بحقوق الشعب الى تيار الرفض الخفى الذى اتبعه الطبقات الشعبية الدنيا ، وتيار الفكر الاجتماعى اليسارى المعاصر .

ولكننا لا نستنتج من هذا أن الطبقات الدنيا فى المجتمع كانت ترفض التقدم والأخذ بأسباب التمدين لمجرد أنها كانت ترفض السياسات التى انتهجتها حكومة الاستعادة Restoration . فتلك الطبقات هى التى استبسلت فى حربها ضد النظام الاقطاعى ، وخاضت مثلثات الثورات المنظمة أثناء استعادة الميجى Meiji Restoration وأطلقت تسميات على هذه الثورات مثل « الثورات الكاسحة » و « ثورات القرى » ، ولكن جميع تلك الثورات كانت تسعى الى التقدم وذلك حين شعر الناس أنفسهم بالحاجة الى الأخذ بأسباب التقدم . وكان بإمكان تلك الطبقات الدنيا أن تتحد مع المنبوذين لتغيير مجتمعاتهم القديمة وخلق نظام جديد فى القرى . ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق ، بل ان تلك الطبقات أرغمت على الدخول فى صدام داخلى مع المنبوذين ، ويرجع سبب ذلك الصدام الذى وقع بين الطرفين الى عدم نمو الوعي الشعبى ، وسياسات الرقابة التى اتبعتها الحكومة .

آثار الاستعادة Restoration على طبقة المزارعين الأثرياء :

لنتأمل الآن آثار الاستعادة على الـ gosho gono ، أى على المزارعين الأثرياء والتجار فى المناطق الريفية . منذ فترة حكم التيمبو Tempe (١٨٣٠ - ١٨٤٣) ، بذل أولئك المزارعون الأثرياء والتجار

كُلُّ ما فى وسعهم لاعادة بناء القرى التى لحق بها الدمار ، وذلك باعتبارهم
 رعماء القرى . وكانوا تجسيدا للمتناقضات التى كانت موجودة فى القرى
 أثناء فترة حكم باكوماتسو Bakumatsu ، وعقدوا الأمل على قيام
 ثورة الاستعادة Restoration حتى يخرجوا من ورطتهم . وقد اشتعل
 الشعور الوطنى بينهم بمجرد وصول أسطول الكومادور بيرى
 Commodore Perry الأمريكى . وكانوا يضمون بين صفوفهم
 كثيرين من المتحمسين المتعصبين أثناء فترة حكم الاستعادة . ولكن أولئك
 المتحمسين لم يحققوا قدرا كبيرا من النجاح . واقتصر نجاحهم على قيام
 حزب المعرفة العملية بتولى شئون الادارة المحلية فى كوماموتو
 Kumamoto . ولكن ذلك الحزب لم يستمر سوى ثلاث
 سنوات ، اذ قضت عليه الحكومة المركزية . فظل أعضاء ذلك الحزب
 من المعلمين والعلماء مثل طوكو تومى كازوتاكى Tokutomi Kazutaka
 (١٨٢٢ - ١٩١٤) الذى بقى خارج نطاق العمل الحكومى ، ولكنه ظل
 يدعو الى تشكيل جمعيات شعبية محلية ، وحث الحركة الشعبية على
 المطالبة بوضع نظام (البرلمان) الديت القومى National Diet
 كما استمالت بعض جوانب الفكر المعاصر . وكان المجاهدون من المزارعين
 الأثرياء والتجار gono and gosho نواة الحركة الشعبية للمطالبة
 بالحقوق ومنح الحريات . وتمسك كثيرون من أعضاء تلك الطبقة
 بالكونفوشية والشنطوية أثناء معارضتهم « للحضارة والتثوير » ، وكانوا
 يعتبرون أنفسهم متقنين محليين ، ولكنهم لم يتحولوا الى ممارسة الأنشطة
 السياسية المناوئة للحكومة .

وكما نرى ، فإن طبقة المزارعين الأثرياء والتجار هى التى احتضنت
 الحضارة والفكر الغربى المعاصر . ولكن تقبلهم للحضارة الغربية بمن
 حياتهم يكتنفها كثير من التناقض . لقد اعتنقوا المبدأ النفعى الذى تستند
 عليه « الحضارة والتثوير » ، وذلك لأن ذلك المبدأ اعترف بحقوقهم فى
 اكتساب الثروة وتحقيق أحلامهم ، ولكن وضعهم كزعماء للقرى قد
 اضطرهم الى أن يكونوا مثالا للقدوة الحسنة والأخلاق الحميدة .

ودعونا نتأمل الآن الأثر الإيجابى للاستعادة Restoration
 على النشاط الثقافى الخاص بطبقة المزارعين الأثرياء (gono)
 فبعد أن أيقنت القرى أن حكومة الاستعادة Restoration ماضية فى
 الأخذ بأسباب التمدن ، وأن الحضارة أمر لا رجعة فيه ، ازداد اقبال طبقة
 المزارعين الأثرياء على التعليم أثناء الحقبة الثانية من فترة الميجى
 Meiji era . وقمنا بدراسة لآلاف الجمعيات التى أقيمت على التعليم
 فى كافة أنحاء اليابان ، وكان أعضاؤها هم المزارعون الأثرياء والتجار .

وأظهرت نتائج تلك الدراسة أن تلك الجمعيات قد تحولت الى مراكز تطالب الحكومة بمنح الشعب حقوقه ، وتعمل على قيام ثورة فكرية تشمل جميع طوائف الشعب . كما أن تلك المراكز تعهدت برعاية الثقافة الشعبية التى ترعرعت .

وكان ذلك تطورا هاما . وشملت أنشطة تلك الجمعيات الاعتماد على النفس فى الدراسة والتدريب على الفكر الغربى المعاصر الذى تمثل فى النقاش المتبادل ، وتبادل المتقنين فى المدن للأفكار فيما بينهم ، وندوات القراءة المنتظمة ، والقاء الخطب حول الآداب والعلوم ، وعقد الاجتماعات لالقاء الأحاديث السياسية والمناقشات ، والمأم الأبطال بالثقافة السياسية . واتخذ الناس زمام المبادرة للقيام بتلك الأنشطة ، فلم يعتمدوا على دعم الحكومة لهم . وساعدت تلك الأنشطة على التخفيف من الشعور بالضغينة الذى كانت تكنه الطبقات الدنيا للحضارة والتنوير ، ذلك الشعور الذى ساعدت حكومة الميجى على اثراته فيما بينهم ، كما ساعدت تلك الأنشطة على تحديد الاتجاه الصحيح الذى يؤدي الى النهوض والأخذ بأسباب التحضر . قرأت تلك الجمعيات مؤلفات فيكيوزاوا يوكيشى Fukuzama Yukichi ، ومن أشهرها مؤلف مدخل العالم (١٨٦٩) ، وتشجيع المعرفة (١٨٧٢) ، وخلاصة نظرية الحضارة (١٨٧٥) ، وكذلك ترجمات روسو Rousseau وميل Mill وسبنسر Spencer مما ساعد على زيادة وعى الناس بأحوال العالم المحيط بهم . وبانتشار الوعى ، ازدهرت ثقافة المزارعين الأثرياء (gono) التى بدأت فى الثمانينات من القرن التاسع عشر .

وأدرك المزارعون الأثرياء (gono) أن لغة القلب يمكن التعبير عنها بصورة أفضل بأسلوب الأدب الصينى K (anbun) ، وذلك بعد أن تشبعوا بروح الاستعادة Restoration . وتناول الشعراء الحياة اليومية والعالم المحيط بهم والأحوال السياسية فى أشعارهم ، فظهر كم هائل من المؤلفات الشعرية . وقد بينت لنا الدراسات التى أجراها البروفسير مايدا أى Maeda Ai وآخرون ، أن ذلك الانتاج الأدبى الغزير كان يتمتع بجودة عالية . وتنافس الشعراء فيما بينهم على قرض الشعر .

وتمتعت العروض المسرحية البوذية sekkyobushi ، وكذلك مسرحيات الكابوكى Kabuki بشعبية كبيرة ، وذلك بعد أن عم الرخاء فى القرى ومراكز تربية دودة القز ، المنتشرة فى منطقة توزان Tozan بشمال شرق اليابان . وأخذت تلك العروض المسرحية تنتشر على نطاق واسع ، حتى بعد أن واجه الاقتصاد المحلى ظروفا صعبة

سنة ١٨٨٢ . ففي حادثة تشيتشيبى Chichibu التى وقعت عام ١٨٨٤ ، اشترك ٣٠٠٠ عضو من الكمينو Konmino المسلحين (حزب الشعب الفقير) فى الانتفاضة المعادية للحكومة ، وانضم زعماء القرى الى تلك الانتفاضة بعد أن انتهوا من مشاهدة أحد العروض المسرحية باحدى القرى .

ساعد اشتراك الشعب فى استعادة الميجى Meiji Restoration وفى الحركات الشعبية للمطالبة بحقوق الشعب على تكهرب جو الفنون الشعبية ، خاصة مسرحيات الجوروى Jorushi / التى كانت تعرض على مسارح القرى . وقاومت تلك الفنون الشعبية محاولات الحكومة لقمع الشعب . ويعبد ماتسوزاوا كيوساكي Matsuzama Kyusaku الذى كان يدافع عن الحقوق الشعبية للمزارعين الأثرياء (gono) مثالا بارزا على ذلك . وكتب ماتسوزاوا مسرحية تتناول حياة تادا كاسوكى Tada Kasuke ، الذى قاد ثورة الفلاحين فى مدينة شينشو Shinshu . وكانت تلك المسرحية بعنوان الحياة المثالية لتادا كاسوكى ونضاله من أجل حصول المزارعين الأثرياء gono على حقوقهم . وقد عرضت تلك المسرحية فى مناطق متفرقة من البلاد . ويعد اكياما كونيسايبو Akiyama Kunisaburo مثالا آخر للنضال من أجل حصول طبقة المزارعين الأثرياء (gono) على حقوقهم . وقد قام كونيسايبو بتكوين فرقة مسرحية لعرض المسرحيات الشعرية التى تشابهت موضوعاتها مع مسرحيات ماتسوزاوا كيوساكي . وفى أحد العروض المسرحية ، كتب كونيسايبو كلمة « الحرية » jizji على ملابس العرض المسرحى بأحرف من ذهب . وكانت مسرحياته ترفع الروح المعنوية لدى المشاهدين القرويين ، وتبعث الأمل فى نفوسهم . وقد تم الاحتفاظ بتلك الملابس ، وتم الاحتفال بها فى الذكرى المائة لقيام الحركة التى طالبت بحقوق الشعب .

وكان للاستعادة Restoration أثر كبير على الأدب . ويتضح لنا ذلك من خلال الأعمال الأدبية التى وضعها توكاى سانشى Tokai Sanshi عام ١٨٨٥ بعنوان الجمال واللقاء الغريب (Kajin no Kigu) ويقول مايدا أى Maeda Ai عن ذلك العمل الأدبى « ان ذلك العمل الأدبى يتناول حياة الضعفاء الذين سقطوا ضحايا للامبريالية » . وقد استعان سانشى بذكرياته المتعلقة بخسراؤب ايزو Aizu عندما قام بتأليف ذلك العمل الأدبى . وولد سانشى فى مقاطعة ايزو Aizu التى تعرضت للدمار الشديد اثر ثورتها على حكومة الميجى Meiji وسعى سانشى الى استكمال الاستعادة Restoration ، ونظر الى

نلك الثورة على أنها ثورة لم تكتمل ، وقام بكتابة ذلك العمل الأدبي أثناء قيامه بجولة طالب فيها بحقوق الشعب .

ويجدر بنا الاهتمام بعمل أدبي آخر ، وهو قصة بعنوان « مائة بطل من أبطال الحقوق الشعبية في الشرق » ، للمؤلف كومورو شينسوكي Komuro Shinsuke . وتتشابه تلك القصة مع قصة كتبها الشاعر بوشكين Pushkin بعنوان تاريخ تسرد بوجاتشيف . وتتناول قصة كومورو الأنشطة التي قام بها المجاهدون في الفترة من ١٨٨٠ حتى عام ١٨٨٤ ، حين كانت حركة المطالبة بحقوق الشعب في أوج نشاطها . كما تناول كومورو في بعض أعماله الأدبية السير الذاتية لبعض قادة الثورات التي قام بها الفلاحون . وكان كومورو يكتب من واقع تجربته الشخصية كواحد من المجاهدين الذين سعيوا لجعل الاستعادة Restoration حقيقة ملموسة . وخلال كتاباته نجح في إخفاء رأيه الذي وصف فيه عامة الناس بأنهم جهلاء ، ونجح في نبش التراث القديم ، فكان إبداعه الأدبي يفيض بروح الإصلاح .

وفيما يتعلق بالأغاني والألحان الموسيقية ، فقد وضع س . ليروكس S. Leroux القائد الموسيقى الفرنسي أحد المارشات العسكرية ، وتخللتها الحان غنائية من تأليف تونوياما سبتشي Tonoyama Seuchi وكانت تلك الألحان مستمدة من سيمفونية كارمن لبيزية Bizet وحظيت تلك الألحان بشعبية كبيرة أثناء فترة حكم الميجي Meiji ونال اللحن المستخدم في المقطوعة الموسيقية المعروفة باسم (٣) (Norumanton no uta) شهرة واسعة في اليابان بعد أن قام سيودا ازينبر Soeda Azenbo بإدخاله على الموسيقى اليابانية . وارتبط ذلك اللحن فيما بعد بأسطورة سياجو saigo ، وكان أفضل الألحان لدى الطبقات الدنيا في كافة أنحاء البلاد . وخلاصة القول ، فإن تأثير الاستعادة على الثقافة كان أكثر مما يتوقع المرء (٤) .

اهمية الاستعادة Restoration في التاريخ الثقافي :

كان كيتامورا توكوكيو أحد رجال الأدب في عهد الميجي Meiji وناصر حركة المطالبة بحقوق الشعب ، وقتل نفسه منتحرا عام ١٨٩٤ . وكتب كيتامورا عن استعادة الميجي Meiji Restoration يقول :

« كانت استعادة الميجي ثورة لامتيل لها ، فقد عملت على تحقيق حرية العقل والقلب ، ولكنها انتهت قبل أن تكتمل ، لذا تعين على حركة المطالبة بالحقوق الشعبية استكمال المهمة التي كانت الاستعادة قد بدأتها ، ولكن تلك الحركة فشلت أيضا . وخلاصة القول هو أن فترة حكم الميجي

لم تكن ثورة ، وإنما كانت انتقالا • ولكن الاستعادة قد وجدت صفوف رجال الساموراي وعامة الشعب ، وجعلتهم يدا واحدة kokumin ومن هذا المنطلق كانت الاستعادة ثورة حقيقية •

تستحق هذه الكلمات منا الثناء والتقدير • وقد عبر ناكاي تشومين Nakay Tehomin (١٨٤٧ - ١٩٠١) - أحد المدافعين عن الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق - عن رأى مماثل لرأى كيتامورا حين قال « تمثل الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات روح ثورة الاستعادة » •

قام ايتاجاكي تاسوكي Itagaki Taisuki بتأسيس حزب الأحرار • وقد اعتبر ذلك الرجل وأعوانه أنفسهم يستحقون شرف تأسيس الحكومة الدستورية في اليابان • فلو لم تتفجر ثورة استعادة الميجي Meiji Restoration ، لما انتشر الوعي بين اليابانيين في وقت مبكر ، ولما ازدهرت ثقافة الميجي التي كانت تعبيرا صادقا عن روح وعاطفة الناس • وبالطبع استمرت معاداة بعض الناس « للحضارة » ، ولكن الاستعادة قد ولدت وسط التيارات المختلفة ، وأصبح لها وزن في تاريخ الثقافة •

مراجع وملاحظات :

(١) Najita Tetsuo, Japan : The Intellectual Foundations of Modern Japanese Politics (Prentice-Hall, Englewood Cliffs, N.J., 1974).

(٢) Irokawa Daikichi, Meiji no bunka (The Culture of Meiji) (Iwanami Shoten, Tokyo, 1970), ch. 1.

(٣) كانت نورمانتون سفينة بريطانية غرقت بالقرب من ساحل كيشونى عام ١٨٨٦ واستطاع قبطانها انقاذ جميع البحارة الأوربيين لكن ٢٣ مسافرا يابانيا غرقوا مما سبب غضبا شديدا في اليابان •

(٤) يجب علينا تتبع الطرق التي نجحت فيها الحركات الغامضة التي سعت الى تحديث اليابان والتي انبثقت من حياة الشعب وينبغي أن نستعين هنا بمنظور الدراسات الفولكلورية حتى نغطي المنظور الكامل للحياة الشعبية انظر

دور الأدب فى تطور الثقافة

بقلم

لاريسا . ج فيدوسييفا Larissa G. Fedoseyeva

أكاديمية العلوم بالانحار السوفيتى

موسكو - الاتحاد السوفيتى

يعد الأدب الذى يتضمن الحقيقة الموضوعية أحد عناصر الثقافة . وتكتسب مسألة التيارات المستقبلية المتعلقة بتطور المجتمع الانسانى أهمية خاصة اليوم . فما هى القيم الأخلاقية التى ينبغى على المربين أن يغرسوها فى جيل الشباب ؟ وما هو نوع الوعي الاجتماعى الذى سيتوافر لدى جيل الشباب ؟ وما هو الطريق الذى سيسلكه المثقفون الشباب فى مختلف الدول ؟ تعد هذه الأسئلة ذات أهمية خاصة للجنس البشرى كله .

ونحن نعرف أهمية الدور الذى يلعبه الأدب فى تكوين النظرة العالمية والمعتقدات الفلسفية لدى الشباب من الرجال والنساء . ونظرا لأن الأدب لا يؤثر على عقل الانسان فحسب ، بل يمتد أثره الى الحواس ، فيمكن أحيانا الاستعانة بالأدب لغرس بعض الأفكار التى تساعد على زيادة الوعي الانسانى . كما أن الأدب يؤثر على فكر الانسان دون اكراه ، فيجعله يشعر بالرضا ، بل والسعادة . وأحيانا تصبح الرسالة التى يحملها الأدب رسالة شخصية ، فيتلقاها وكأنها رسالة خاصة به وحده دون سواه . وبذلك يسهم الأدب فى تكوين نظرة عالمية متماسكة .

والعمل الأدبى هو بنيان فنى فريد ، له تأثير عاطفى هائل على وعى وحواس وإرادة القارئ ، فهو يوقظ ملكة الإبداع وينمى الاحساس

بالجمال لديه . وتلعب صور الجمال الأخلاقي المستمدة من الانسانية دورا فى تكوين الأفكار الروحية لدينا ، اذ يزداد إعجابنا بشخصية هاملت التى أبدعها شكسبير ، وشخصية دون كيخوته التى أبدعها الكاتب الأسباني سرفنتس ، وشخصية ليزا فى رواية « بيت على القوم » للكاتب ترجنيف ، وشخصية ناتاشا روستوفا التى أبدعها الأديب الروسى تولستوى فى رواية « الحرب والسلام » .

ولكن يعتمد تأثير الأعمال الأدبية التى تستمد الانسانية قيمها الأخلاقية منها ، اعتمادا كبيرا على وعى القارئ . وكلمسا اهتم المؤلف بالنواحي العاطفية والفكرية والتاريخية والاجتماعية فى أعماله الأدبية ، كلما أصبح القارئ أكثر فهما للطبيعة الانسانية وصراعتها وانجازاتها وسعادتها .

وبعد أن قارن العالم اليابانى ناجاشيما نوبيتشيرو Nagashima Nobuichiro بين الحضارة اليابانية والحضارة الغربية ، تمكن من استنتاج ٣٠ جانبا من الجوانب المميزة للمقيم المعروفة فى الشرق والغرب . وسوف نركز اهتمامنا على جانب واحد من جوانب الثقافة اليابانية . ألا وهو الجانب الذى وصفه ناجاشيما بأنه « الاستجابة للثقافات الأخرى » .

ولن أجنب الصواب اذا قلت أن استجابة الثقافة اليابانية للحضارات الأخرى فى مناطق متفرقة من العالم لم تبدأ الا بعد ثورة الاستعادة عام ١٨٦٨ - تلك الثورة التى كان لها تأثير كبير على تطور الثقافة فى اليابان بوجه عم ، واستطاعت اليابان بفضلها وضع حد للعزلة التى امتدت قرونا طويلة ، وفتحت أبوابها على مصراعيها أمام الثقافات الأخرى .

يقول أوتاسابورا Ota Sabura ، أحد جهايزة الأدب اليابانى ، ان تولستوى Tolstoy ودستوفسكى Dostoyevsky وترجنيف Turgenev رولان Rolland وموبسان Maupassant كانوا من أشهر الأدباء الأجانب فى اليابان . فقد أقبل اليابانيون على قراءة مؤلفاتهم . وتأثر الأدب اليابانى بأولئك الأدباء الأجانب تأثرا كبيرا لدرجة يمكن معها القول بأن أولئك الأدباء الأجانب كانوا يابانيين ، وليسوا أجانب . ويمضى أوتا فيقول :

دأبت الأجيال المتعاقبة على قراءة مؤلفات أولئك الأدباء لما يزيد على نصف قرن من الزمان ، فكانت مصدر الغذاء الروحى لليابانيين (١) .

وقد أتاحت لى فرصة لقاء كثيرين من الشباب من دول مختلفة ، ممن

يهتمون بروسيا وبلغتها وثقافتها ، ويختلف اهتمام أولئك القراء بالأدب السوفيتي باختلاف الدول التي ينتمون إليها ، ولكن هناك اهتمام متزايد من جانب القراء في الشرق والغرب بالأدب السوفيتي .

ويمكننا إبراز ثلاث ظواهر اجتماعية أساسية تتعلق بتطور اهتمام القراء اليابانيين المتزايد بالأدب السوفيتي . وتتمثل هذه الظواهر في ثورة أكتوبر الاشتراكية الكبرى ، ونضال الشعب السوفيتي ضد الفاشية وانتصاره عليها ، ثم قيامه بإعادة بناء البلاد في سنوات السلام التي أعقبت الحرب وحتى الآن . ومن المعروف أن الثقافة السوفيتية وآدابها قد جذبت إليها كثيرين من دعاة التقدم الانساني منذ تفجر ثورة أكتوبر .

وارتبط تأثر اليابانيين بالأدب السوفيتي في تلك الفترة بالكاتب الروسي مكسيم جوركي Maxim Gorki . فقد قدر اليابانيون ذلك الكاتب الروسي لأن مؤلفاته عملت على إثراء النزعة الرومانسية في اليابان عقب قيام ثورة الميجي Meiji عام ١٨٦٨ ، وأطلقت العنان للمشاعر الانسانية . وأصبحت شخصية دانكو Danko التي ابتدعها جوركي تجسد أفكار المثقفين الرومانسيين من الشباب الياباني الذين كانوا مولعين بالمثل المتعلقة بالحرية وتحرير الانسان من أغلال الاقطاع في مطلع القرن العشرين . وقد أسسهم أدب جوركي اسسهما كبيرا في تكوين أدب البروليتاريا في اليابان الذي وصفه خاركوف Kharkov في المؤتمر الدولي للكتاب الثوريين عام ١٩٣٠ بأنه من أكثر الآداب العالمية تقدما .

وشجع الوضع الديمقراطي الذي ساد اليابان في العشرينات من القرن العشرين الكتاب اليابانيين على الاعتماد على التجارب الفنية للكتاب السوفييت . وساعد ذلك التفاعل بين الكتاب اليابانيين والسوفييت على خلق موقف غير متحيز ونظرة غير مغرضة تجاه الأدب السوفيتي في اليابان ، كما ساعد على إثراء التجربة الفنية لدى الكتاب السوفييت . وبالإضافة لذلك ، فقد ساعد كتاب « الأرض المشرقة » على إيجاد الحلول لمشاكلهم . فعلى سبيل المثال ، تعلمت الكاتبة اليابانية مياموتو يوريكو Miyamoto Yuriko الكثير من خلال لقائها بمسكيم جوركي في ليننجراد عام ١٩٢٨ . وكتبت مياموتو سيرتها الذاتية في ثلاث روايات ، هي رواية نبوكو Nobuko ورواية المنزلان Two Houses ورواية العلامات البارزة The Landmarks . وبدلا من أن تصبح هذه الثلاثية مجرد قصة تتعرض لموضوع العزلة عن العالم الخارجى، أضحت تلك القصة أحد الأعمال الفنية الكبرى التي تتناول مشاكل الانسان والمجتمع وتيارات التقدم الاجتماعى .

والتقى اكييتا يوجاكي Okita Ujaku بالأديب الروسى الكيسى
تولستوى Alexi Tolstoy . وفى أحد المقالات التى أوردتها جريدة
Zukuti Seghekidze عام ١٩٢٩ ، بعنوان « مقابلتى مع تولستوى » ،
يحكى لنا اكييتا عن انطباعاته بعد لقائه بكاتب هذه الروايات العظيمة مثل
« الطريق الى كالفري » و « صباح يوم عابس » ، « وعام ١٩١٨ » . وتصف
هذه الروايات انضمام المثقفين الروس للثورة .

ويشبه الشاعر ايتوكوكى Ito Kokei الثورة الروسية بأمطار
الربيع وما تأتى به من خيرات ، فيقول :

الثورة فى روسيا

والتلال فى اليابان

يتحولان الى اللون الأخضر

بعد أن تهطل أمطار الربيع

ازداد اهتمام المثقفين اليابانيين بالكتب السوفيتية ، وذلك لأن
مؤلفات الكتاب السوفييت الكبار أمثال جوركى ، ومايكوفسكى ،
وفيرمانوف ، وفاديوف واستروفيسكى ، وشكلوف ، كانت تتناول الحقائق
المتعلقة بالثورة الروسية والجوانب المتعددة لحياة الثوار ، ولم تكن تكتفى
بالأفكار الفلسفية المجردة المتعلقة بالثورة . ولم يكن القراء اليابانيون
يجدون كتابات المؤلفين السوفييت سهلة ومقبولة دائماً من الناحية
السيكولوجية . وأحياناً كان القراء اليابانيون يفهمون كتابات المؤلفين
السوفييت شيئاً قشياً ، فكانت عقولهم تدرك ما يرمى اليه المؤلفون
السوفييت ، وذلك رغم جهلهم بروسيا — تلك البلاد الغامضة البعيدة .

فى الفترة التى تلت ثورة أكتوبر الكبرى ، تزايد اهتمام اليابانيين
بالكتب السوفيتية ، ولاسيما الكتب التى تتعرض للجوانب الأخلاقية
المتعلقة بالإنسان الجديد وعلاقته بالبيئة ، كما تزايد اهتمام اليابانيين
بالمؤلفات السوفيتية التى تصف الحقائق السوفيتية ، بعد عام ١٩٤٥ .

وبعدما رأى المثقفون فى العديد من البلدان ما كان يمثلته الرايخ
الثالث والدعاية الفاشية المعادية للإنسانية من تهديد لثقافتهم القومية ،
فقد فتشوا المؤلفات السوفيتية للبحث عن سؤال هام ، وهو كيف استطاع
شعب الاتحاد السوفيتى الدفاع عن الثقافة القومية ، بل كيف تمكن من
حماية ثقافات الشعوب الأخرى والحفاظ عليها من الضياع . وكانت
المقالات التى كتبها بعض الأدباء السوفييت ، أمثال تولستوى واهرنبورج

وسيمانوف وشيكالوف ، ذات أبعاد متعددة ، فهي لم تكن مجرد أحد العناصر الثقافية فحسب ، بل كانت برهانا على حيوية المثل الانسانية لدولة يسيطر العمال والفلاحون على السلطة بها ، وهي من أكبر دول العالم .

وشهدت الأعوام التي تلت الحرب طفرة في الاهتمام بالأدب السوفيتي . ويرجع ذلك لعدة أسباب . ويرجع السبب الأول الى السياسات النشطة التي اتبعها الناشرون ، فظهرت الأعمال الكاملة لجوركي ، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من الحياة الثقافية لعدد كبير من المثقفين الديموقراطيين في اليابان بعد الحرب . كما نشرت الأعمال الأدبية للكتاب السوفييت المعاصرين في اليابان . وفي عام ١٩٥٧ قام دار نشر كيسو شوبو Keiso Shobo بنشر الأعمال الأدبية السوفيتية في ستة مجلدات ، وبذلك عرف القارئ الياباني أسماء الكثيرين من الأدباء السوفييت الجدد أمثال بيكوف Byhov وتيندرياكوف Tendryakov وكازاكوف Kazakov وبوجمولوف Bogomolov وجريكوفا Grekova . كما تأثر القراء اليابانيون بكتب الأطفال السوفيتية ، ونشر بعضها في تسلسل واستمرت دور النشر اليابانية في نشر الأدب السوفيتي في الستينات من القرن العشرين . ونالت الأعمال الأدبية التالية شهرة واسعة بين القراء اليابانيين : « الهزيمة Rout » للأديب Fadeyev ، « وبهدوء يسير نهر الدون And Quiet » « Flows the Don » ، و « حرت الأرض البكر Virgin Soil Upturned » و « مصير رجل The Fate of Man » « لشولوخوف Sholokhov وبعض القصائد ليفتشينوكو Evtushenko وروز سنغنيسكي Rozhesvensky وفوزنسنيسكي Voznesensky وآخرين .

وانتشرت الفنون الهابطة في اليابان بعد أن اضمحلت القيم الانسانية في الفترة التي تلت الحرب . وقد كتب سكاغيوتشي انجو Sakaguchi Ango مقالا عام ١٩٤٦ عن « الانحلال الأخلاقي » ، قال فيه : « يسقط الانسان بسرعة ، فيسقط الأبطال والقديسيون ، ولا يستطيع أحد الإمساك بهم . يعيش الانسان ويسقط . »

وإثناء السقوط فقط يكتشف نفسه . وبذلك يستطيع مساعدة نفسه والآخرين » (٢) . وانتشر ما يعرف باسم « أدب وظائف الأعضاء » في تلك الفترة . ويمكننا أن نسوق رواية لكوراهاشي يوميكو Kurakashi Yumiko بعنوان « الجعران » كمثال . واستهوت

مؤلفات سارتر Sartre المثقفين اليابانيين آنذاك ، وكانت حجر عثرة أمام شعبية المؤلفات السوفيتية في اليابان . وكان المثقفون اليابانيون يدركون أفكار سارتر المتعلقة بالعمل الهادف ومقاومة الشر التي كانت لها أهمية كبيرة بالنسبة للحركة المناوئة للفاشية . كما كانوا يدركون مبدأ سارتر المتعلق بالحرية الشخصية ، ومحاولاته غير الناجحة لعقد تحالف بين الوجودية والماركسية . وكثيرا ما وقعت الفرقة بين الكتاب اليابانيين . وكتب نوما هيروشي Noma Hiroshi يقول « ليس لسارتر أساس راسخ يستند عليه فيما يتعلق بمجتمع المستقبل ، اذ لا يمكن للانسان فهم الحاضر دون أن تكون لديه رؤية واضحة عن المستقبل . »

وفى عام ١٩٦٥ ، استطاع نوما ، مؤلف الرواية الواقعية « الشباب معا » ، تمييز عدد من التيارات في الأدب الياباني وهي (١) ما يسمى بالأدب النقي (٢) تأثير النزعة العسكرية (٣) الواقعية التي وجهت الانتباه الى مشاكل المجتمع المعاصر ، وان لم يكن ذلك من وجهة النظر الماركسية بالضرورة (٤) قيام الأدب باماطة اللثام عن المتناقضات التي تكتنف حقائق اليوم ، والنظر اليها نظرة ماركسية . وتندرج الأعمال الأدبية التي تناولت مأساة هيروشيما وأثرها على الشعب الياباني ، وما أثارته تلك المأساة من اهتمام لدى القراء فى مختلف أنحاء العالم ، تحت التيارين الأدبيين الأخيرين .

ومما يرثى له أن نشر الكتب السوفيتية قد انخفض منذ السبعينيات من القرن العشرين . ورغم ذلك فقد كان من المستحيل تماما إيقاف تدفق تيار الأدب السوفيتى أو عدم تقديره . فاشتمل المنهج الدراسى لتلاميذ الصف الخامس فى اليابان على قصة قصيرة للأديب السوفيتى شولوخوف Sholokhov بعنوان « المهر » . واستمتع كثيرون من القراء اليابانيين برواية « عش وتذكر » لرسبوتين Resputin ، كما عرف القراء اليابانيون الكاتب السوفيتى بيكوف Bykov بعد نشر رواية « قطيع من الذئاب » . كما تأثر المثقفون اليابانيون برواية « السفينة البخارية البيضاء » للمؤلف السوفيتى س . ايتاماتوف C. Aitmatov وكانت رواية « يوم بمائة عام » من أكثر روايات ايتاماتوف اثارة للفكر فى اليابان .

لم تكن مهمة الأدب هى التعبير عن نفسه فقط ، بل المشاركة فى انقاذ البشرية ، وذلك بجانب القيم المادية والروحية التي يجدها الانسان فى الأدب . ويشارك الأدب الياباني فى هذه المهمة بدور فعال . ولا يعنى القراء السوفييت ذلك فحسب ، بل يحبون الأدب الياباني ويتعاطفون مع المشاكل

التي يتناولها الكتاب اليابانيون • وجدير بالذكر أن القراء السوفييت كانوا يعرفون مؤلفات الكاتب الياباني الشهير رايونوسوكي اكو تاجاوا Ryunosuke Akutagawa (*) عام ١٩٢٤ • ويصعب علينا تخيل دولة تحاول التغلب على مشكلة الأمية التي وصلت الى ٨٠٪ ، وتقوم في الوقت نفسه بقراءة أعمال هذا الكاتب • ونشرت مؤلفات ذلك الكاتب الياباني في الاتحاد السوفيتي فيما بعد ، ثم أصبحت كتب ذلك الكاتب الياباني جزءا من الحياة الروحية للشعب السوفيتي عام ١٩٧٩ • واحتفل القراء السوفييت بعيد ميلاد اكو تاجاوا التسعين عام ١٩٨٢ ، واعتبروه مؤسس الأدب الياباني الحديث •

وكان الاتحاد السوفيتي من أشد الدول اقبالا على ترجمة الأدب الياباني ، فتعرف القارئ السوفيتي على مختلف وجهات النظر الفلسفية ومختلف الأساليب الابداعية التي اتبعها الكتاب اليابانيون • ولم يقرأ السوفييت مؤلفات الكاتب الياباني الشهير رايونوسوكي اكو تاجاوا ونوما هيروشي Noma Hiroshi فحسب ، بل قرأوا مؤلفات الكتاب من الجيل الأصغر سنا ، من أمثال آبي كوبو Abe Kobo و اوى كينزبوروا Oe Kengaburo وأندو شوزاكي Endo Shusaku وكيكو تاكيتشي Kaiko Takeshi ، وكانوا يعرفون أن أولئك الكتاب يمثلون الاتجاهات الجديدة في الأدب الياباني في الخمسينات وقد استطاع القراء السوفييت فهم الأعمال الأدبية للأديب الياباني أندو شوزاكي Endo Shusaku فهما جيدا ، وذلك لأنه تناول موضوع المسؤولية الأخلاقية عن الجرائم التي ارتكبت أثناء الحرب العالمية الثانية • وتقترب طريقة عرضه للأدب من طريقة اوى كينزبوروا الذي يصور لنا في أحد أعماله الأدبية شابا يختار أسلوب حياته • وقد أثارت رواية أب كينزبوروا « مفكرة بنتشران » اهتمام الشباب بعد نشرها في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨١ • وقد أثارت رواية « امرأة في الكثبان الرملية » سنة ١٩٦٦ ورواية « وجه آخر » ورواية « الخريطة المحترقة » للأديب آبي كثيرا من الجدل ، ليس فقط بين القراء ، ولكن بين النقاد كذلك •

ويتردد اسم آبي كثيرا في المؤتمرات العلمية التي يعقدها المعهد العالمي للأدب ، باعتباره الأديب الذي لا تنتمي أعماله الأدبية للأدب الياباني فحسب ، بل تنتمي للأدب العالمي بآثره • ويمكن للأدب — بكل ما يحمله من صور أدبية ومشاعر إنسانية ومعاناه وبهجة — أن يجمع بين قلوب القراء اليابانيين والسوفييت ، ولاسيما وأن الأدب يؤكد دائما على ضرورة سعي البشر نحو تحقيق السعادة والسلام •

مراجع وملاحظات :

See Ota Saburo, "Om Literary Works Appearing in Trans- (١)
lation", Bungaku, no. 5 (1960) : 100.

A History of Modern Japanese Literature (Moscow, 1961), (٢)
p. 311.

خامسا :

التاريخ الفكرى والتعليم

التعليم فى أوائل فترة حكم الميجى

بقلم

ناجى ميتشو Nagai Michio

The United Nations University

جامعة الأمم المتحدة

طوكيو — اليابان

الاستقلال والثورة الصناعية :

قبل مناقشة سمات التعليم فى فترة حكم الميجى Meiji ، لابد لنا من اللقاء نظرة على العوامل التى عجلت بسقوط نظام بوكوهان bakuham وأدت الى قيام حكومة الميجى عام ١٨٦٨ ، كما يتعين علينا معرفة الطريقة التى كان قادة الميجى Meiji ينظرون بها للأحداث آنذاك .

يعسد مورى ارنورى Mori Arinori وفيكيسو زاوا يوكيتشى Fukuzama Yukichi أكثر الناس اسهاما فى وضع أسس التعليم فى فترة حكم الميجى Meiji وأكثرهم تعبيرا بأفكارهما فى هذا الخصوص . وكان مورى أول وزير للتعليم فى الوزارة التى ألفها ايتوهيروبووى Ito Hirobumi عام ١٨٨٥ ، ولعب دورا بارزا فى وضع نظام للتعليم بالبلاد . وأسس فيكيوزاوا مدرسة خاصة جديدة قبل قيام استعادة الميجى Meiji Restoration بسنوات عديدة . ومورى يمثل رجل الفكر الرسمى وفيكيوزاوا يمثل رجل الفكر الخاص ، وذلك بين قادة الفكر والتربية والسياسة ، لذا فضل الأول الانخراط فى العمل الحكومى ، بينما اتجه الثانى الى العمل الخاص ، ولكن آراء كل منهما قد تقاربت فيما يتعلق بأهمية الإصلاح السياسى ، الذى جاء فى صورة استعادة الميجى Meiji Restoration

قام موري بنشر مجلد في نيويورك عام ١٨٧٣ بعنوان « التعليم في اليابان » أثناء إقامته في واشنطن بصفته أول ممثل رسمي لليابان في الولايات المتحدة . وكان ما يزال في العشرينات . وقد اتخذ لمجلده عنوانا فرعيا آخر ، وهو « سلسلة من الخطابات موجهة الى موري من الأمريكيين البارزين » ، وظل ذلك المجلد أحد الوثائق الهامة التي تعين المرء على فهم التعليم في اليابان في أوائل فترة حكم الميجي Meiji .

وكتب موري في مقدمة المجلد يقول بأن « تأثير الحضارة الغربية على اليابان كان أحد الأسباب التي أدت الى قيام الثورة السياسية بها (١) » . وفي الوقت الذي وصل فيه أسطول الكومادور ماثيو پيري Commohore Perry الى شاطئ ميناء اوراجا عام ١٨٥٣ كانت الصين دولة شبه محتلة ، بعد ما فاقمت من حرب الأفيون ، وانضوت الهند تحت لواء الامبراطورية البريطانية تماما . وكانت اليابان تنظر الى هاتين الدولتين باحترام واعجاب شديدين ، اذ أن حضارتهما قد أسهمتتا اسهاما كبيرا في تكوين ثقافتهما . وبعد سقوط هاتين الدولتين في براثن الاستعمار ، أخذ الساسة والمفكرون اليابانيون يتوجسون الخطر المهدق بالبلاد . ويعلق موري على ذلك بقوله « منذ عهود سحيقة تنبه شعبنا مرات عديدة لخطر الغزو الأجنبي ، وذلك بسبب العزلة التي نحن فيها » (٢) .

ولد فيكيوزاوا في أسرة رقيقة الحال من الساموراي كانت تقيم باقطاعية ناكاتسو Nakatsu ، وكان يكبر موري بعشر سنوات . وكان يبلغ من العمر ١٨ عاما حينما وصل أسطول الكومادور پيري الى شاطئ اوراجا ، وكتب في سيرته الذاتية بأن ذلك الحدث قد ترك في نفسه انطباعا قويا ، وكان بداية رحلة الاستكشاف الفكري التي استمرت طوال حياته .

وقد أدرك موري وفيكيوزاوا التفوق العسكري للقوى الغربية التي تمثلت في بريطانيا العظمى وهولندا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية . وكان ادراك اليابانيين لخطورة تعرضهم للغزو الأجنبي أحد الأسباب الرئيسية التي أدت الى قيام الثورة السياسية التي اجتاحت البلاد فيما بين عامي ١٨٥٣ و ١٨٦٨ . وكان أمرا طبيعيا أن ينظر أي رجل ولد في طبقة الساموراي الى العلاقات الدولية من المنظور العسكري أولا ، الا أن نظرة هذين الرجلين كانت أبعد من ذلك ، فقد نظرا للتاريخ من منظور أوسع .

ومن الطبيعي أن يهب الرجل للدفاع عن بلاده ضد المعتصب ، ويشير موري وفيكيوزاوا الى أن معظم أبناء الشعب الياباني فضلوا اتباع ذلك الطريق ، ولكنهما لم ينساقا وراءهم . ويشير موري الى ذلك في مجلد « التعليم في اليابان » بقوله « رأى كثيرون من الأذكاء أنه ليس من القفظة

أن نحاول قتال الغزاه ، وأن الحكمة تقتضى منا الصبر والتريث حتى تعد
أمتنا نفسها للملاقاة الأجنبية » (٣) .

وتظهر مؤلفات فيكيوزاوا نظراته العسكرية للتاريخ . وهذه المؤلفات
هى مؤلف Seiyō jizō (أحوال الغرب) الذى كتبه فيكيوزاوا فى أواخر
حكم طوكوجاوا Tokugawa ، ومؤلف Bunmeiron no gairyaku (نمو الشعور
بالاتجاهية) ، وقد كتب المؤلفان الأخيران فى أوائل فترة حكم الميجى Meiji
وكان فيكيوزاوا يعتقد بأن العلم المتقدم والتكنولوجيا والتطور الاقتصادى
هم أساس القوة العسكرية فى الغرب . وأن شئت الدقة ، فيمكنك القول
بأن الغرب كان يمتلك المطبعة والتليفون ونظام البريد وقوة البخار ، فكانت
الثورة الصناعية قد اكتملت دعائما بالفعل . ولم تكن اليابان تمتلك أى
شئ من هذه الأشياء . ولو لم تتمكن من تطوير وتحقيق الثورة بها ، لما كان
بإمكانها الحفاظ على استقلالها .

لم يقدم مورى انورى لنا أفكاره بصورة منتظمة كما فعل فيكيوزاوا ،
وذلك فيما يتعلق بالقوة العسكرية فى الغرب ، وأهمية العلم والتكنولوجيا ؛
والحاجة الى تطوير المجتمع الصناعى . وهو يشير الى احتكاك اليابان بالغرب ،
وأثر ذلك على مشاعر اليابانيين . فقد أدخل البحارة البرتغاليون البندقية
الى اليابان عام ١٥٤٣ ، وعرف اليابانيون شيئا عن علوم الغرب ، فعرفوا
الطب على يد الهولنديين . وهو يضى قائلا : « بأن الناس كانوا مضطرين
منذ عهود سحيقة الى معرفة شئ عن ذلك الرجل الغربى ، وزيادة معرفتهم
عنه وعن حياته » (٤) . وكان مورى يعتقد أن أفكار فيكيوزاوا المتعلقة
بالتعليم كانت قائمة على أساس فهمه للتاريخ . وسيظل اسم فيكيوزاوا
يوكيتشى مرتبطا بالتعليم فى اليابان ، فقد كان معلما لكل من القائد
والرعية . وستظل ذكراه خالدة الى الأبد » (٥) . وقد أعلن رأيه فى الحفاظ
على استقلال البلاد بقوله « اذا أردنا الحفاظ على استقلال البلاد ، فلا بد
أن يكون الهدف الأول للتعليم هو تحقيق الثورة الصناعية » .

ولكن سواء كانت اليابان معرضة فعلا لخطر الغزو الأجنبى متمثلا فى
القوة الغربية فى منتصف القرن التاسع عشر ، فهذا سؤال أكاديمى لا يهمنا
اليوم . ولكن مورى وفيكيوزاوا قد استشعرا ذلك الخطر الذى يتهدد البلاد
آنذاك وينذر بوقوع كارثة حقيقية .

الجدل حول الديمقراطية :

لعب اكوبو شيميتشى Okubo Toshimichi (١٨٣٠ - ١٨٧٨) دورا

قياديا لتكوين البيروقراطية اليابانية التي اعتبرت جزءا من الاصلاح الحكومي، وذلك عقب استعادة الميجي Restoration Meiji عام ١٨٦٨ . ويقول اكوبو بأن كل سياسى يحتفظ ببعض المثل ، ويسعى نحو تحقيق أهداف معينة ، وعليه أن يضع فى اعتباره العناصر الخمسة التالية عندما يقوم بوضع سياسة الدولة : وهذه العناصر هي :

- ١ - الأرض .
- ٢ - الناس .
- ٣ - الزمن .
- ٤ - العادات .

٥ - الوضع الراهن . وبعبارة أخرى ، فانه يتعين على رجل السياسة معرفة المكان والزمان ونوع الثقافة والظروف التي يتم فيها تنفيذ سياسة الحكومة . وقد أشرت الى أن مورى وفيكيوزاوا قد اعتبروا أن قوة الغرب انما تتمثل فى الثورة الصناعية . . . تلك الثورة الصناعية التي كان يمتلكها الغرب ، ولكن اليابان كانت ماتزال تفتقر اليها . كما اهتم هذان الرجلان بالحفاظ على الدولة القومية وديموقراطية الحكومة .

وكان اسقاط نظام باكوهان Bakuhari الاقطاعي واقامة دولة الميجي Meiji أول خطوة نحو بناء الدولة القومية . ولكن منذ ذلك الوقت وحتى وضع دستور دولة الميجي Meiji احتدم الجدل حول نوع الحكومة التي ينبغي أن تحكم البلاد : هل تتخذ هذه الحكومة صورة من صور الديموقراطية التي تكون فيها السيادة للشعب ؟ أو هل تكون حكومة امبراطورية تستمد قوتها من الامبراطور ؟ أم هل تكون حكومة تجمع بين العنصرين ، العنصر الديموقراطى والعنصر الامبراطورى ؟

بعد أن وضع اكوبو Okubo العناصر الخمسة التي تستند اليها سياسة أية حكومة فى اعتباره ، قرر هو وزملاؤه ضرورة اعطاء الأولوية لتحقيق الثورة الصناعية ، اذا ما ارادت البلاد الحفاظ على استقلالها ، والتخلي عن فكرة اقامة حكومة ديموقراطية . واغتيل اكوبو ، ولكن ايتوهيروبومى Ito Hirobumi ظل مخلصا لهذه السياسة ، بل أنه لعب دورا رئيسيا فى الحكومة التي جاءت بعد ذلك .

وفى عام ١٨٧٣ ، أسس مورى وفيكيوزاوا ال « ميروكوشا » Meirokusha (جمعية ميجي ٦) ، وهى أول رابطة أيديولوجية معاصرة فى اليابان ، ولكنهما سرعان ما افترقا . فظل فيكيوزاوا بعيدا عن العمل الحكومى ، وكرس حياته لبناء الديموقراطية ، وذلك من خلال عمله فى التعليم

بالقطاع الخاص ، بينما شغل موري منصبا في الحكومة ، حيث عمل سفيرا لدى الصين أثناء حكم أسرة تشينج Ch'ing ، ثم سفيرا لدى بريطانيا العظمى ، وعاد أخيرا الى اليابان ، فكان أول وزير للتعليم باليابان . وتوضح المقالات التي كتبها كل من موري وفيكيوزاوا بصحيفة جمعية مييجي ٦ مقدار اختلاف وجهة نظر الرجلين . فقد عبر فيكيوزاوا عن اعتقاده في ضرورة أن يتولى القطاع الخاص مسئولية التعليم بعيدا عن الحكومة . وقد اختار لنفسه المضي في ذلك الطريق ، وظل مخلصا لتلك السياسة . وسار موري في الاتجاه المضاد ، فقال بأن الدولة لن تتقدم أبدا ، اذا لم يساعد القادرون من أبنائها الحكومة على القيام بالمهام المنوطة بها ، ويكرسون حياتهم لتنفيذ تلك المهام . وكان يرى ضرورة أن يظل التعليم تحت اشراف الحكومة . وقد ساعد في وضع نظام التعليم باليابان .

سمات التعليم في فترة حكم المييجي Morrill :

في الوقت الذي اشتد فيه الجدل حول الدور الذي يلعبه التعليم في الدولة الديمقراطية ، فقد حققت الاصلاحات التي تمت في مجال التعليم تقدما كبيرا في أوائل عهد المييجي . Meiji

نشر التعليم :

اختلفت حكومة المييجي Meiji عن الحكومات الاقطاعية السابقة ، فيما أنها كانت بمثابة مؤسسة سياسية ، تتمتع بالسيادة على جميع المواطنين ، فقد أتاحت فرص التعليم لجميع طوائف الشعب الياباني . فقد أصدرت قانونا للتعليم الاجباري عام ١٨٧٢ ، وبذلك ركزت جهودها على بناء البنية الأولى للمجتمع وهي الطفل ، فاهتمت بالتعليم الابتدائي أكثر مما اهتمت بالتعليم العالي . ومن هنا نجد أن سياسة الدولة التعليمية اختلفت كثيرا عن السياسة التي اتبعتها الدول النامية فيما بعد .

في منتصف القرن التاسع عشر ، كانت نسبة من يعرفون القراءة والكتابة عالية . فكانت ٤٠ بالمائة بالنسبة للرجال و ١٠ بالنسبة للنساء . ومن هنا وجدت الحكومة بعض السهولة في تطبيق قانون التعليم الاجباري . وفي نهاية القرن التاسع عشر ، بلغت نسبة حضور الأطفال من الجنسين ما يقرب من ٩٦ بالمائة ، واقترب معدل من يعرفون القراءة والكتابة من هذه النسبة .

وبعد أن جعلت الحكومة التعلم اجباريا ، فقد أكدت على أهمية الجانب النفعي والعملی للمعرفة . وعرف الناس القراءة والكتابة والمهارات الحسابية الأساسية ، فعاد ذلك بالنفع عليهم ، وجعلهم أكثر قدرة على الانتفاع بحياتهم وأعمالهم ، كما ساعد على ارساء قواعد التطور فيما بعد .

التعليم العملى :

مضت الحكومة فى تأكيدها للجانب النفعى والعملى للمعرفة ، فأسست الجامعات • وكانت جامعة طوكيو أول جامعة قومية تقوم بتأسيسها عام ١٨٨٦ • ولم تكن تلك الجامعة تضم كليات العلوم الانسانية والعلوم الأساسية - كالادب والعلوم والقانون ، ولكنها ضمت كليات الهندسة والطب والزراعة • وكان ذلك أمرا يدعو للغرابة ، فلم تكن جامعات أوروبا نفسها تضم كليات الزراعة والهندسة ، بل كانت المدارس الفنية هى التى تدرس العلوم الزراعية والهندسية • وبذلك كانت اليابان من بين الدول القليلة التى حذت حذو أمريكا ، التى أصدرت قانون موريل Morrill عام ١٨٦٢ فبدأت الجامعات تدرس علوم الزراعة والتكنولوجيا بمقتضاه • وقد اتبعت الحكومة الروسية سياسة مماثلة عقب الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧ • وتجدر الإشارة الى أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى واليابان وجميع الدول غير الأوربية قد أكدت على الجانب العملى للتعليم ، وذلك عندما بدأت هذه الدول تضع خطط التنمية • وعملت الدول الثلاث على النجاح بأوروبا ، بل وسبقها ، وجنى ثمار الثورة الصناعية بأسرع ما يمكن •

سيطرة الروح الغربية مقابل سيطرة الروح اليابانية :

كانت روح التأثير بالحضارة الغربية تغلب على جامعات اليابان أثناء فترة حكم الميجى Meiji • وبذلت تلك الجامعات جهودا جبارة حتى تصطبغ بالصبغة الغربية • وعرفت اليابان معاهد التعليم العالى قبل أن يعرفها الغرب بزمان طويل • فقد تأسست فى كيوتو Kyoto جامعة تسمى ديجاكيورو Daigakuryo منذ مطلع القرن السابع لتعليم الكونفوشية والثقافة الصينية • كما كان هناك معهد شوتشين Shuchiin لتعليم المبادئ البوذية وبالإضافة لتلك المدارس التى كانت تعلم المبادئ البوذية أو الثقافات الصينية ، كانت هناك مدارس كوجاكوين Kogakuin التى ظلت تدرس المعارف القومية (Kokugaku) لسنوات طويلة • وبذلك كان بإمكان اليابان بناء الجامعات القومية الحديثة مع الاحتفاظ بتقاليدها الكونفوشية أو البوذية أو معارفها القومية • وقد حث كثيرون من الناس ، ممن كان يعينهم أمر تلك التعاليم التقليدية ، حكومة الميجى على المضى فى ذلك الطريق •

وإذا ألقينا نظرة على جامعات الغرب اليوم - مثل جامعة كمبردج واكسفورد وهايدبرج وباريس - فسنجد أن نشأة تلك الجامعات ترجع الى العصور الوسطى • ورغم أنها مرت بتغيرات كبيرة منذ ذلك الوقت ، الا أنها احتفظت ببعض التواصل مع العلوم التقليدية التى سادت العصور الوسطى •

ولذلك فنحن لا نندهش عندما نعرف أن المصاحف التقليدية اليابانية التي تحولت الى جامعات معاصرة ، قد سارت على نفس النهج ، غير أن الحكومة أسست جامعة كيوتو Kyoto لتعليم المعارف الغربية المعاصرة والتكنولوجيا ، لا الثقافة التقليدية . وكانت القيمة الكبيرة التي أسندت الى المعلمين الأجانب جزءا لا يتجزء من تلك السياسة . وبما أن كثيرا من اهتمام اليابان قد تركز حول الثقافة الغربية من خلال الترجمة ، فقد تزايدت حاجة البلاد الى المعلمين اليابانيين الذين أظهروا كفاءة في ترجمة اللغات الأجنبية .

وأصيب اليابانيون بحمى التحول الى الطابع الغربى ، فكانوا يتلففون الى تقليد كل ما هو غربى ، فكشفت محاولاتهم عن تمتعهم بقدر كبير من الخيال . وفي أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر ، أنفقت الحكومة حوالى ٣٠ بالمائة من ميزانية وزارة التربية والتعليم على رواتب المعلمين الاجانب وعلى المعونات التي كانت ترسل للطلاب الذين كانوا يدرسون بالخارج . وكان هدف الحكومة الاسمى هو زرع الانظمة والمناهج الدراسية الغربية فى النظام التعليمى بدءا بالمرحلة الابتدائية وحتى المستوى الجامعى .

وفى أحيان كثيرة كانت حمى التحول الى الطابع الغربى تبلغ أقصى مدى لها . وبلغ الأمر حدا جعل رجلا مثل موري ارينورى Mori Arinori يطالب بالغاء اللغة اليابانية الصعبة ، واستبدالها بلغة انجليزية مبسطة ، تدرس للأطفال فى المدارس . وفى بحث تضمنه مجلده «التعليم فى اليابان» انتقد العالم الأمريكى و. د. ويتنى W. D. Whitney بشدة تلك الفكرة ، وقال بأن تلك اللغة الانجليزية المبسطة ستحول دون الاتصال بين الثقافة اليابانية وبين ثقافات الدول الناطقة بالانجليزية ، وستجعل الثقافة اليابانية تتراجع الى مرتبة أقل . كما قال ان ذلك يعنى أن تنصل اليابان من تراثها الثقافى الغنى ، وتنبذ كل سبل التقدم . وخلاصة ما قاله ويتنى هو أن شعبا لا يحترم هويته الثقافية لا يحق له أن يطمح فى تحقيق التقدم .

وكان لحمى التحول للطابع الغربى رد فعل شديد فى البلاد ، وتمثل ذلك فى الاتجاه نحو التحول الى الطابع اليابانى . وكانت المواجهة والتراضى والاندماج بين تيار التحول الى الطابع الغربى وتيار التحول الى الطابع اليابانى من أهم القضايا التى شغلت الأوساط التعليمية والدراسية فى اليابان منذ فترة حكم الاستعارة ، وستظل هذه القضية تحظى باهتمام الكثرين فى المستقبل ، وكانت ميزة التحول الى الطابع اليابانى هى أن الثقافة المحلية ستعمل على ارتقاء المجتمع ، وان الطوى ذلك على العديد من المشكلات . فقد ظلت الثقافة اليابانية مقصورة على الشعب اليابانى وحده

ردحا طويلا من الزمن لدرجة يصعب معها تخطي الفجوة التي تفصل بينها وبين الثقافات الأخرى . كما أن الثقافة اليابانية نفسها تحول دون التفاهم بين اليابانيين وشعوب الدول الأخرى ، وهي إحدى العوامل المسؤولة عن عزلة اليابانيين وعدم انفتاحهم على العالم . كما تأثرت الثقافة اليابانية تأثرا شديدا بطابع المناخ الجماعي الذي ساد المجتمع الياباني ، مما أدى الى اعاقه حرية الفكر الحقيقية وحرية التعبير وحرية الكلمة وجعل الناس لا يدرسون المعاني الكبيرة للانسانية الا من خلال هويتهم كيابانيين فقط .

وعلى أية حال ، فقد بذلت جهودا كبيرة لجعل تدريس كافة المواد الدراسية في مراحل التعليم الإلزامية باللغة اليابانية ، كما بدأت الجامعات تستبدل المعلمين اليابانيين بالمعلمين الأجانب الذين حلوا محل المعلمين الأجانب في نهاية الأمر . وحدد المرسوم الامبراطوري الذي أصدرته الحكومة عام ١٨٩٠ المبادئ العامة للتعليم ، وان لم تكن جميع تلك المبادئ تشجع على التطور الحر للانسانية . وعمل المرسوم على تأكيد العلاقة بين الامبراطور والتقاليد القديمة ولكنه لم يرقى عمل يهدف الى تحقيق سيادة الشعب . فقد اتبع ذلك المرسوم التعاليم الكونفوشية ، ولكنه لم يضمن انفصال التعليم أو الفكر أو حرية الكلمة عن الحكومة . وقد ألغى ذلك المرسوم بعد الحرب العالمية الثانية .

واختارت اليابان اتباع سياسة التدخل عن التقاليد فيما يتعلق بالنواحي التعليمية والسياسية ، وسعت الى صيغ كل شيء بالصيغة الغربية الى حد جعل كوابارا تاكيو Kuwabara Takeo يطلق على تلك السياسة اسم « الثورة الثقافية » . وقد بذلت اليابان - تلك الدولة التي تقع على حافة آسيا - جهودا جبارة لاستيعاب حضارة الغرب ، وذلك حتى تتمكن من البقاء على حافة الغرب - أي عدم السقوط في براثن الاستعمار الغربي .

تولى الحكومة أمر الحكم والحرية الأكاديمية :

أحرز التعليم تقدما ملحوظا في فترة حكم الميجي Meiji ، وذلك بعد أن اتخذت الحكومة زمام المبادرة ، ولكن لم يكن جميع الناس راضين عن نظام التعليم الذي وضعته الحكومة . وتعالى الأصوات في الثمانينات من القرن التاسع عشر تطالب بفصل التعليم والفكر والحوار عن الحكومة ، فقد كان ذلك العصر عصر الحركات الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات minken undo ، وقد تأسست كثير من الجامعات الخاصة ذات الطابع الليبرالي في تلك الفترة . فأسس اكوماشييجنوبو

Shigenobu (١٨٣٨ - ١٩٢٢) جامعة واسيدا Waseda ، وأسس
Nujima jo (١٨٤٣ - ١٨٩٠) جامعة دوشيشا Dashisha
كما ظهرت الصحف الخاصة ، التي لا يزال بعضها منتشرا حتى اليوم ،
مثل صحيفة اساهي Asahi وصحيفة مينتشى Mainichi وصحيفة
يومورى Yomiuri وصحيفة هوتشى Hochi

يقال أن تأسيس نظام التعليم الابتدائي في بريطانيا قد استغرق
ثلاثة قرون ، وذلك بفضل جهود عامة الشعب من أهل القرى والمدن .
وقد بدأت بريطانيا تضع أول لبنه في ذلك النظام عام ١٥٦٠ ، وذلك
حينما قام جون نوكس John Knox بنشر أول مجلد له عن
التدريب على مبادئ الأخلاق بعنوان « كتاب النظام » . وادا رجعنا الى
اليابان ، فسنجد أن قصة التعليم الابتدائي تختلف عن ذلك ، فهي لم تبدأ
من القاعدة الشعبية مثل بريطانيا ، اذ لم تسهم عامة الشعب في وضع
أسس التعليم ، وذلك رغم أن الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح
الحريات كانت في أوج نشاطها . وقد يرجع ذلك الى أن الحكومة قد
أخذت على نفسها زمام المبادرة ، فقامت بإصلاح التعليم . كما أن المبادرة
الشعبية لم تلعب دورا كبيرا في قيام استعادة الميجي Meiji
Restoration ، وهي حركة تهدف الى الاصلاح في دولة متخلفة . بل
ان الضغوط الخارجية هي التي كان لها أكبر الأثر في قيام استعادة الميجي
Meiji Restoration . ولكن قوى التحرر الفكرى والتعليم والمعرفة
والحوار قد اتخذت صورا عديدة ، ومارست نشاطها خارج نطاق الحكومة
ومن خلال القطاعات الخاصة .

ودب الوهن في المذهب الليبرالى الذى ساد الثمانينات من القرن
التاسع عشر ، فى العشر سنوات التالية حين دعمت الحكومة سلطتها
وقوتها المستمدة من دستور الميجي Meiji ومرسوم التعليم
الامبراطورى . وقد تجدد نشاط المذهب الليبرلى فى ظل حكومة تيشو
Taisho الديموقراطية ، كما نشط مرة أخرى فى ظل الديموقراطية
التي شهدتها اليابان بعد الحرب العالمية الثانية . ولا يجب علينا أن نبالغ
فى تقدير أهمية المذهب الليبرالى الذى اشتعلت شرارته الأولى أثناء فترة
حكم الميجي Meiji ، ولكن يكفى القول بأن الحكومة لم تعد وحدها
صاحبة الحق فى وضع سياسة التعليم .

اشتد الصراع والجدل بين الحكومة والقطاع الخاص حول أحقة كل
منهما فى تولى قيادة التعليم ، كما اشتد الصراع بين تبار التحول الى الطابع
الغربى والتمار المؤيد للتمسك بالطابع البابائى . ولكنى لن أخوض فى

التفاصيل ، بل يكفي القول بأن تاريخ التعليم المعاصر لم يكن خاضعا للمؤسسات العامة أو القومية . وتخرج العديد من الساسة البارزين ورجال الصحافة في جامعة واسيدا Waseda ، كما تلقى أصحاب المشروعات الحرة تعليمهم في جامعة كيو Keio ، واحتضنت جامعة دوشيشا Doshisha بكيوتو العديد من القادة المسيحيين . وقد فشلت روح التعليم في الوقت الذي نشطت فيه الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات . ويرجع ذلك الى جهود كثيرين من الناس الذين كانوا يعملون بالمدارس الخاصة ، وكذلك أولئك الذين كانوا يعملون بالمدارس وفقا لنظام التعليم القومي . وقد تعرضت مثل وأهداف أولئك الرجال لأوقات عسيرة على مدى التاريخ ، ولكن هذه المثل والأهداف ماتزال قائمة في تاريخ التعليم الياباني المعاصر .

ويوضح لنا المثال الياباني أن مبادرة الحكومة تنزع الى السيطرة على كل شيء في الدول النامية ، فتتأكد أهمية هذه الدول ، وتختفي الحقوق الانسانية الأساسية بها . وتنطبق هذه المشكلة على أي نظام ايديولوجي . ويتطلب منا هذا الوضع مزيدا من الدراسة ، لأنه شائع في كافة الدول النامية .

مراجع وملاحظات :

Education in Japan : A Series of letters Addressed by (١)
Prominent Americans to Arinori Mori (A. Appleton &
Co., New York, 1973), p. XXXV.

Ibid., p. XXXVII. (٢)

Ibid. (٣)

Ibid., p. XL. (٤)

Ibid., pp. LII — LIII. (٥)

بقلم

لو وان هي Lu Wan-he

أكاديمية تيانجين للعلوم الاجتماعية
Tianjin Academy of Social Sciences

جمهورية الصين الشعبية •

شنت القوى الاستعمارية الغربية حرب الأفيون على الصين عام ١٨٤٠ ، وأرغمت اليابان الى فتح موانئها عام ١٨٥٣ بعد أن هددتها باستخدام القوة • وعانت اليابان والصين من أزمات قومية طاحنة في منتصف القرن التاسع عشر ، وترجع أسباب الأزمة الى التناقض بين النظام الرأسمالي الذي اتبعته القوى الاستعمارية والنظام الاقطاعي الذي اتبعته كثير من الدول الأخرى ، ومنها اليابان • وقد بين لنا التاريخ بأن الظروف كانت تسمح للدول التي تعرضت لتهديد الغزو الأجنبي بانفكاك من قبضة الاستعمار ، وذلك اذا تحولت بسرعة الى النظام الرأسمالي ، والا تعرضت للاستعمار على يد القوى الغربية • وقد اختارت اليابان التحول الى النظام الرأسمالي ، بينما وقعت الصين في براثن الاستعمار الغربي •

وقد يتساءل المرء عن اختلاف مسار التطور في اليابان والصين ، رغم تشابه أحوالهما في بداية التاريخ المعاصر • وكيف استطاعت اليابان تغيير المجتمع تغييرا كاملا ، فاستطاعت تحقيق استعادة الميجي Meiji Restoration بعد ١٥ عاما فقط من اضطرارها الى الانفتاح على الغرب ؟ ولماذا اضطرت الصين الى الانتظار ٥٨ عاما ، بعد انتهاء حرب الأفيون ، حتى تقوم باصلاحات جوهرية عام ١٨٩٨ (Wushsu Pienfa)

ولماذا فشلت تلك الاصلاحات عقب ذلك ؟ أثار اختلاف مسار التقدم في البلدين اهتمام الباحثين في الصين وبعض الدول الأخرى .

يرجع ذلك الاختلاف الى عدة عوامل . ولا يمكن لنا أن نعزى سبب نجاح اليابان في تحقيق التقدم ، وفشل الصين في تحقيق ذلك التقدم ، الى العوامل الدولية وحدها (فالعوامل الداخلية تؤثر على تطور الأحداث بصورة جوهرية) . ولا يمكن ارجاع السبب الى ضعف أو عدم نضج الطبقة البورجوازية في الصين (فقد كانت الرأسمالية لانزال في مهدها قبل استعادة الميجي Meiji Restoration في اليابان) (١) . عدم تحيز المفكرين التقدميين في الصين ضد الثقافات الراقية للدول الأخرى يعترف بنجاح ثورة تايبنج Taiping Revolution في الصين . لابد لنا من فهم الأحداث التاريخيه في البلدين في القرنين أو القرون الثلاثة التي سبقت انفتاحهما على الغرب ، حتى نقف على حقيقه الاختلاف بين البلدين . وأنا أعتقد أن السبب الرئيسي وراء اختلاف مسار التقدم في البلدين إنما يتمثل في اختلاف انتشار المعارف الغربية في البلدين عام ١٧٢٠ ، وفي الأعوام التي سبقت حرب الأفيون (٢) .

وما يدعى بالمعارف الغربية Hsi-hsueh هي حضارة العلم الحديث التي أخذت تزدهر في أوروبا منذ بداية القرن السادس عشر . وكان مبشر الجزويت القس الايطالي مايتو ريشي Matteo Ricci (١٥٥٢ - ١٦١٠) أول من أدخل المعارف الغربية الى الصين عام ١٥٨١ . كما أدخل قس الجزويت فرانسيس زافير Francis Xavier (١٥٠٦ - ١٥٥٦) المعارف الغربية الى اليابان عام ١٥٤٩ . وعرفت تلك المعارف الغربية التي أدخلها أولئك المبشرون باسم ثقافة « البرابرة الجنوبيين » .

وتوقف تدفق البرابرة الجنوبيين على اليابان لبعض الوقت حينما انتهجت حكومة طوكوجاوا Tokugawa سياسة العزلة عام ١٦٣٣ . واستمر تدفق المعارف الغربية على الصين حتى حكم الامبراطور كانجشي Kangshi (١٦٦٢ - ١٧٢٢) . وازدهرت المعارف الغربية جنبا الى جنب مع العلوم التقليديه لمدة تربو على المائة عام ، وظهر المثقفون التقدميون الذين أحاطوا بجانب كبير من العلوم الغربية بجانب العلوم التقليديه ، ونذكر من هؤلاء هوسي كوانج - تشي Hsu Kwang-Ch'i (١٥٦٢ - ١٦٣٣) ولى تشيه - تسو الذي توفي عام ١٦٣١) . ومن ثم يتضمن لنا عدم تحيز المفكرين التقدميين في الصين ضد الثقافات الراقية للدول الأخرى منذ البداية . ولم تقل استجابة الشعب الصيني للثقافة الأجنبية عن استجابة الشعب الياباني أو أية شعوب أخرى .

وتغيرت مجريات الأمور ابتداء من عام ١٧٢٠ . فقد اشتد الجدل المعروف « بجدل الطموس Rites Controversy » ، في ذلك العام بين أسرة تشي ينج Ch'ing الحاكمة في الصين وبين روما - أي بين البسايا في روما والامبراطور في الصين ، وأيهما أحق بالسلطة العليا (٢) . وكان نتيجة ذلك الجدل هو أن الامبراطور انصيني كانجشى K'angshih اضطر الى حظر الديانة المسيحية في الصين وقال في هذا الصدد « عودوا بمبشرينكم الى الغرب » ، ولكنه لم يحظر المعارف الغربية ، ففد كان يعتقد بأن الدين والعلم منفصلان ، وأعلن ذلك بقوله ان المملكة الوسطى كانت تكرم أى رجل صاحب علم وتسمح له بدخول البلاط (٤) . ولو صار الأباطرة الذين حكموا الصين بعد الامبراطور كانجشى Kangashih ، على نفس النهج الذى صار عليه كانجشى ، ففصلوا الديانة المسيحية عن المعارف بوجه عام ، لاستمر انتشار العلوم الغربية في الصين . ولكن مما يرثى له أن أولئك الأباطرة الذين خلفوا كانجشى تمسكوا بشدة بمبدأ العزلة والاستبعاد الثقافى ، بل أنهم عملوا على حظر المعارف الغربية في نهاية الأمر . وبذلك توقف انتشار المعارف الغربية في الصين منذ تولي تشين - لنج الخلافة (١٧٣٦ - ١٧٩٥) وحتى حرب الأفيون ، وهى فترة لم تتجاوز ٧٠ أو ٨٠ عاما ، ولكنها كانت كافية لاجداث الآثار السلبية التى عانت منها الصين بعد ذلك .

وكان الوضع في اليابان يختلف اختلافا بينا . فقد خفف يوشيمين Yeshimune (١٦٨٣ - ١٧٥١) - الحاكم العسكرى الثامن Shogun - من الحظر المفروض على الكتب الواردة من الغرب ، ثم نهضت المعارف الغربية في اليابان بعد ذلك . كما تجدر الاشارة الى أنه حتى فى ظل سياسة العزلة التى اتبعتها حكومة طوكوجاوا فلم تدر الحكومة ظهرها لما يجرى فى العالم ، كما فعل أباطرة الصين الذين انحدروا من أسرة تشينج Ch'ing . فقد حافظت اليابان على اتصالها بالعالم الخارجى من خلال ميناء ناجازاكي Nagasaki الصغير . وكانت المعارف الأجنبية متاحة للصفوة الحاكمة ولطبقة صغيرة من المثقفين ، فاستطاعوا استيعاب تلك المعارف ، وكانوا يتناقلونها فى كتاباتهم ، وان ظلت عامة الشعب لا تدرى شيئا عما يجرى وراء شواطئ اليابان (٥) .

وبعد عام ١٧٢٠، أطلق على المعارف العلمية اسم رانجاكو Rangaku أو « المعارف الهولندية » ، وذلك لأن الهولنديين الذين كانوا يقيمون فى ناجازاكي كانوا أول من أدخل تلك المعارف الى اليابان . وبعد مضي أكثر من قرن من الزمان ، ازداد عدد دارسى العلوم الغربية ، حتى أصبحوا يشكلون مجموعة كبيرة من المثقفين ، وهو ما عبر عنه العالم سوجينباكو

Sugita Genpaku (١٧٣٣ - ١٨١٧) بقوله « كان دارسو العلوم الغربية كبقعة الزيت التي انتشرت بسرعة على سطح البحيرة » . وعندما التقى دارسو العلوم الهولندية في ايدو Edo في عامي ١٨٩٦ و ١٨٩٨ ، انضم ١٠٤ رجلا الى حلقة الدراسة ، وكان ٦٧ رجلا منهم يمارسون حرفا معروفة . وكان ٢٤ رجلا يعملون اطباء بشريين ، و ٧ من السادة الاقطاعيين ، و ٦ من اهل المدن ، و ٧ من الاقطاعيين الشرجون ، و ٣ مترجمين ، و ١٠ رجال ممن كانوا يزاولون مهنا مختلفة . وتبين لنا هذه الأرقام بأن الطبقة الاقطاعية الحاكمة وطبقة المثقفين كانت قد بدأت تفترق آنذاك . وتظهر لنا احصائيات أخرى بأنه في الفترة التي امتدت فيما بين عام ١٧٤٤ وعام ١٨٥٢ ، وهي فترة امتدت ١٠٨ عاما ، دأب ١١٧ عالما على ترجمة ٥٠٠ كتابا من الكتب الغربية (٦) .

وساعد انتشار المعارف الغربية على انتشار الفكر التقدمي . في عام ١٧٥٥ ، قال سوجيتا جنباكو Sugita Genpaku - العالم المتخصص في المعارف الهولندية - « ان الأرض كرة تتمركز عليها دول كثيرة ، وتسكنها كافة شعوب الأرض ، وعلى كل دولة أن تعتبر نفسها مركز الأرض . وكانت الصين مجرد دولة قابضة في طرف بعيد من أطراف البحار الشرقية » . ويعبر أوتسكى جنتاكو Otsuki Gentaku (١٧٧٥ - ١٨٢٧) - أحد العلماء المتخصصين في المعارف الهولندية - عن رأى مماثل لرأى سوجيتا جنباكو ، فيقول « كان من الخطأ النظر الى الصين في تعال ، والتقليل من شأن الدول الأخرى ، والنظر اليها على اعتبار أنها دول بربرية » . وفي الوقت الذي أخذ فيه الفكر التقدمي يزدهر في اليابان ، ظل امبراطور الصين تشين - لنج Ch'ien-tung بعيدا عن الدول الأخرى ، ينظر اليها نظرة استعلاء » (٧) .

وفي اليابان ، تجمع ثلاثون عالما من علماء المعارف الهولندية Rangaku في أول يناير من عام ١٧٩٥ للاحتفال بالعام الجديد لأول مرة وفقا للتقويم الشمسي الغربي . وأطلقت تلك المجموعة من العلماء على نفسها اسم شينجنكاى Shingenkai ، وكان معهم لفافة ورق مرسوم عليها صورة كبيرة للاحتفال بتلك المناسبة . وكتبت الكلمات التالية على لفافة الورق « لدينا أصدقاء كثيرون من دول القارات الخمس » . وظلت مجموعة شينجنكاى تحتفل بالعام الجديد كل عام حتى عام ١٨٣٧ . ولو قدر لتلك الاجتماعات أن تعقد في الصين آنذاك ، لكانت قد وجهت اليها تهمة الخيانة العظمى . ومما سبق يتضح لنا أنه في الوقت الذي فتحت فيه الصين واليابان أيوابهما أمام الغرب ، اختلف مقدار انتشار المعارف الغربية والمبادئ الفلسفية في البلدين .

انتشرت المعارف الغربية بسرعة فى اليابان بعد عام ١٨٥٣ (٨) .
 وفى عام ١٨٦٨ ، كانت الرياضيات تدرس فى ١٤١ مدرسة من مجموع
 مدارس المقاطعات البالغ عددها ٢٤٠ مدرسة والخاضعة لاشراف الحكومة ،
 وكانت المعارف الغربية تدرس فى ٧٧ مدرسة ، والطب فى ٦٨ ، والفلك
 فى ٥ مدارس . وبلغت نسبة المدارس التى تضم أقسام العلوم ٣٥ بالمائة
 عام ١٨٥٣ . وكتب فيكيوزاوا يوكيتشى Fukuzawa Yukichi (١٨٣٤ -
 ١٩٠١) يقول : نهضت الدراسات الغربية على يد الأطباء فى السنوات
 الأولى لحكم الامبراطور هوريكى Horeki (١٧٥١ - ١٧٦٤)
 والامبراطور ميوا Meiwa (١٧٦٤ - ١٧٧٢) ، ثم تولت طبقة الساموراي
 مسئولية النهوض بتلك الدراسات الغربية أثناء حكم الامبراطور كوكا
 Koka (٩) (١٨٤٤ - ١٨٤٨) ، والامبراطور كياي Kaei
 (١٨٤٨ - ١٨٥٤) . وانتشرت المعارف الغربية بسرعة فى مجال العلوم
 الطبيعية والاجتماعية ، ثم ما لبثت أن توطدت العلاقات التى كانت تربط
 بين المفكرين التقدميين وقوى الاصلاح ، فاستطاعوا شيئا فشيئا تكوين
 حركة الاصلاح ، بل عملوا على استغلال قوة الفلاحين فى تصعيد النضال
 الثورى ، ووضع اليابان على طريق الرأسمالية .

أما فى الصين فقد افتتحت أول مدرسة لتدريس علوم الغرب عام
 ١٨٦٢ ، أى بعد مضي ٢٢ عاما على حرب الأفيون الأولى . وطبقا لإحصائيات
 فيكيوزاوا يوكيتشى ، فقد بلغ عدد الصينيين الذين كانوا يعرفون قراءة
 الكتب الغربية عام ١٨٦٢ ، ١١ شخصا فقط ، فى حين بلغ عددهم ٥٠٠
 شخصا فى اليابان (١٠) . وفى عام ١٨٧٢ ، أرسلت حكومة تشينج
 Chi'ing أول بعثة دراسية للخارج (٢١٠ طفلا) ، ولكن صدرت لهم
 الأوامر بالرجوع للوطن عام ١٨٨١ قبل استكمال دراستهم (١١) .
 وظهرت مجموعة جديدة من المثقفين الذين توافرت لديهم دراية بالمعارف
 الغربية فى أواخر الثمانينات ، ولكن لم تتشكل قوة الاصلاح فى الصين
 الا فى عام ١٨٩٠ ، كما أن تلك القوة لم تتساو من حيث الحجم أو التجربة
 أو التأثير مع القوة التى كانت قد تكونت فى اليابان عشية القيام بثورة
 الميجى . ففشلت تلك القوة فى القيام بأية تغيرات ملحوظة ، وبذلك فقدت
 الصين كافة الفرص المتاحة لتحقيق نوع الاستعادة التى تمكنت اليابان من
 تحقيقها .

وفى منتصف القرن التاسع عشر ، واجهت اليابان والصين أزمات
 طاحنة كدولتين أو كنظامين من أنظمة الحكم الاقطاعى . ولم تكن الرأسمالية
 أو البورجوازية قد وصلت مرحلة النضج فى أية دولة منهما . وفشلت
 البرجوازية فى الأخذ بزمام المبادرة لاشعال الثورة فى الدولة الأخيرة .

فهل كان بمقدور الدولتين تأجيل الثورة الاجتماعية حتى يشتد عود
البورجوازية ؟ وكانت الاجابة بالنفي القاطع . فقد ساعدت الأحوال التاريخية
السائدة آنذاك على أن تصبح الرأسمالية الغربية هي انقوة المسيطرة على
العالم . ويشيد ماركس Marx وانجلز angels الى هذه الحقيقة ،
اذ يقولان : هدمت البورجوازية سور الصين العظيم ، وأرغمت كافة الدول
على اتباع أسلوب الانتاج البورجوازي ، وذلك خوفا من التعرض للفناء (٢١) .
وفى تلك الأحوال التاريخية ، اعتمدت سرعة تشكيل قوة الاصلاح على مدى
انتشار الدراسات الغربية فى بلد ما . ومما سبق يتضح لنا أن انتشار
المعارف الغربية قد اختلف فى البلدين ، فكان لذلك أثره على مسار التنمية
القومية فى كل منهما .

ولا يصح تفسير ذلك بالقول بأن قادة الفكر والثقافة والتعليم هم
الذين قاموا بالاصلاح وحدهم ، أو أن العوامل الاقتصادية وحركة الفلاحين
قد لعبت دورا صغيرا فى حركة الاصلاح . وساعد انتشار المعارف الغربية
فى اليابان على وضع الأسس الأيديولوجية لاستعادة الميجي
Meiji Restoration ولكن تلك الأسس الأيديولوجية لم تكن وحدها
المسئولة عن قيام الثورة . فبدون الضربات المتتالية التى وجهتها ثورات
الفلاحين للنظام الاقطاعى ، لما استطاعت قوى الاصلاح قلب نظام الحكم
الاقطاعى عن طريق الثورة . وفى الوقت ذاته لم يكن السعى لتحقيق
رفاهية الفلاحين سببا كافيا لاستبدال النظام الاقطاعى بنظام آخر جديد .
فخلق نظام جديد يتطلب قوة اصلاح ، أو طبقة واعية تمثل أسلوبا متطورا
من أساليب الانتاج . وقد بين لنا التاريخ أن ظهور طبقة من المفكرين
التقدميين انما يبشر بظهور قوة سياسية واعية . ولا يمكن للأخيرة أن
تظهر بدون وجود الأولى . وساعدت سياسة العزلة التى اتبعتها حكومة
تشينج Ch'ing على عدم ظهور طبقة مثقفة جديدة قبل بدء حرب الأفيون ،
لذلك لم تظهر قوى الاصلاح بسرعة بعد انتهاء الحرب ، مما ترتب عليه
عدم قدرة الصين على مواجهة الأزمة القومية التى عانت منها اثر تعرضها
للعوان الغربى . وهذا درس هام من دروس التاريخ .

وحتى بعد قيام حركة الاصلاح عام ١٨٩٨ ، وقيام ثورة ١٩١١ ،
لم تستطع الصين السير فى الطريق الذى سارت فيه اليابان فأدى بها الى
استعادة الميجي Meiji Restoration ويعد انتصار ثورة الصين
الشعبية خير دليل على أن الاشتراكية هى وحدها القادرة على تحرير الشعوب
والأمم المقهورة . وسيمى الشعب الصينى الدروس التاريخية المستفادة من
تجربة الصين وتجربة الدول الأخرى ، كتجربة استعادة الميجي فى اليابان .
ففى أثناء دراستى لاستعادة الميجي ، توقفت أمام جانبين من الجوانب التى

تضمنتهما هذه التجربة • وأول هذه الجوانب هو أن الاستعادة قد مكنت اليابان من التغلب على الأزمة القومية والانضمام إلى القوى السولية كقوة متكافئة معها • أما الجانب الثانى ، فهو أن الاستعادة قد دفعت اليابان إلى اتباع سياسة التسليح العسكرى ، والاتجاه نحو الفاشية • وانتهت تلك السياسة بالمأساة التى عانتها اليابان فى الحرب العالمية الثانية • وأدت هذه الازدواجية إلى استرقاق اليابانيين ، وحملهم على تقديم تضحيات مريعة • وأنا اعتقد أن دراسة الميجى اشن Meiji Ichin يجب أن تبدأ من هذه النقطة •

مراجع وملاحظات :

Lu Wan-he and Luo Shuwei, "Shilun Wuxu Bianfayu (١) Mingzhi Weixin" (A Study of the Reform Movement of 1909 and the Meiji Restoration), Guangming ribao, 29 July 1980.

Lu wan-he and luo Shuwei, "Xixue Zai Fengjian moqide (٢) Zhongguo he Riben" (Western Learning in Chine and Japan toward the End of the Feudal Age), Lishi Yanjiu, no. 3 (1091).

(٣) أرسلت رومانيا بعثة إلى الصين فى عام ١٨٠٥ ثم فى عام ١٨٢٠ تحظر على المسيحيين الكاثوليك هناك عبادة السماء والأجساد وهى عبادات موروثة عن العقيدة الكونفوشية •

Chen Yuan, ed., Kanxi yu Luoma shijie ganxi wenshu (٤) (Official Documents Relating to the K'angshi Emperor and lwe Roman Envoys), Photogengraving (1931).

Kaikoku Hyakunen Kinen Bunka jigyokai (Association for (٥) Culture Activities for the Centennial of the Opening of Japan), eh., Sakoku Jidai Nihonjin no Kaigai Chishiki (Japanese Knowledge about Other Countries during the Period of National Seclusion (Hara Shoho, Tokqo, 1978).

Hotei Shujin, Seivo gakka Yawu justsu mokuroku (A (٦) Catalogue of Translations and Essays by Scholars of Western Studies) (Kokusho Kankokai, Hokyō, 1913).

A Letter from Ch'ien-lung sent to the English King George (v)
III Ch'ing Kao-lsung shihlu (A Record of the Reign of
Emperor Ch'ien-tung) (1803).

Yuasa Mitsutomo, Kagakushi (A History of Science) (Toyo (A)
Keizai Shinposha, Tokyo, 1965), pp. 36-37.

Numata Jiro, Yogaku dennnyushi (A History of the Intro- (A)
duction of Western Learning) (Shibundo, Tokyo, 1960),
p 203.

Inoue Kiyoshi, Nihon gendaishi-Meiji ishin (A Modern His- (A)
tory of Japan : The Meiji Restoration) (Tokyo University
Press, Tokyo, 1951), p. 215 Lu Wan-he, Guangming ribao,
7 November 1978.

Lu Wan-he and Luo Shuwei, Mantan Jindai Zwongguo he (A)
Ribben de Liuxuesheng Zhengce (Modern Chinese and
Japanese Government Programmes for Sending Students
Overseas), Guangming ribao, 18 September 1979.

Manifesto of the Communist Party (Foreign Languages (A)
Publishing House) Moscow, 1958).

ثورة الميجي التي لم تكتمل والتاريخ الفكرى

بقلم

تاكيذا كيوكو Takeda Fiyoko

جامعة كريستشين الدولية International Christian University

ميتاكا - شى Mitaka-shi

طوكيو - اليابان

كانت استعادة الميجي Meiji Restoration تهدف الى تحقيق
الاهداف التالية : (١) القضاء على نظام (باكوهان الاقطاعى - Bakuhan
ووضع نظام برلمانى قائم على الدستورية والديمقراطية الليبرالية
(٢) توحيد الشعب اليابانى (٣) اقامة دولة حديثة موحدة (٤) انتخلى
عن سياسة العزلة القومية وزيادة اتصال البلاد بالعالم الخارجى (٥) تحويل
المجتمع التقليدى المغلق الى مجتمع مفتوح يتمتع فيه جميع المواطنين
بالمساواة . ومكنت هذه الاهداف اليابان من تكوين دولة حديثة تسير
طابع العصر .

واذا نظرنا الى استعادة الميجي Meiji Restoration على اعتبار أنها
ثورة كاملة حققت الاصلاح المطلوب ونهضت بالمجتمع التقليدى ومكنته من
مسايرة طابع العصر ، فان نظرتنا هذه تكتفها بعض المشكلات . كما يصعب
علينا قبول آراء المراقبين الأجانب الذين يصفون القفزة الاقتصادية الهائلة
التي حققتها اليابان بعد الحرب بأنها معجزة ، كما يرجعون الانجازات التي
حققتها الى استعادة الميجي . ولم يكن هناك نموذج مسبى أو خطة معدة
تستعين بها الحكومة فى بناء اليابان الحديثة . وكل ما كان هناك هو
صورة خيالية لما نلغى . أن تكون على السان الحديثة ، بل، وحتى هذه

الصورة لم تكن كاملة • ويمكن أن نرجع النمو السريع الذى شهدته اليابان بعد الحرب العالمية الثانية الى عاملين - انفتاحين قوميين وليس واحدا - • يتمثل العامل الأول فى قيام ثورة الاستعادة عام ١٨٦٨ ، ونبذها لسياسة العزلة التى فرضها النظام الاقطاعى السابق • ويتمثل العامل الثانى فى الاصلاحات الديموقراطية التى قامت بها الحكومة بعد الحرب • وتعد ثورة الاستعادة وتلك الاصلاحات الديموقراطية مثالان للتغيير الجوهرى (الثورة)، ولا يمكن فهم العوامل التى ساعدت على النمو غير العادى لليابان الا اذا أخذنا هذين العاملين فى الاعتبار •

عند اثاره مثل هذه القضايا ، فانى اود مناقشة بعض النقاط المتعلقة باستعادة الميجى من وجهة نظر التاريخ الفكرى • وتتعلق أول نقطة من هذه النقاط باستعادة الميجى باعتبارها ثورة لم تكتمل ، أو باعتبارها نقطة البدء لعملية متصلة من التغيير والاصلاح •

فى التسعينات من القرن التاسع عشر ، اى بعد مضى ثلاثين عاما على قيام ثورة الاستعادة كانت معالم النظام السياسى الجديد قد بدأت تتضح فى ظل حماية الامبراطور له ، وذلك عندما قام تاكيكوشى يوسابيرو Takekoshi Yosaburo - الصحفى والمؤرخ التاريخى بمنيووشا Min'Yusha (١) - بنشر مؤلفاته التى أحدثت دويا هائلا فى جميع انحاء اليابان • وفى كتاب Shin Nihonshi (تاريخ اليابان الجديد) الذى نشر عامى ١٨٩١ و ١٨٩٢ وكتاب Nisengohyahunen-Shi (تاريخ ألفين وخمسائة عام) الذى نشر عام ١٨٩٦ ، قدم لنا تاكيكوشى طريقة جديدة للنظر الى التاريخ اليابانى •

وكتب تاكيكوشى يقول بأن ثورة ايشن (ishin hakumei) لم تكن الثورة المثالية التى تدعو الناس لأن يهبوا فى وجه الطغيان باسم مبادئ الحرية واحترام الحقوق ، كما لم تكن ثورة ناضجة ، فقد ساد اضطراب شديد ، وكان المجتمع يتهاوى آنذاك • وسارت الثورة تتخبط فى طريق ملتوى ومتذبذب حين وصلت السفن السوداء (أسطول الكومادور بيرى) الى شواطئ اليابان • وأدى ذلك الى قيام الثورة ، ولكنها ظلت ثورة غير كاملة • لذلك كانت تقع على عاتق المجتمع اليابانى مهمة اتمام ثورة الاستعادة Restoration التى بدأت عام ١٨٦٨ • ويرفض تاكيكوشى أيضا الاعتقاد بأن « الولا » للامبراطور « هو الذى أشعل شرارة الثورة لاعادة الامبراطور لمكانته السابقة • ويمضى قائلا : لم يكن الولا للامبراطور هو العامل الرئيسى الذى تسبب فى قيام استعادة الميجى Meiji Restoration • فلم يكن الامبراطور سوى زريعة استعانت بها القوى الثورية عندما وجدت طاقات الشعب المكبوتة متنفسا لها (٢) •

ووجد ذلك الرأى الذى نادى به تاكيكوشى صدى كبيرا لدى قطاع عريض فى أفراد الشعب اليابانى آنذاك . ويمكن أن نعزى تقبل كثير من الناس لأفكاره الى شيوع مبدأين متصارعين . كان المبدأ الأول يتمثل فى إعادة الامبراطور لمكانته السابقة . وكان المبدأ الثانى يتمثل فى اقامة حكومة تعتمد على اجماع آراء الشعب (الغاء الفوارق الاجتماعية ، ومساواة جميع المواطنين أمام القانون بمقتضى ميثاق العهد) . وكان هناك عنصران يمثلان هذا التضارب بين المبدأين . وهذان العنصران هما الوحدة وما يقابلها من تشتت . فبمجرد أن تفتتت وحدة الشعب ، اندفع قطاع منه الى التطرف فى عهد حكم شوا Showa ، الذى اتسم بالوطنية الزائدة وأدى ذلك الى التطرف الى قيام « الحرب الكبرى بشرق آسيا ، أو حرب الباسيفك » كما كان يطلق عليه آنذاك . ويتمثل العنصر الثانى فى الديموقراطية ، التى أصبحت معينا لا ينضب من التطوير والانماء ، التى شهدتها اليابان فى ديمقراطية تايشو ، أو ديمقراطية ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

ويمكننا أن نرى الازدواجية التى صاحبت تفسير طبيعة الدور الذى يقوم به الامبراطور فى دستور الميجى Meiji Constitution الذى أشرف ايتوهيروبو مى Ito-Hirobumi - رجل السياسة البار (genro) ومؤسس حكومة الاستعادة - على صياغته . ووفقا لهذا التفسير ، كان بالامكان القول بأن الامبراطور يمثل السلطة المطلقة التى تسمو على الدستور ، أو القول بأن الامبراطور كان مقيدا بقيود الدستور . واستعانت الحكومة بهذين التفسيرين واستثمرتهما فى (٣) اجتذاب الكثيرين من أصحاب المذاهب السياسية المتعددة ، فانضم الى صفوفها مؤيدوا السياسة القومية المحافظة ومؤيدوا الحركة والحركات الشعبية . وتمسك المفكرون المستنبرون ورجال السياسة البارعون (genro) بنظرية تقول بأن الامبراطور مجرد أداة من أدوات الحكم . وتختلف هذه النظرية عن النظرية التى قدمها مينوبى تاتسوكيتشى Minobe Tatsukichi والتى تقول بأن الامبراطور ما هو الا أداة ضمن الأدوات الأخرى التى تستعين بها الدولة لتنفيذ أهدافها ، كما تختلف عنها فى أنها تعتمد على المبدأ النفعى .

تخرج ايتوهيروبو مى فى معهد شوكا سونجيكو Shoka Sonjuku الذى أسسه يوشيدا شوين Yoshida Shoin ، وعمل على البقلل من التبجيل الذى كان يكنه الشعب للامبراطور ، كما سعى الى توظيف الامبراطور كأداة يمكن بواسطتها اقامة دولة موحدة قوامها النظام الامبراطورى . وكان مورى ارينورى Mori Arinori - أول وزير للتعليم فى اليابان ومؤسس ميروكوشا Meirokusha جمعية الميجى (٦) (٤)

يرى « أن الامبراطور أداة لا يمكن الاستغناء عنها ، وهو أحد مصادرنا العظيمة » (٥) التي تسهم في بناء دولة قوية غنية .

وكتب المفكر المستنير فيكيوزاوا يوكيتشي Fukuzawa Yukichi في أوائل فترة حكم الميجي Meiji يقول في كتابه Bunmeiron no gairaku (خلاصة الحضارة) ، الذي نشر عام ١٧٨٥ ، « ان عودة الامبراطور لممارسة سلطته لا يجب أن تكون مجرد عودة الأسرة الحاكمة الى ممارسة سلطتها والا كان الأمر يبدو وكأن هذه الأسرة الحاكمة تقف بجانب قوة المعرفة التي اكتسبها جميع أفراد الشعب » (٦) . وفي كتاب Teishitsuron (في الأسرة الحاكمة) الذي نشر عام ١٨٨٢ ، نجيب فيكيوزاوا الاشارة الى النظرة الأسطورية للتاريخ حيث قال « أشعر بالحرع لعدم درايتي بتاريخ عصر الآلهة » . وبذلك أكد على فكرة امكان قيام الامبراطور « بالتوفيق بين كافة التيارات السياسية المتصارعة » ، اذ كان يرى أن ذلك من شأنه تعزيز مكانته بقدر كبير (٧) . ويتضح لنا من ذلك أن ايتو Ito ومورى Mori وفيكيوزاوا Fukuzama كانوا يؤيدون نظرية الأداة أي أن الامبراطور مجرد أداة .

كما عرفت استعادة الميجي Meiji Restoration ازدواجية الرأى . فكان هناك رأى يطالب بالاتجاه نحو الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، ورأى آخر يطالب بدعم القوى المطلقة تحت لواء الامبراطور . واحتج أصحاب الرأى الأول على الاستبداد بالقوة ، وتساءلوا عن المعنى الحقيقي للاستعادة . وظل السؤال يتردد من وقت لآخر : هل كانت استعادة الميجي ثورة كاملة ؟ وكانت الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات هي التي طرححت هذا التساؤل . وعبر طوكيو تمي سوهو Tokutomi Soho عن ذلك الرأى . وعندما انتشرت الأفكار الليبرالية (heiminshugi) فى التسعينيات من القرن التاسع عشر ، عبر طوكو تومي عن اعتقاده فى ضرورة اجراء تغيرات أخرى ، فقال « لقد حان الوقت للقيام بثورة استعادة أخرى » (٨) . وكان تاكيكوشى يوسابيرو Takekoshi Yosaburo يقول بأن الهدف النهائى للثورة انما هو خلق مجتمع جليد تماما ، وهى مهمة خليقة بالشعب اليابانى أن يقوم بها .

وتأثر كيتا آكى Kita Ikki بأراء تاكيكوشى عن التاريخ والثورة والامبراطور . ويتساءل كيتا فى كتاب له بعنوان Kobutairon Oyolu junsei shakaishugi « السياسة القومية والاشتراكية » (١٩٠٦) عن المعنى الحقيقى لثورة الاستعادة ، فيقول « لم تنجح ثورة الاستعادة الا فى تحطيم الارستقراطية ، ولكنها لم تنجح فى بناء ما هدمته .

وكل ما نجحت فى تحقيقه هو أحداث دوى هائل ، وكان زعماء الاقطاعيات على رأس أولئك الذين قاموا بعملية الهدم أثناء ثورة الاستعادة ، كما كان لهم باع طويل فى قمع أتباع الديمقراطية (٩) . ويسهل علينا الآن فهم السبب الذى جعل الضباط الشباب يتبادلون فيما بينهم الكتاب الذى وضعه كيتا تحت عنوان Kaizo hoan Taiko Nippon (خلاصة خطة اعادة تنظيم اليابان) ، فى عهد حكم شوا Shōwa عام ١٩٢٠ . وقام أولئك الضباط بالانقلاب الفاشل عام ١٩٣٦ المعروف بحادث ٢٦ فبراير .

وتصف رواية Yoakemae (قبل الفجر) للروائى شيمازاكى طوسون Shimazaki Toson عام ١٩٣٥ حياة (٧) البطل ايوما هانزو (والد طوسون) الذى انحدر من أسرة عريقة بقرية ماجوم Magome إحدى قرى وادى كيسو Kiso . ويصبح البطل زعيما للقرية خلفا لأبيه ، فيقوم بواجبات الضيافة تجاه الأعيان والكبراء الذين يتوافدون الى قرية ماجوم . وكان البطل يتمسك بمذهب هيراتا Hirata الذى نادى بضرورة التعليم القومى ، فكان يأمل فى أن تعمل الاستعادة على تحقيق المساواة الاجتماعية فى اليابان ، ولكن آماله تحطمت . وعندما حالت واجباته دون مغادرته القرية للاشتراك فى حركة الاستعادة ، أصابه الجنون ، وادركته المنية وهو ملقى بحظيرة للماشية فى قرية ماجوم . وتميط هذه الرواية اللثام عن جوانب خفى من جوانب استعادة الميجى Meiji Restoration ، وتعرض لها بالنقد من وجهة نظر القرويين الذين كانوا يقطنون بإحدى قرى منطقة كيسو Kiso .

وإذا خطونا خطوة للأمام ، فسنعثر على مقال طريف ليوكتا كازوتومى Kazutami Ukita الأستاذ بجامعة واسيدا Waseda University بعنوان Daini ishinmo Kokuza Gokajo (خمسة مقالات عن السياسة القومية أثناء الاستعادة الثانية) . ومهدت أفكار يوكتا كازوتومى الطريق أمام الديمقراطية التى أرسى تاشيو Taisho قواعدها . ونشر يوكتا ذلك المقال فى جريدة تايو Taiyo التى كان يعمل رئيسا للتعريب بها . وفى ذلك المقال عرض يوكتا فكرة تقديم مثل أعلى جديد يحتذى به الشعب ، وطالب بحرية الكلمة ومنح الشعب المزيد من الحق فى الانتخاب ، والغاء الفوارق بين التعليم فى الجامعات القومية والتمائم فى الجامعات الخاصة ونشر المبادئ الدستورية . ووضع يوكتا تلك الأهداف نصب عينيه عندما قام بمراجعة الفقرات الخمس من ميثاق العهد Charter Oath - الذى وضعه الامبراطور عقب ثورة الاستعادة عام ١٨٦٨ - وذلك حتى يتمكن من وضع سياسة قومية ترمى الى تحقيق ثورة استعادة ثانية (١٠) .

وأنكر الامبراطور هيروهيرو Hirohito فى خطابه الذى أذيع فى يناير من عام ١٩٤٦ بمناسبة حلول العام الجديد ، أية صفة أسطورية أو الهية ترتبط بشخص الامبراطور ، كما أشار الى ميثاق العهد ، حيث أكد على اندماج هذا الميثاق ضمن ذلك الخطاب الذى ألقاه على الشعب عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية . وكان الامبراطور الذى حكم البلاد خلال ثورة الاستعادة عام ١٨٦٨ قد أرسى قواعد السياسة الديموقراطية التى أعطت الأولوية لمطالب الشعب ، عندما صرخ قائلا « سوف تتخذ كافة الاجراءات عن طريق المناقشة المفتوحة » ، وبذلك أعلن الامبراطور عن قبوله لمبدأ الديموقراطية المحلية . وأكد الامبراطور هيروهيرو على أن اليابان المهزومة فى الحرب ستحرص على تحقيق مبدأ الديموقراطية بصورة متكاملة (١١) .

ومما سبق يتضح لنا القلق المستمر الذى صاحب استعادة الميجى ، ومازال يسيطر على تاريخ اليابان المعاصر . واعتبر النقاد أن ثورة الاستعادة إنما هى ثورة لم تكتمل ، وتشككوا فى نوعية تلك الثورة ومعناها والنفيرت التاريخية التى أحدثتها ، لذا طالبوا بالعمل على قيام حركة استعادة ثانية "Second Restoration" . ولكن حكم أولئك النقاد بأن ثورة الاستعادة لم تكتمل هو حكم لا يقتصر على ثورة الاستعادة وحدها ، بل كثيرا ما تنسحب صفة « عدم الاكتمال » على ثورات أخرى . بل كثيرا ما يتشكك البعض فى الأهداف التى حققتها الثورة ويتساءل ماذا كانت تعنى تلك الثورة . ويمكن القول بأن ثورة ١٩٤٩ كانت استكمالاً لثورة ١٩١١ بالصين ، وأنها أخذت على عاتقها تنفيذ بقية المهام التى بدأت ثورة ١٩١١ فى تنفيذها . وعرفت دول أخرى هذا النوع من الثورات المتصلة أو التكميلية .

وتتعلق النقطة الثانية بموضوع إعادة توجيه أو إعادة تشكيل الشخصية اليابانية ، أو ما يطلق عليه « تكوين الشخص اليابانى الجديد » ، وأفكار العديد من المربين والمفكرين المستنيرين المتعلقة بقضية النهوض بالبلاد ومسايرتها لطابع العصر . وعندما انطلقت اليابان نحو بناء دولة حديثة تسير طابع العصر ، عقب قيام ثورة استعادة الميجى Meiji Restoration ، وجست نفسها تواجه مشكلة (تثقف) الناس حتى يفهموا السياسة الجديدة التى وضعتها الدولة ، ويعملوا على تنفيذها . ويشير البروفسر ناجاى متشبو Nagai Michio الى ذلك بقوله « ان الحكمة استثمرت أعظم مواردها فى تثقف الناس الذين سيعملون على خدمة الثورة الصناعية . وأكدت سياسة الحكومة على ضرورة اكتساب

المعرفة المتعلقة بالأساليب والأنظمة الاجتماعية والمؤسسات التي لها علاقة
بالاقتصاد والسياسة .

وتجدر الإشارة الى أنه بجانب الجامعات الحكومية أو القومية ، فقد
انتشرت حركة فكرية نشطة بين الأفراد وفي الجامعات الخاصة ، وركزت
تلك الحركة الفكرية على تكوين شخصية المواطن الياباني ، وعملت على
احداث ثورة في مشاعر اليابانيين تجاه القيم وفي نظرتهم للناس والحياة .
وبرز أناس من الجامعات الخاصة رفضوا أن تكون نظرتهم للنهوض بالبلاد
مقصورة على الثورة الصناعية فقط ، بل اعتقدوا أن عملية تحويل المجتمع
المغلق التقليدي الى مجتمع حديث انما تتطلب ثورة ثقافية - تكون بمثابة
ثورة في القيم .

وصف فيكيوزاوا يوكيتشي Fukuzawa Yukichi الحضارة ذات
مرة بأنها شيء تشارك روح الشعب في صنعه وحض فيكيوزاوا اليابانيين
على ان يكون لديهم احساس مرهف للنقد ، وأن يحرروا فكرهم وسلوكهم
من قيود التقاليد الجامدة . كما أكد على حاجة اليابانيين الماسة الى النزعة
المنطقية حتى يتمكنوا من النظر الى البيئة الطبيعية والاجتماعية نظرة عملية
منطقية . ولم يقصد الاكتفاء باستيعاب الانجازات العلمية والتكنولوجية
الغربية ، بل كان من الضروري - في رأيه - أن يوجد أناس قادرين على
استيعاب العلم بل وقيامهم بوضع أسس العلم الطبيعي والاجتماعي
والتكنولوجي بأنفسهم . وسعى فيكيوزاوا الى الاستفادة من الازدواجية
التي كانت تشمل جميع مظاهر الحياة في اليابان ، والاتجاه بها ناحية المذهب
النفسي للنهوض بالبلاد . وبذلك قسم لنا رؤية للشعب الياباني الجديد
الذي يتمتع بالحرية والاستقلال والحكم الذاتي واحترام النفس - وهي
العناصر الضرورية التي لا يمكن لمجتمع قوى متحضر الاستغناء عنها .

كان ناكومورا ماساناوا Nakamura Masanao واحدا من
المفكرين البادزين الآخرين . وأرسلته حكومة باكوفو Bakufu الى إنجلترا
ليتولى مسئولية فريق من الطلاب . ولم يعد الى اليابان الا في عام ١٨٦٨ ،
بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، وانهزمت قوات طوكوجاوا Tokugawa
على يد قوات الامبراطور . وترك ناكامورا ايدو Edo بعد سقوط حكومة
طوكوجاوا ، وعمل استادا في أكاديمية شيزوكا Shizuoka التي تأسست
حديثا ، وكان يعتقد أن النظام الجديد سيعود عليه بالخسارة . كما رأى
خاكامورا أن إنجلترا - في العصر الفيكتوري - هي النموذج المثالي الذي
يتعين على اليابان الاقتداء به . وكان يقدر الضمير الانساني الذي هو
بمثابة صوت الرب داخل الانسان تقديرا كبيرا ، وحض اليابانيين على أن

يسلكوا مسلك الرجل العصامي المنتج الذي يحترم العمل الجاد ، وناشدهم
بضرورة القيام بحركة اصلاح انسانية فى اليابان . وقام ناكامورا بترجمة
كتاب صمويل سميلز Samuel Smiles بعنوان « ساعد نفسك »
(Saigoku riskiken) ، وحقق ذلك الكتاب رواجا كبيرا فى اليابان (فقد
بيعت منه مايون نسخة) ، وكان له تأثير واسع فى البلاد .

يقول ناسيما Neesima jo - مؤسس جامعة دوشيشا - بأن
حفنة من الأبطال لاتمثل الدعامة التى تعتمد عليها الأمة ، بل تكمن قوة
الأمة فى قدرة شعبها على التنظيم . والشعب هو ضمير الأمة . وعبر ناسيما
عن آماله فى أن يكون باليابان شعب من هذا الطراز (١٢) .

وشارك جميع المفكرين الذين تعرضنا لهم بأفكارهم فى بناء اليابان ،
وأجمعوا على أهمية الموارد الانسانية ، وأكدوا على ضرورة ظهور الرجل
اليابانى المنتج ذى العقلية المستقلة الذى يساعد على النهوض بالمجتمع
اليابانى وبناء كيان قومى مستقل وحديث ، يعمل على نمو الاقتصاد القومى
وتحقيق الثورة الصناعية فى اليابان . وقد قام أولئك المفكرون بواجبهم
نحو تثقيف وتدريب عينة جديدة من اليابانيين بعيدا عن نطاق الحكومة .

اتعلق النقطة الثالثة التى أود أن أعرض لها بموضوع اختيار
النموذج المثالى التى تسعى البلاد لتحقيقه عندما تأخذ بأسباب التقدم ،
كما ترتبط هذه النقطة بقضية الاستمرار أو الانفصال عن التقاليد .
اعترضت مشكلة اختيار أفضل النماذج المثالية الغربية التى تناسب
اليابان ، وكذلك مشكلة تحديد النماذج التى يتعين على اليابان الاحتفاظ
بها وتلك التى يتعين عليها نبذها ، اعترضت تيارات الفكر والتحول الثقافى
التي شهدتها البلاد بعد استعادة الميجى Meiji Restoration . وتحول
أولئك الذين أرادوا ادخال الثورة على وجدان ومشاعر اليابانيين تجاه القيم ،
الى الغرب لنقل النماذج المثالية عنه ، ولكنهم لم يسعوا الى نقل الأفكار
والمؤسسات الغربية المعاصرة . فقد غض كثيرون من مفكرى ثورة الاستعادة
أنظارهم عن أفكار ونظريات القرن التاسع عشر ، ونظروا الى عهد التنوير
الذى ساد أوروبا خلال القرن الثامن عشر ، على اعتبار أن ذلك العهد كان
يمثل أفضل النماذج المثالية التى يمكن لثورة اليابان أن تسير على هديها
فيما يتعلق بالقيم .

كثيرا ما أشار تاكيكوشى يوسايبو Takekoshi Yasaburo
ويشيميرا كانزو Uchimura Kanzo - الفكر الدينى البروتستانتى -
وكينوشيتا نواى Kinoshita Naoe - لاذى كان لكتابات المناوئة
للحرب أثر كبير على طبقة المثقفين فى اليابان - الى أفكار أوليفر كرومويل

Oliver Cromwell الذى سطع نجمه فى سماء ثورة المتطهرين (Puritans) التى قامت فى انجلترا فى القرن السابع عشر . ونظر أولئك المفكرون الى كرومويل على أنه خير من جسد القيم الجديدة . ومن الطريف أن نذكر أن مثقفى ثورة الاستعادة لم يشأوا أن يختاروا نموذجهم من شخصيات ولايات الشمال الأمريكى التى عاشت فى أواخر القرن التاسع عشر ، وذلك عندما وجهوا أنظارهم شطر أمريكا لاختيار أفضل النماذج منها ، بل ركزوا انتباههم على أخلاقيات وأسلوب معيشة المتطهرين (Puritans) الذين عاشوا فى مجتمع نيوانجلند فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . وعندما بحث أولئك المفكرون عن أناس يمكن محاكاتهم فى المجتمع الانجليزى ، تغاضوا عن الطبقة الارستقراطية وطبقة أصحاب الأطميان التى عاشت فى العصر الفيكتورى ، وكان النموذج الذى يحتذونه هو الرجل العادى الذى ينتمى الى الطبقة العاملة ، ويطمح فى أن يكون « جنتلمانا » عن طريق العمل الجاد المنتج وضبط النفس .

فلا غرابة فى أن يقوم رجل مثل ناكامورا ماساناو Nakamura Masanao بترجمة كتاب « ساعد نفسك » لصمويل سميلز . وكان قادة الفكر فى عهد استعادة الميجى يدققون فى فحصهم للمجتمعات الغربية . فقد كانوا يبحثون عن قيم معنية عند اختيارهم للنموذج الذى يسرون على هديه . وعند اختيار اليابانيين للنموذج المثالى الغربى لنظامهم الدستورى أو للمؤسسات الاجتماعية الحديثة ، كانوا يعدلون النموذج الذى يختارونه حتى يتناسب مع احتياجاتهم . فقد كانوا يصفون عليه صبغة يابانية ، ويجعلونه يعمل بطريقة يابانية . ولم يوص أكثر مفكرى الميجى Meiji رجاحة فى العقل بنبد تقاليد اليابان نبدا تاما .

أثار كتاب كوزاكى هيروميتشى Kozaki Hiromichi بعنوان Seikyo Shinson (بحث جديد حول تعليم الأخلاق والدولة) عام ١٨٨٦ ، اهتمام المثقفين والشباب فى أواخر القرن التاسع عشر . فقد تناول كوزاكى فى هذا الكتاب الجوانب الاجتماعية والسياسية والتعليمية للمذهب الكونفوشى بالنقد والتحليل . كما تعرض بالنقد للجانب الأخلاقى الذى يؤيد فكرة التسلسل الطبقي فى اليابان ، وامتدح الجانب التعليمى الذى يوصى بالتعليم الذاتى وضبط النفس والبحث عى الحق والعدل . وأكد كوزاكى على أن ذلك الجانب التعليمى من المذهب الكونفوشى يتماشى مع المسيحية ، وذلك رغم أن كوزاكى كان يرى ضرورة احلال المسيحية محل الكونفوشية فى خلق علاقات اجتماعية جديدة فى روح شعبية جديدة . وبعبارة أخرى ، فقد استطاع كوزاكى التعرف على بعض ملامح الاستمرارية

داخل نطاق القيم الأخلاقية التي كانت تربط المجتمع الاقطاعي الكونفوشي ، كما فرق بين الاخلاقيات التقليدية التي ينبغي نبذها ، وتلك التي ينبغي التمسك بها للحفاظ على استمرارية التورة والتطور القومي . واهم يومورا ماساهيسا - أحد مفكرى الكنيسة البروتستانتية الكبار - بقضية الفكر الياباني التقليدى . وبعد مناقشة مدرسة وانج يانج - منج Wang Yang-ming الكونفوشية ، أكد يومورا على أهمية الضمير والتطلعات الأخلاقية أو الروحية التي تمثل قوى داخلية تؤثر على تكوين الفرد المستقل . وقال يومورا بأن الأفكار هي التراث الروحي الذى يرثه اليابانيون عن أسلافهم (١٣) .

ولا ننسى الجهود الفاتقة التي بذلها ناكاي تشومين Nakae Chomin لنشر الأفكار السياسية الفرنسية المتعلقة بحقوق الفرد ، فقام بترجمة كتاب العقد الاجتماعي ونظرية الحرية والحقوق الشعبية للمفكر الفرنسي روسو Rousseau . ويعد ناكاي من مؤسسى الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات . ودرس ناكاي المذهب الكونفوشي فى شبابه ، ووصف طاعة المرء للعهدس الموجود بداخله (نداء الضمير) بأنه الذات الحقيقية ، وآمن بأن مفهوم وحدة المعرفة والعمل ضروريان لتكوين شخصية الانسان . وعندما قبل تشومين مبدأ الحرية ، كان فهمه لهذا المبدأ قائما على انضباط النفس الأخلاقى المتأصل فى الفكر الشرقى .

ويعد كتاب Hdhimura Kanzo (ممثلو اليابان) الذى وضعه يوتشيمورا كانزو Uchimura Kanzo ، مثالا طيبا آخر ، فقد رفض يوتشيمورا الاعتراف بأن الامبراطور أو المرسوم الامبراطورى الخاص بالتعليم يمثلان قيما دينية شبه مقدسة ينبغي تبجيلها واعتبر الوطنيون أن ذلك يمثل عيبا فى الذات الملكية ، فهاجموا يوتشيمورا بسبب موقفه هذا . ووضع يوتشيمورا تصورا للإصلاح القائم على القيم الدينية المسيحية ، ولكن ذلك الإصلاح لم يعتمد بالضرورة على القيم الجديدة كل الاعتماد . وقال يوتشيمورا بأن التقاليد اليابانية تحتوى بالفعل على عناصر يمكن الاعتماد عليها لتحويل المجتمع الياباني الى مجتمع حديث . وقد استشهد فى كتابه ببعض الشخصيات التي جسدت تلك العناصر . فنحن نجد رجل السياسة الذى كان يؤمن بأنه من أجل تحقيق العدالة ينبغي بذل أية تضحية ، حتى لو اقتضى الأمر الى التضحية بالدولة ذاتها (ساحو تاكامورى) . ونجد السيد الاقطاعى الذى حاول القيام بالإصلاح الاجتماعى على أساس التخلص من الطفيلين ، وذلك طبقا للمبدأ القائل بأن « من لا يعمل لا يأكل » (بوسوجي يوزان) . ونجد المزارع القدس الذى أحدث بقانونه الأخلاقى النبيل اصلاحا اجتماعيا يعبد الأثر فى الحياة

الريفية (نينوميا سونطوكي) • ونجد المعلم القروي الذي كان يرى أن الإصلاح إنما يتأتى من الاعتقاد الراسخ بالحقيقة الخالدة السامية ، وكان ينظر الى جميع تلاميذه - سواء أكانوا من أبناء السادة الاقطاعيين أو من أبناء المزارعين الفقراء - على أنهم بشر ينبغي المساواة بينهم جميعا (ناكاي توجو) • كما نجد الرجل المؤمن الذي لم يخش قوة على ظهر الأرض (فتشيرين) • وقد ترك يوتشيمورا كانزو بصماته على التاريخ الفكرى حين استخرج من قلوب اليابانيين العناصر التقليدية التى حملت فى طياتها القيم الانسانية العامة ، كما طالب فى الوقت نفسه التقليديين بضرورة تغيير أنفسهم •

تمتع المثقفون بحرية الاستقلال عند اختيارهم للنماذج المثالية الغربية ، وعند اتخاذهم للقرارات المتعلقة بالتقاليد الثقافية والفكرية • وقد جرى فحص تلك النماذج لاختيار أفضل النماذج التى تساعد على النهوض بالبلاد • وقد بذل المثقفون جهودا خاصة للعثور على العناصر التقليدية التى تتواءم مع احتياجات اليابان الحديثة •

وتتعلق النقطة الرابعة التى أود مناقشتها بموضوع آسيا ، والتأثير المتبادل للثورات وحركات التحرير على شعوب منطقة شرق آسيا • فقد كان لاستعادة الميجى Meiji Restoration تأثير كبير على قارة آسيا • فاذا بدأنا بالصين ، فسنجد أن سن يات - سين Sun yat-sen قام بتأليف كتاب عام ١٨٩٤ بعنوان رسالة موجهة الى لي هانج تشانج "Li Hung-Chang" عبر فيه عن اعجابه بثورة الاستعادة ، وذكر فيه أن تلك الثورة مهت الطريق أمام قيام الثورة الصينية ، وأن الثورة الصينية كانت الخطوة التالية التى اكتملت بها ثورة الميجى • وهو يرى أن استعادة الميجى نجحت لأن المجاهدين المخلصين (shishi) الذين عاصروا سنوات حكم باكوماتسو Bakumatsu قد ساروا على هدى أفكار وانج يانج مينج Wang Yang ming المتعلقة بوحدة المعرفة والعمل • كما أنهم اتبعوا سياسة الانفتاح واستجابوا بصورة ايجابية للثقافة الغربية ، وكانوا يحرصون على مصلحة بلادهم •

وكان سن Sun يعلم بأن يرى اليابان والصين - تلك الدولتين الشقيقتين ذات الثقافة والجنس المشترك - تتعاونان من أجل تحرير قارة آسيا من الاستعمار الجاثم على صدرها ، ورفع شعار « آسيا للأسيويين » • وناشد اليابانيين بأن يسعوا نحو تحقيق ذلك الهدف • ولكنه ندب (١٤) حظ اليابانيين بعد أن حادوا عن اتباع الحق والعدالة الاجتماعية، وتسلحوا

بإسلاح الظلم ، فقهروا الشعوب الأخرى وأخضعوها لسيطرتهم ومحقوها من الوجود (١٤) .

وعلى أية حال ، فقد كان لاستعادة الميجي Meiji Restoration أثر كبير على الثورة الصينية التي قامت عام ١٩١١ . وكان كثير من المفكرين اليابانيين يعرفون سن Sun معرفة شخصية ، أمثال ميازاكي توتين Miyazaki Toten الذى ظل يؤيد الثورة الصينية . وقد مكن ميازاكي سن يات - سين Sun Yat-sen من معرفة المعنى الحديث لكلمة « الثورة » ، وبذلك أدخل على اللغة الصينية أسما مركبا . ونقل اليابانيون ذلك الاسم المركب عن الصينيين بعد أن أصبح جزءا من الفكر التقليدى فى الصين : - Kakumei (ومعناها الحرفى « تغيير الأسر الحاكمة ») وكان المعنى المرتبط بكلمة « الثورة » مستمدا من ثورة المتطهرين Puritan Revolution فى إنجلترا أو الثورة الفرنسية . وبذلك نرى أن اليابانيين استعاروا هذه الكلمة من الصينيين ، ثم أعادوها اليهم بعد أن ألبسوها معنى جديدا .

وتأثرت الهند باستعادة الميجي Meiji Restoration أيضا . وفى أول اجتماع لحزب المؤتمر الوطنى فى بومباى عام ١٨٨٥ ، عمل زعماء حركة الاستقلال على توحيد صفوفهم ، ونبذوا كافة الخلافات القبلية والطائفية والدينية واللغوية . ثم وقع حادث فى الفلبين كان له أثر كبير على فكر اليابانيين . فقد نشر سوهيرو تيتشو Suehiro Tetcho - الروائى والناقد والسياسى صاحب الأفكار الليبرالية - رواية عام ١٨٩١ بعنوان « اضطراب فى جنوب المحيط الباسفيكى » . وتناولت الرواية قصة جوزى ريزل Jose Rizal قائد الثورة فى الفلبين ، والكفاح الذى خاضته حركة الاستقلال الفلبينية لتحرير الفلبين من برائن الاستعمار الغربى . وكانت هذه الرواية نتيجة لقاء عابر بين سوهيرو وريزل عام ١٨٨٨ . وعندما نصح ريزل بترك الفلبين ، توجه الى اليابان ثم رحل الى الولايات المتحدة وأوربا . وكان سوهيرو على متن السفينة التى كان يستقلها ريزل متوجها الى الولايات المتحدة ، بعد أن قرر الفرار من اليابان والتخلص من اضطهاد السياسيين فى بلاده . وتحدث الرجلان عن القضايا التى تشغل بال كل منهما . ووصف ريزل الثورة فى بلاده ودوره فيها .

وعرف اليابانيون ما يجرى فى الفلبين عن طريق هذا الكتاب . وكان هذا الكتاب دعوة لليابانيين للاشتراك فى الكفاح من أجل استقلال دول آسيا ، والقيام باضلاحات ثورية ولم يلبث أن هاجر بعض اليابانيين الى تايلاند لمساعدة الحكومة التايلاندية على تحرير الشعب من السيطرة الاستعمارية . وفى نفس الوقت وضعت الحكومة اليابانية خطة لارسال

السلاح للفلبين لمساعدتها على الاستقلال . ووضع عدد كبير من المجاهدين
(shishi) خطة للتوجه الى مانيلا للاشتراك في الثورة هناك .

وهناك أمثلة عديدة تدل على التأثير المتبادل للثورة على بقية دول
آسيا . وتبقى كلمة أخيرة ، وهي أن ثورة الاستعادة ظلت ثورة لم تكتمل في
أعين أولئك الذين تعرضوا لها بالدراسة والتحليل ، ولكن تبقى الإشارة
الى أن كتبيين من مجاهدي الثورة قد أثروا على الحركات الثورية في بقية
قارة آسيا . واستغرقت الثورة وقتا طويلا حتى تكتمل وتطلع اليابانيون
في شوق الى القيام باصلاحات أخرى . وقد يفسر لنا هذان السببان
ترحيب اليابانيين ببرنامج الديمقراطية بعد الحرب ، - ذلك البرنامج
الذي جعل تأثير الثورة غير المكتملة يمتد خارج حدود اليابان .

مراجع وملاحظات :

Group founded in 1887, at the initiative chiefly of Toku- (١)
tomi Soho. It published a journal, Kokumin no Tomo
(The Nation's Friend), which was patriotic, opposed the
government's Westernization policy, and spread the libe-
ral, democratic ideas that Soho called heiminsugui.

Takekoshi Yosaburo, Shin Nihonshi (A New History of (٢)
Japan), Vol. 2 (Minyusha, Tokyo, 1892); Meiji bungaku
Zenshu (Collected Literature of the Meiji Period), Vol. 77
(Chikuma Shobo, Tokyo, 1965).

Inada Masatsugu, Meiji Kenpo seiritsushi (Establishment (٣)
of the Meiji Constitution.) Vol. 2 (Puhikaku, Tokyo.
1962) Takeda Kiyoko, "Tennosei shiso no keisei" (For-
mation of the Ideas Supporting the Emperor System), in
Iwanami Koza, ed., Nihon rekishi (History of Japan), Vol.
16 (Iwanami Shoten, Tokyo, 1967).

The Meirokusha (Meiji 6 Society), begun in 1873, publish- (٤)
ed the Meiroku Zasshi a journal of the Japanese enlighten-
ment). It was concerned with the introduction and
population of Western ideas through education and dis-
semination of knowledge.

Mori Arinori, "Kakugian" (Cabinet Plan), 1887, dictated (٥)
by Inoue Kowashi.

Fukuazawa Yukichi, "Ikkokujinmin no chitoku o ronzu" (٦)

(On the Intellect and Virtue of a Nation's People), Bunmeiron no gairyaku (Outline of Civilization), part 2, ch. 5, 1875.

Fukuzama Yukichi, "Teishitsuron" (On the Imperial (v) House) (1882).

Tokutomi Soho, Yoshida Shoin (Min'yusha, Tokyo, 1893). (٨)

Kita Ikki. Kokutairon oyobi Junsei shakaishugi (National Polity and Pure Socialism) (private publication, 1906); Kita Ikki chosakushu (Major Writings of Kita Ikki), Vol 1 (Misuzu Shobo, Tokyo), pp. 354-356.

Ukita Kazutami "Daini ishin no kokuze- gokajo" (Fine (١٠) Articles of the National Policy in the Second Restoration), Taiyo, no 6 (1913)

وفيما يلي المواد الخمس الرئيسية لميثاق عام ١٨٦٨ :

(أ) يشكل مجلس موسع وتتخذ فيه القرارات عن طريق المناقشات المفتوحة مع تسعيم حرية القول .

(ب) تحقيق التوافق بين الطبقات العليا والدنيا وتدعيم الاقتصاد والمالية وتوسيع حق الانتخاب واعادة النظر في قانونه والقضاء على الفساد في الانتخابات . (صدر قانون عام للانتخابات في عام ١٩٢٥ بعد ١٢ عاما من ظهور هذه المادة) .

(ج) يجب أن يحقق الموظفون المدنيون والعسكريون آمالهم حتى تهدأ خواطر الشعب ، ويلغى التفريق بين التعلم العام والخاص ويجدد نظام التعليم من أساسه .

(د) تتوقف الممارسات السيئة السابقة ، وتتخذ الاجراءات وفقا للعرف الدولي ، مع ابراز مغزى جديد للولاء الوطنى وتشجيع انتشار القيم الاخلاقية الدستورية .

(هـ) السعى وراء المعرفة في مختلف أرجاء العالم مع تدعيم أسس الحكم الامبراطورى والسمو بقيم الشعب وارساء أسس العدل في مختلف أرجاء العالم .

وينبغي أن نلاحظ أن مواد الميثاق الخمس قد وضعت وفقا لكتابات
يورى كيمى مائسا ، وهو مفكر من باكوتسو كان من أنصار فتح أبواب
البلاد وقد تأثرت أفكاره بأراء يوكوى شونان .

Takeda Kiyoko, Tennokan no sokoku — 1945 nen zengo (١١)
(The Dual Image of the Japanese Emperor : Before and
After 1945) (Iwanami Shoten, Tokyo, 1978), pp. 258-261.

Neesima (Nijima) jo, "Doshisha Daigaku setsuritsu o (١٢)
shu" (Ideas in Founding of Doshisha University), Neesima
Pamphlet, no 1 (Doshisha University Friends' Societu,
Kyoto, 1936).

Uemura Mosahisa, "O Yomei no risshi" (The Conscience (١٣)
of Wang Yang — ming), Fukuin shinpo, no 167 (1894) ;
Vol. 2 in Collected Works (Shinkyō — shuppansha.
Tokyo, 1966).

(١٤) مقالة عن اليابان كتبها داي لى تاو سكرتير يات سن وقد أصبح
بعد وفاة يات سن أحد أقطاب المفكرين الذين ساندوا فى الصين الكومينتانج،
وهو يعبر عن خيبة أمله المريرة فى اليابان . وقد ترجمت مقالته الى اليابانية
(١٩٦٨) يقول ان اليابان قد تحلت بروح عسكرية بعد الميجى اشن وأنها
اكتسبت عقلية تجارية مأكرة وان خيوط مؤامرة قام نسجت بين التجار
والبيروقراطية الحكومة والعسكريين وأدى ذلك الى ما يعرف بسياسة
العقرب التى هددت بالاعتداء على الصين ، أى أنه ادعى أن الصين قد وقعت
بين فكي الرحى اليابانية ، اذا فكرت اليابان فى التوسع شمال أو فى
التوسع جنوبا .

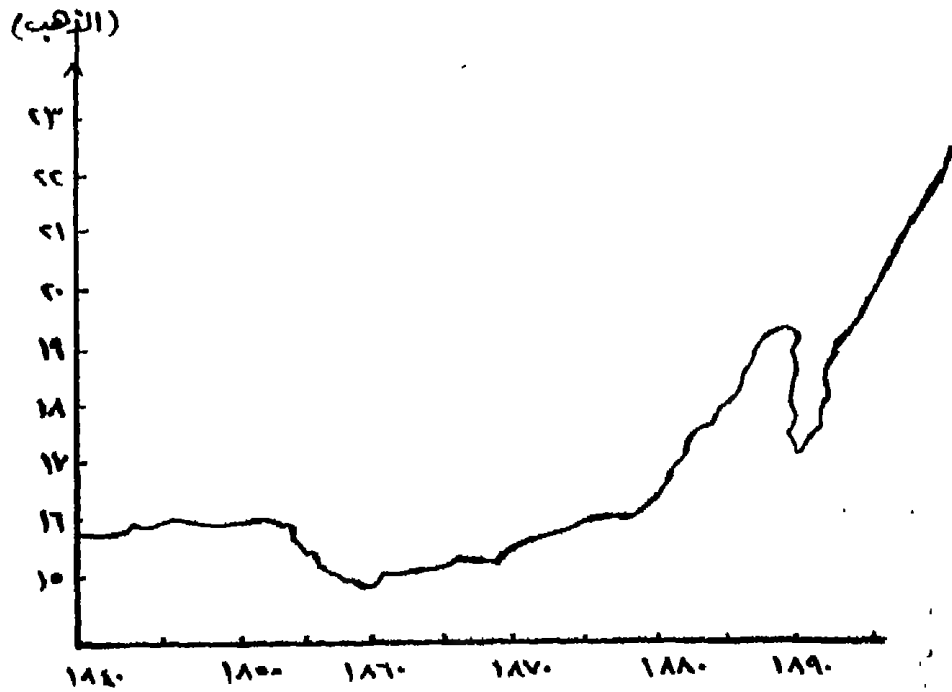
التاريخ الاقتصادى أثناء فترة الاستعادة

Nishikaka Shunsaku	بقلم نيشيكاوا شونساکو
Saito Osamu	وسايتو أوسامو
Keio University	جامعة كيو
H'etsubashi University	وجامعة هيتو تسوباشى
	طوكيو - اليابان

يبدأ التاريخ الاقتصادى الحديث فى اليابان باستعادة الميجى Meiji Restoration التى قامت عام ١٨٦٨ . ونظرا لأن استعادة الميجى لم تكن مجرد انقلاب ، فقد قضت على النظام الاقطاعى العتيق برمته ، وأقامت دولة قومية حديثة . هذا فضلا عن أن الاستعادة قد مكنت الدولة من وضع برنامج للأخذ بأسباب التقدم .

وهذا القول لا يعنى أن ثورة الاستعادة كانت الحد الفاصل فى التاريخ الاقتصادى اليابانى فى القرن التاسع عشر . فلا يمكن لأحد أن ينكر - مثلا - أن فتح موانئ اليابان عام ١٨٥٩ لم يقل أهمية عن ثورة الاستعادة ، بل يمكن القول ان ذلك الحدث قد جعل كثيرين من مسئولى الساموراي - الذين كانوا يعملون فى حكومة باكوفو Bakufu ، وأولئك الذين كانوا يقطنون الاقطاعات القوية بجنوب غرب اليابان (seinan Yuhan) ويشغلون المناصب العليا والمناصب الدنيا - يؤمنون بضرورة الحاجة الى "fukoku kyohei" أى النهوض بالبلاد وتسليحها تسليحا قويا ، وذلك حتى تتمكن من الوقوف على قدم المساواة مع القوى الغربية . وأدى ذلك بدوره الى اسقاط حكومة

طوكو جاوا ونظام الحكام العسكريين Tokugawa shogunate ، والقيام
 باصلاحات الميجي Meiji المتعددة. ودخلت اليابان ميدان التجارة الدولية،
 فكان لذلك أثره على اقتصادها فعندما أقدمت اليابان على فتح الموانئ بمقتضى
 الاتفاقيات التى عقدها مع بعض القوى الغربية ، أدرك التجار اليابانيون أن
 سوقا كبيرا قد فتح أمام منتجاتهم ، وأن تجارتهم ستعود عليهم بالربح الوفير .
 وطبقا للتقديرات التى أوردها ياسوبا Yasuha فى كتاب له بعنوان
 « الملامح البارزة فى النمو الاقتصادى اليابانى بعد فترة حكم الميجي
 "Meiji Era" ، فان التجارة قد شهدت تحسنا يقدر بنحو ٢٠٠ بالمائة
 فى الفترة من عام ١٨٥٧ الى عام ١٨٦٥ ، وبنحو ٨٠ بالمائة فى الفترة من
 عام ١٨٦٥ حتى عام ١٨٨٠ . ويذكر لنا ج . ر . هوبر J. R. Huber
 فى مقال له بعنوان « دخول اليابان عالم التجارة الدولية وأثره على الأسعار
 أن الدخل القومى فى اليابان قد زاد بمقدار ٥٦ بالمائة فى الفترة من عام
 ١٨٤٥ الى عام ١٨٧٩ بعد دخولها عالم التجارة . ويجدر بنا الانتباه الى
 النسب المتغيرة للفضة والذهب فى السوق الدولية منذ أواخر السبعينات
 باعتبارها احدى العوامل التى ساعدت على دعم الصناعات التصديرية فى
 اليابان (انظر الشكل رقم ١) ورغم تلك التحفظات ، فمما لا شك فيه أن
 اقتصاد اليابان بدأ ينمو منذ أوائل الستينيات من القرن التاسع عشر .



شكل رقم (١)

يوضح الشكل رقم (١) نسبة الفضة للذهب فى لندن . انظر كتاب تاريخ العملات
 فى الفترة من عام ١٢٥٢ حتى عام ١٨٩٤ (Wilson and Milne) لندن ١٨٩٥ . ص ١٥٩

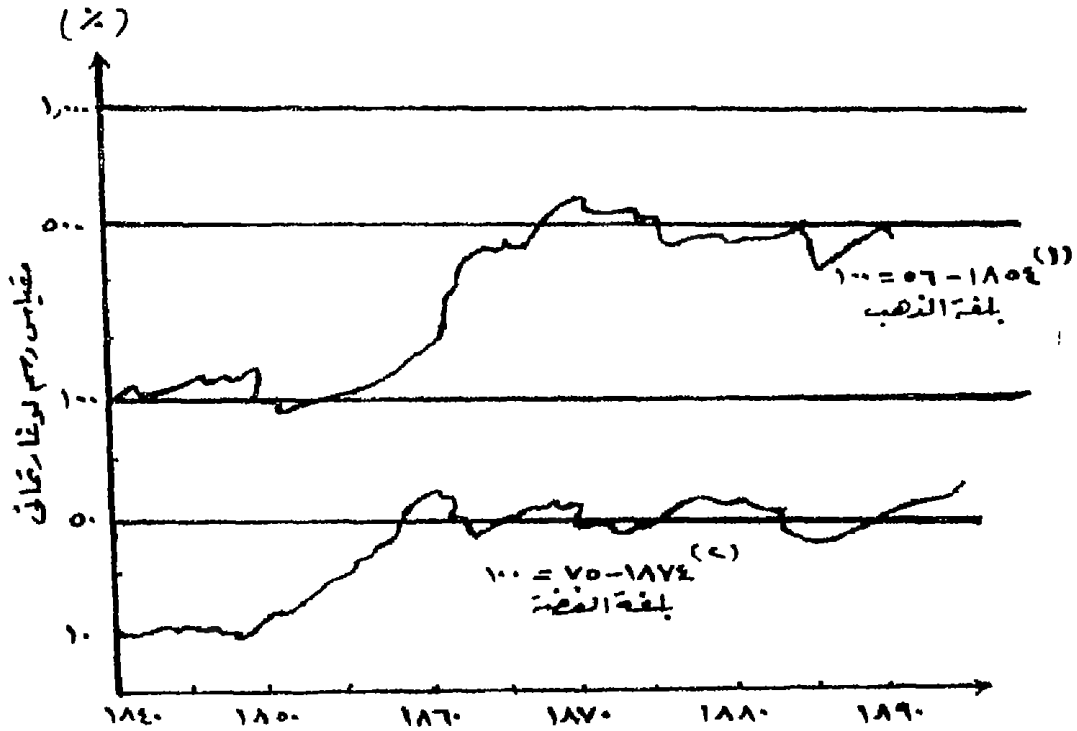
كما ينبغي لنا الاهتمام بفترة الثمانينات أيضا ، لأن تلك الفترة شهدت النمو الاقتصادي الحديث بالمعنى الكوزنيتسى Kuznetsian ولا يمكننا تحديد تاريخ معين لبدء النمو الاقتصادي وذلك بخلاف الاستعادة أو فتح الموانئ ، فتواريخها معروفة لنا جميعا . ولكن كل ما نستطيع قوله هو أن الانكماش الاقتصادي الذي عرفته البلاد على يد متسوكاتا Matsukata قد انتهى في الثمانينات .

ويقول اوهكاوا Ohkawa وروزوفسكى Rasovsky في هذا الصدد :
بدأ النمو الاقتصادي الحديث في اليابان في منتصف الثمانينات تقريبا وكانت الخمس عشرة سنة التي أعقبت الانكماش على يد متسوكاتا ، تمثل فترة متصلة من التطور الصناعي الحديث . وكان غزل الحرير والقطن من أهم الانجازات التي حققها القطاع الخاص ، بينما قامت الحكومة بتعبئة الطرق ، ومد السكك الحديدية ، والأشغال العامة . وبحلول عام ١٩٠١ كان ناتج المصانع يمثل ما يقرب من ١٠ بالمائة من صافي الناتج القومي وكان اجمالي رأس المال المحلي الثابت يزيد على ١٠ بالمائة من اجمالي الناتج القومي . وكانت الصادرات تمثل ١٠ بالمائة من اجمالي الناتج القومي .
وتبين لنا كل هذه المؤشرات الزيادة التي شهدتها البلاد في العقد الأول من القرن العشرين .

لذلك فمن الأسلم وصف استعادة الميجي Meiji Restoration بأنها فترة ، وليست حدثا منفردا في التاريخ الاقتصادي . ويمكن القول بأن فترة الاستعادة استمرت من عام ١٨٥٩ حتى عام ١٨٨٥ .

وهناك عدة مظاهر للاستعادة . وأول هذه المظاهر هو أن فترة الاستعادة كانت فترة تضخم ونمو بالمعنى الحقيقي للكلمة . وغنى عن القول أن فتح الموانئ تسبب في خروج الذهب من البلاد بكميات كبيرة ، وأن الاجراءات التي اتخذتها حكومة باكو فو لمواجهة هذه الأزمة المالية - والتي تمثلت في خفض قيمة العملة المالية على يد مانين Man'en عام ١٨٦٠ - أشعلت نيران التضخم . واستمر التضخم حتى عام ١٨٦٩ ، واستقرت الأسعار لفترة من الزمن ، ثم ما لبث التضخم أن أمسك بخناق البلاد مرة أخرى في أواخر السبعينات (انظر الشكل ٢) . ورغم ارتفاع الأسعار ، فقد شهد الاقتصاد المحلي نموا حقيقيا بفضل زيادة صادرات المنتجات الريفية ، ولا سيما حرير القز والشاي . وفي الحقيقة فإن هذين السلعتين كانا يمثلان ما يزيد على ٥٠ بالمائة من اجمالي الصادرات في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر . وجدير بالذكر أن النمو التضخمي لم يستمر دون توقف ، فقد توقف بفضل الانكماش الاقتصادي على يد متسوكاتا Matsukata ، عندما وصل النمو الاقتصادي في اليابان الى

« نقطة الصفر » ويمكننا أن نطلق على تلك الفترة بأنها كانت فترة نمو اقتصادي ، ان لم تكن فترة نمو اقتصادي بالمعنى الحديث للكلمة .



يوضح الشكل ٢ الأسعار في أوساكا Osaka

أما المظهر الثاني من مظاهر الاستعادة فهو أن فترة الاستعادة كانت فترة اصلاح . فقد رفعت قيود كثيرة كانت مفروضة على النشاط الاقتصادي، رغم أن كثيرا من هذه القيود كانت قد فقدت فاعليتها بالفعل . وأزيلت كافة نقاط التفتيش من الطرق الرئيسية ، كما تم حل النقابات ورفع القيود التي فرضت على الحركة المهنية ، وسمح للفلاحين بزراعة أي نوع من أنواع المحاصيل يرغبون فيه ، وبيع أو شراء أية أراض زراعية .

وسعت حكومة الميجي Meiji الى اعضاء الطابع الغربي على كافة المؤسسات ، فعملت على تطبيق النماذج المثالية الغربية على نظام الضرائب والنظام المالي والمصرفي والبورصة ونظام الاتصال والتعليم والجيش والبحرية .

واخيرا تم حل نظام (باكوفو الاقطاعى - Bakuhan) - ذلك النظام الحاكم القديم . واستتبع ذلك احلال gunhen محل hoken - مما ساعد على الغاء السلطة والاستقلال الذاتى الذى كان يتمتع به حوالى ٣٠٠ han وحلت ضريبة الاطيان التى تدفع نقدا محل الضرائب الاقطاعية القديمة كما استتبع حل نظام باكوفو الاقطاعى ، صرف معاشات للسادة الاقطاعيين daimyo ولطبقة الساموراي السابقة ، مما خفف من العبء المالى الذى كانت الحكومة تتحمله ، وجعل طبقة الساموراي السابقة أكثر تقبلا للنظام الاقتصادى والاجتماعى الجديد .

ونجدد الاشارة الى أن التحول من نظام (الاقطاع اللا مركزى - hoken) كان تحولا ثوريا الى نظام (سلطة القوة gunkun) كانت له آثار بعيدة المدى . فقد ساعد ذلك التحول على خلق دولة قومية ، ومن ثم اقتصاد قومى متماسك . وكان ذلك التحول يعنى تغيرا فى انسياسة الاقتصادية ، بعد أن تغيرت عملية صنع القرار . فبعد أن كانت بالبلاد اقطاعيات كثيرة مختلفة ، تقوم كل اقطاعية منها بوضع برامج اقتصادية مختلفة ، أصبح بإمكان حكومة الميجى Meiji المركزية وضع خطة اقتصادية متماسكة ومنظمة . وبذلك يمكن القول بأنه قد أصبح بمقدور الحكومة اتباع سياسة الثروة والقوة العسكرية - "fukoku kyohei" بعد ذلك التحول الذى طرأ على مؤسسات الدولة .

لا يعنى هذا أن عملية الاصلاح كانت تسير فى اتجاه واحد . فلم تكن كل سياسة او كل اصلاح قامت به الحكومة فى تلك الفترة يهدف الى تحقيق أهداف سياسة fukoku kyohei الكبيرة ، بل اتبعت الحكومة سياسة الخطأ والصواب فى تلك الفترة . فاحيانا كان الاصلاح يؤدى الى اصلاح آخر . ولم يكن الاصلاح الجديد خطوة للأمام لتحقيق هدف معين فى جميع الحالات . وجددير بالذكر أن حكومة ميجى Meiji استمرت فى تطبيق بعض النظم التى كانت حكومة طوكو جاواياكوهان Tokugawa bakuhan تطبقها . فنحن لا نعرف السبب الذى دفع الحكومة الى رفض مشروع لانشاء بنك مركزى من طراز بنك انجلترا ، فى الوقت الذى وافقت فيه على اقامة نظام مصرفى لا مركزى على غرار النظام المصرفى الأمريكى عام ١٨٧٢ . كما لا نعرف السبب الذى جعل أكوبو Okubo - أحد قادة الميجى الاكفاء الذى كان على دراية واسعة (بزيادة الانتاج وتعزيز الصناعة - Shokusan Kogyo) لا يعلق أهمية كبيرة على الدور الذى لعبه كوبوشو Kobusho (قطاع الصناعة) الذى أشرف على اقامة عدد كبير من المشروعات الحكومية الا فى عام ١٨٧٩ لتحل محل المشروعات والتكنولوجيا الغربية .

وبير هذه النقطة الأخيرة القضية التالية : هل كانت السياسات الصناعية والنقدية التي اتبعتها حكومة مييجي Meiji في بداية عهدها مثل نقطة انطلاق حقيقية أم لا ، وهل كانت تلك السياسات ترتبط بقضية التواصل بين التاريخ الاقتصادي لامييجي Meiji والتاريخ الاقتصادي لحكم طوكوجاوا Tokugama ؟

التواصل بين التاريخ الاقتصادي للمييجي Meiji والتاريخ الاقتصادي لحكم طوكوجاوا Tokugama :

لابد لنا أن نبدأ بالمعنيين المرتبطين بموضوع التواصل . ويمكن النظر الى المعنى الاول للتواصل من منظور العصر الحديث . كما يمكن النظر الى المعنى الثانى للتواصل من منظور الماضى . وقال مارك بلوتش Marc Bloch ذات مرة ، بأن المؤرخين مولعون بالأصول ، فان لم يستطيعوا تتبع أصول التنمية المعاصرة خلال فترة الاستعادة Meiji Restoration فانهم يفتنسون عنها فى الماضى السحيق ، بغية العثور على أصول التواصل فهم قد يتعرضون مثلاً لتيارات النمو الاقتصادي أثناء حكم طوكوجاوا . كما يدرك المؤرخون أنهم يصادفون أحيانا نماذج قديمة فى زى معاصر وأن استقصاءاتهم كثيرا ما تصاب بالفشل . وينسحب ذلك القول على الأوضاع التى كان يواجهها قادة المييجي Meiji . وقد أفصح أولئك القادة عن رغبتهم فى صبغ البلاد بالصبغة الغربية ، وتكشفت بعض بقايا نظام طوكوجاوا Tokugawa السابق أثناء عمليات اصطباغ المؤسسات القومية بالصبغة الغربية وأثناء قيام الحكومة بوضع سياسة البلاد .

تيارات التواصل :

تعرض هذه النقطة للتاريخ الذى بدأت فيه اليابان نموها . وكما سبق الإشارة من قبل ، فقد كانت فترة الاستعادة فترة نمو . فهل بدأ ذلك النمو بعد أن فتحت اليابان موانئها بمقتضى المعاهدات التى أبرمتها مع بعض القوى الغربية ، أم هل بدأ النمو قبل عام ١٨٥٩ ؟

تسير الأبحاث التى أجريت حديثا الى أن النمو الاقتصادي بدأ فى العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر ، قبل أن تدخل اليابان ميدان التجارة الدولية بفترة طويلة . وتعد الإحصائيات السكانية خير دليل يؤيد هذه الأبحاث . فنحن نعرف أن عدد السكان لم يزد زيادة ملحوظة منذ عام ١٧٢١ عندما أجرى أول إحصاء قومى شمل كافة أنحاء البلاد . ولكن هذا لا يعنى أن معدل السكان ظل ثابتا دون تغير حتى عام ١٨٦٨ . فإذا ألقينا

نظرة متأنية على هذه الاحصائيات ، فسنجد أن عدد السكان انخفض
انخفاضا طفيفا في نهاية القرن الثامن عشر ، ثم أخذ في الزيادة في بداية
القرن التاسع عشر . وشملت هذه الزيادة السكانية معظم أرجاء اليابان
باستثناء مناطق كيناي Kinai و كانتو Kanto حيث توجد مدن ايدو Edo
واوساكا Osaka وكيوتو Kyoto . وشهدت المناطق الريفية نموا
حقيقيا في عدد السكان منذ بداية القرن التاسع عشر .

وبطبيعة الحال فان هذه الحقيقة تسمح لنا بتفسير النمو الاقتصادي
تفسيرات مختلفة ، كما أنها لا تعد دليلا دامغا يمكن الاستناد اليه لمعرفة
التاريخ الحقيقي للنمو الاقتصادي . ولكن منذ أوائل السبعينات من القرن
العشرين ، قدم لنا شيمبو هيروشي Shimbo Hiroshi دليلا جديدا فيما يتعلق
بتاريخ الأسعار . فبعد أن قام بتقييم سلسلة من مؤشرات الأسعار
في اوساكا Osaka وكيوتو Kyoto على مدى قرن أو نحو ذلك ، فقد
وجد دليلا يؤكد زيادة معدل الأسعار منذ العشرينات من القرن التاسع عشر .
وهو يؤكد أن الاقتصاد شهد زيادة كبيرة في معدلات الأسعار على مدى فترة
طويلة من الزمن امتدت الى فترة الميجي Meiji era . وساعد خفض قيمة
العملات التي قام به بنزى Bunsei ، حينما كانت حكومة باكوفو Bakufu
تسيطر على مقاليد الحكم في البلاد ، على هذا الارتفاع في الأسعار . ولكن
شيمبو يمضى قائلا بأنه لا ينبغي النظر الى الآثار التي ترتبت على خفض قيمة
العملات الذي قام به بنزى Bunsei على أنها تشبه الآثار المصاحبة
لنظرية الكمية الكلاسيكية المتعلقة بالمال ، اذ أن هذه الآثار المترتبة على
خفض قيمة العملات تشبه الآثار المترتبة على السياسة المالية التي وضعها
كنزى Keynesian fiscal policy وبعد أن قام بفحص عملية إعادة سك
النقود ، اختتم مناقشته بقوله بأن حكومة باكوفو Bunsei هي التي كانت
تقوم بسك النقود الإضافية ونظرا لأن حكومة باكوفو ربحت ربحا كبيرا بعد
خفض قيمة العملات ، فقد ساعد ذلك على خلق فجوة تضخمية ، ولكنه
كان حافزا على نمو الاقتصاد .

وفيما يتعلق بالتساؤل المطروح حول ما اذا كان النمو الاقتصادي
قد بدأ فعلا في العشرينات أو الثلاثينات ، فان الدليل الذي يقدمه شيمبو
Shimbo في كتابه ليس كافيا . أما اميمورا Umemura - الذي حذا
حذو شيمبو - فقدم لنا وصفا شاملا للنمو الاقتصادي الحقيقي في فترة
باكوماتسو Bakumatsu فهو يقول بأن التضخم ساعد المقاولين على
الربح لأن حركة الأجور ظلت ثابتة الى حد ما حتى عام ١٨٦٠ . ولابد أن
ذلك الربح قد استخدم في تكوين رأس المال . ورغم أن اميمورا كان يعتمد
على معدلات الأجور التي كانت شائعة في كيوتو Kyato عندما قام بجمع

البيانات المتعلقة بالأجور ، إلا أنه اعتبر أن المفاوضين الذين استفادوا استفادة كبيرة من التضخم وربحوا وربحوا وفيرا منه ، إنما هم المفاوضون الذين كانوا يقطنون المناطق الريفية . وهو يقيم الدليل على أن تكون رأس المال بدأ في القطاع الريفى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

كان هناك مؤشر واضح على أن الاستثمار الزراعى قد ازداد . وبدأت الحكومة فى اقامة السدود والرى وشق الترع منذ بداية القرن التاسع عشر، مما ساعد على زيادة الرقعة الزراعية أو تحسين جودة المحاصيل . وقد تمت معظم هذه الأشغال العامة فى المناطق الشرقية المتخلفة بالبلاد .

ويتعلق الدليل الثانى الذى قدمه اميمورا Umemura بحركة السفن ويرى اميمورا أن عدد السفن فى الميناءين قد ازداد فى أوائل القرن التاسع عشر ، وأن توزيع نسبة مالكي السفن الذين جاءوا الى هذين الميناءين تغيرت . ففى القرن الثامن عشر كان معظم مالكي السفن يسكنون المناطق المطلة على البحر والمتطورة تجاريا ، وزادت نسبة أولئك الملاك زيادة ملحوظة فى القرن التاسع عشر ، مما يدل على أن الاستثمار فى شحن السفن قد زاد بصورة نسبية فى مناطق سانين San'in وكوكيوريكو Hokuriku

كان للتطور فى مجال النقل - سواء النقل البحرى أو البرى - أثره على نواحي الحياة الأخرى . فقد كان هذا التطور يعنى - على سبيل المثال - سهولة نقل السماد ، الذى يساعد بدوره على تحسين جودة الأراضى الزراعية . كما كان النقل يساعد على توافر المواد الخام لدى أصحاب الصناعات المحلية وتسويق منتجاتهم . وواقع الأمر ، أن إقليم هوكيوريكو Hokuriku قد شهد تطورا فى وسائل النقل بشقيها البحرى والبرى . وسواء كان النمو الاقتصادى يرجع الى الريح الناتج عن التضخم ، وسواء كان التضخم ناتجا عن السياسة النقدية والمالية التى اتبعتها حكومة باكوفو Bakufu ، فإن ذلك الأمر يخضع لكثير من المناقشة والجدل . وأغلب الظن أن النمو الاقتصادى كان فى العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر والفترة التى تلت ذلك . ومما لا شك فيه أن خطى النمو الاقتصادى اختلفت من منطقة لأخرى اختلافا كبيرا . فعلى سبيل المثال ، فقد كشف البحث الذى قمنا به عدم وجود أية زيادة فى ناتج الفرد من المنتجات غير الخدمية فى مقاطعة تشوشو Choshu فيما بين عام ١٨٤٠ وعام ١٨٧٤ . وجدير بالذكر أن ناتج الفرد غير الزراعى ظل ثابتا فى نفس الفترة . وهكذا نجد أنه فى الوقت الذى لم تحرز فيه الأقاليم الغربية تقدما كبيرا . شأنها فى ذلك شأن مقاطعة تشوشو ، أحرزت المناطق الوسطى والشرقية من البلاد تقدما ملحوظا . وتؤيد كافة الأدلة التى ساقها أميمورا Umemura هذا القول . وقد نستفيد من تحليلنا لاتجاهات السكان الذى عرضنا له من

قبل فى هذا الموضع • واذا قمنا بتحليل الأرقام السكانية فى مناطق أخرى غير كيناي Kinai وكانتو Kanto ، كالمناطق الشرقية والغربية ، فى فترة الأربعينات ، فسنجد أن معدل الزيادة السكانية فى المناطق الشرقية الريفية كان أعلى من معدل الزيادة السكانية فى المناطق الغربية الريفية •

يستحق اختلاف معدل الزيادة فى المناطق الشرقية الريفية عنه فى المناطق الغربية ، شيئا من الاهتمام من جانبنا ، وذلك لأن المناطق الشرقية كانت المنتج الرئيسى للحريز والشاي • واعتمدت معظم صادرات اليابان على هاتين السلعتين • وكانت تلك المنطقة تمتلك مقومات النمو ، رغم انخفاض ناتج الفرد • وفى المقال الذى سبق الإشارة إليه ، اقتبس اميمورا Umemura بعض الأرقام التى تظهر لنا مقدار التحسن الذى طرأ على تربية دودة القز فى منطقة طوهوكو Tohoku • وازداد الاتجاه نحو تربية دودة القز فى إقليم سوا Suwa (ولاية ناجانو Nagano الحالية) فى العشرينات من القرن التاسع عشر • وبدأ انتاج الحريز يتزايد فى هذا الإقليم منذ فترة الميجي Meiji •

ساعد الاتجاه الى التصدير على النمو الاقتصادى فى فترة الاستعادة Restoration • ولكن ذلك النمو الاقتصادى لم يكن أمرا فجائيا ، ولم يكن يمثل استجابة سلبية لحدث خارجى • فقد دخلت البلاد ميدان التجارة الدولية ، مما كان له أثره على بعض المناطق التى كان النمو الاقتصادى فيها على وشك البدء ، أو كان قد بدأ بالفعل ، وأدى ذلك بدوره الى زيادة النمو الاقتصادى فى تلك المناطق • ولكننا لا ننكر أن التجارة الخارجية كان لها أثر سيئ على مناطق زراعة القطن • فلم يستطع القطن اليابانى أو الخيوط اليابانية دخول ميدان التنافس فى السوق الدولية ، فتعرض المزارعون المحليون لخسارة بالغة اثر تدفق البضائع الأجنبية على البلاد • فكان لابد من إعادة تصنيع غزل القطن ، وهذا ما حدث فى المصانع فى الثمانينات من القرن التاسع عشر • ويعطينا ذلك مثالا على عدم التواصل • ولكن نسج القطن تمكن من البقاء بفضل التحول الى الخيوط المستوردة ، ثم الخيوط التى كانت تصنع محليا فى المصانع فيما بعد • ويمكن انهاء هذه النقطة بالقول بأن الاقتصاد الريفى قد استفاد من دخول البلاد ميدان التجارة الدولية • وتركز النمو الاقتصادى الذى كان ينحو نحو التصدير فى المناطق الريفية فى فترة الاستعادة • وبذلك نرى أن هناك شيئا من التواصل مع فترة طوكوحاوا Tokugawa

استمرار نماذج (باكوفو الاقطاعية - Bakuhan) :

لم يتحقق النمو الاقتصادي قبل فترة الاستعادة وخلالها بسرعة ، بل العكس هو الصحيح . فقد واجهت حكومة الميجي Meiji ، ومن قبلها حكومة باكوفو Bakufu أثناء فترة انزى Ansei وماتلاها ، مصاعب كثيرة في السيطرة على اقتصاد البلاد . وبغض النظر عن المشاكل المتعلقة باقامة أسس مالية ثابتة ، فقد كانت هناك مشكلتان كبيرتان ارتبطتا بالاستراتيجية الاقتصادية التي اتبعتها حكومة الميجي ، وهما مشكلة توافر الأموال ومشكلة الـ "Shokusan Kogyo" ويعتد هذا المثال نموذجا على التواصل بين الماضي والحاضر .

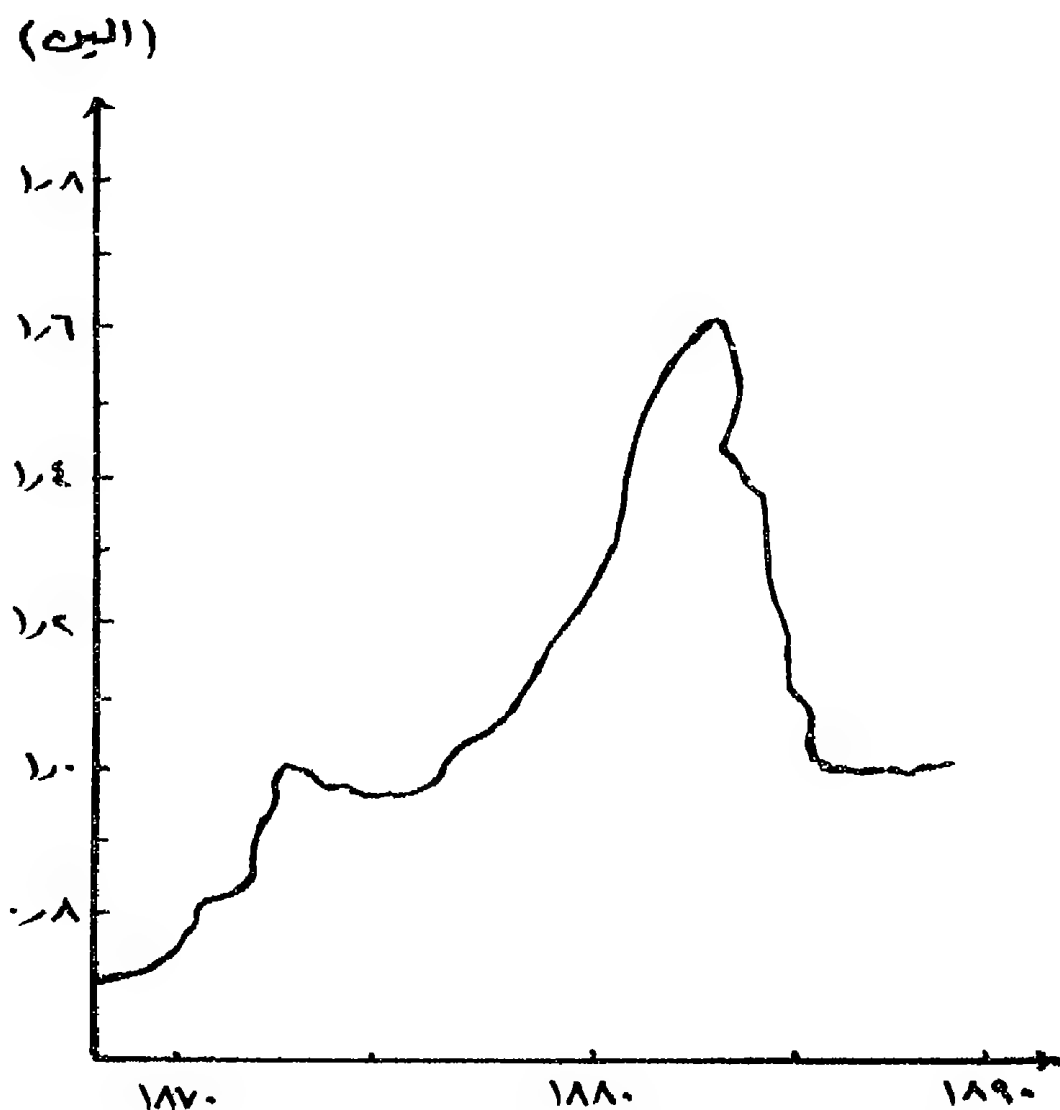
كانت حكومة باكوفو Bakufu والاقاليم التابعة لها تتحكم في عملية توفير الأموال وفقا لنظام باكوهان Bakuhan . وكانت العملات الذهبية والفضية خاضعة لسيطرة حكومة باكوفو خضوعا مباشرا ، بينما سمحت في الوقت نفسه لكل عشيرة اقطاعية (han) بإصدار عملتها النقدية الخاصة بها (hansatsu) للتداول داخل الاقطاعية . وفي نهاية فترة حكم طوكوجاوا Tokugawa ازداد عدد العشائر الاقطاعية (han) التي تصدر العملات النقدية الخاصة بها (hansatsu) ويرجع ذلك الى العجز المزمن في الموازنة التي كانت تعاني منه الحكومة . وهناك كثير من الطوائف التي تحكى عن انخفاض أسعار العملة النقدية (hansatsu) ، انخفاضها لا يصدق عقل . ولكن يجب التأكيد على أن كثير من العشائر الاقطاعية (han) استطاعت الحفاظ على أسعار العملات النقدية بها hansatsu عند مستويات معقولة ، وأن بعض العشائر الاقطاعية استطاعت الخروج من الأزمات التي مرت بها واعادت بناء سياستها المالية . وقد توارثت الحكومات اللاحقة كثيرا من الخبرات المتعلقة بكيفية السيطرة على «اقتصاد العملة الورقية» التي توافرت لحكومة طوكوجاوا

وفي الكتاب الذي ألفه فيكيوزاوا يوكيتشى Fukuzawa Yukichi عام ١٨٧٨ بعنوان Tokugawa ، دافع ذلك الرجل بشدة من السياسة التي اتبعتها اكوما شيجينوبو Okuma Shigenobu - وزير المالية - لتوفير العملات الورقية . ومنذ عام ١٨٧٧ ازدادت كمية النقود زيادة سريعة بعد أن أصدرت البنوك القومية عملات ورقية بكميات كبيرة ، وذلك بعد قيام اكوما بمراجعة لوائح البنوك القومية ، وبعد أن أصدرت الحكومة العملات الورقية لمجابهة النفقات الباهظة التي ترتبت على قيام الحكومة بالقضاء على تمرد مقاطعة ساتسوما Satsuma . وقال

فيكيوزاوا بأن سياسة طبع العملة الورقية لم تكن سياسة رديئة في جملتها . ويمكن تبرير هذه السياسة فقط اذا كان بمقدور الحكومة احكام سيطرتها على كمية الأموال التي تصدرها بحيث تتناسب هذه الكمية مع احتياجات السكان من المال . ويتساءل قائلا : كيف يتناسى الاقتصاديون اليوم أحوال العشائر الاقطاعية أو الأقاليم القديمة (hans) عندما كان يتم تداول العملات النقدية (hansatsu) في تلك الأقاليم ؟ ففي اقطاعية ناكاتسو Nakatsu الذى ولد فيها فيكيوزاوا ، لم يجر تداول العملات الذهبية أو الفضية ، بل كانت العملات الورقية هي السائدة فقط . ووضح فيكيوزاوا أرقام السكان وكمية العملات الورقية المتداولة في اقليم ناكاتسو ، وقارن نسبة عدد السكان وكمية العملات الورقية المتداولة . ثم قسارن بين هذه النسبة ونسب عام ١٨٧٧ . وكانت النتيجة التي استخلصها هي أن الميزان المالى الحالى لم يكن زائدا عن الحد .

ولا يهمنا ما اذا كانت النتيجة التي توصل اليها فيكيوزاوا عام ١٨٧٨ صحيحة أم لا . ويبين لنا الشكل (٣) التدهور الذى طرأ على قيمة العملات الورقية منذ عام ١٨٧٩ . وتكمن أهمية النتيجة التي توصل اليها في أنها وفرت لنا بعض المعلومات المتعلقة بخبرات الاقطاعيات السابقة في مجال تثبيت دعائم الاقتصاد القائم على العملات الورقية . توحى لنا قصته حول اقطاعية ناكاتسو بأن طبع النقود الورقية لم يكن اجراء يائسا من جانب الحكومة لتسديد ديون الاقطاعية . ولو استعان فيكيوزاوا بأرقام Kokudaka بدلا من الاستعانة بعدد السكان ، لاستطاع التوصل الى أرقام دقيقة . ولو استعنا نحن بعينة من الاقطاعيات التي تتوافر لدينا نسبة عدد السكان ونسبة العملة الورقية التي كانت متداولة بها ، لوجدنا أن هناك علاقة وطيدة بين الاثنين . وتدل الحسابات من هذا النوع على أن كثيرين من مسؤولي الاقطاعيات قد اكتسبوا الخبرة المتعلقة بإدارة توفير الأموال في نهاية عهد حكم طوكوجاوا .

كانت طباعة النقود الورقية إحدى سمات التاريخ النقدي في أوائل فترة الميجي Meiji . ولكننا لاننظر اليها باعتبارها إحدى قصص النجاح ، بل كأحدى الأمثلة على الأخطاء التي وقع فيها اسلاف الكونت ماتسوكاتا Count Matsukata الذى كان يعمل وزيرا للمالية منذ عام ١٨٨١ ، واستطاع إعادة النظام النقدي الى طبيعته ، ووضع أسس النظام النقدي الحديث بعد أن أقام بنكاً مركزياً ، وهو بنك اليابان عام ١٨٨٢ . ووفقا لهذا التقدير ، « فان الدولة تعد معظوظة عندما يأتيها قائد قدير وقت الأزمات على جناح السرعة أو الـ "hanamichi" » .



يوضح الشكل (٣) عملة الين الفضية وعملة الين الورقية .

صحيح أنه في عام ١٨٨٠ اعترف اكوما Okuma - الذي حل ماتسوكاتا Matsukata محله - بأن الخطة التي وضعتها الحكومة لتوفير الأموال قد ابتعدت عن الهدف ، ولذلك قام بنفسه بوضع خطة لاستعادة قيمة العملات الورقية . ولكن مما سبق يتضح لنا أن ماتسوكاتا قد انجز أكثر مما أشرنا إليه ، إذ يتضح لنا أن النظام المصرفي والسياسة النقدية التي اتبعتها الحكومة قبل ماتسوكاتا كانا عديمي التأثير ، ولا سيما أن تجربة النظام المصرفي القومي قد باءت بالفشل .

كانت البنوك الوطنية أول مؤسسات مصرفية تتخذ الطابع الغربى . وحصلت تلك البنوك على تصاريح العمل عام ١٨٧٢ . واضطرب الوضع المالى اثر فتح الموانئ أمام التجارة الأجنبية وانهيار نظام العشائر القطاعية (han) ، مما اضطر حكومة الميجى Meiji الى ارسال الامير ايتو Prince Ito للولايات المتحدة الأمريكية . ورجع الأمير ايتو الى اليابان ومعه نموذجا للنظام المصرفى الوطنى . وكان نموذج النظام المصرفى الأمريكى اللا مركزى الذى أتى به ايتو يتعارض مع النظام المصرفى المركزى . ورغم أن النظام المركزى كان معمولاً به فى كثير من الدول الأوروبية ، إلا أن ذلك النظام كان يقابل بالرفض من جانب غالبية الوزراء فى الحكومة ، وفى عام ١٨٧٦ أدخل اكوما تعديلات هامة على لوائح النظام المصرفى ، وازداد عدد البنوك الوطنية التى أقيمت فى مناطق متعددة ، حتى بلغ عددها ١٥٠ بنكا فى نهاية عام ١٨٧٩ ، وبلغ الحد الأقصى الذى حددته الحكومة لاصدار البنكنوت مداه آنذاك .

لماذا فضل قادة الميجى Meiji هذا النظام المصرفى بعينه رغم معارضة من جانب أولئك الذين كانوا على دراية كبيرة بالنظم المصرفية الغربية ؟ للإجابة على هذا السؤال ، ينبغى لنا معرفة الأسباب التى أدت الى الاضطراب المالى فى نظر اكوما Okuma . وقد أشار اكوما Okuma الى الاختفاء المفاجئ لنظام العشائر القطاعية (han) وانهيار الممولين من التجار التقليديين أمثال اونو Ono وشيمادا Shimada ، والغاء الجمعيات التجارية القديمة (ton'ya nakama) ولكنه أكد على الغاء نظام القطاعات . وبذلك ألغى ٣٠٠ نظام ادارى كان يشرف على النظم المصرفية والعمليات التجارية الأخرى للناس . وكان الغاء تلك القطاعات يعنى الغاء المهام التى كانت تقوم بها تلك النظم الادارية ، ولم يكن الاقتصاد المحلى ليستغنى عن تلك المهام . وكان فيكيوزاوا يشارك اكوما رايه فيما يتعلق بالسياسة النقدية التى كانت تنتهجها القطاعات القديمة (hans) . ونظرا لأن تداول العملات النقدية (hansatsu) كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بعدد السكان ، فاننا لاندهش عندما نعلم أن اكوما قد اعتمد فى حساباته على عدد السكان بالولاية والضرائب التى يدفعونها ، وذلك عندما أشرف على تحديد حصة كل ولاية من البنكنوت . وبعبارة أخرى ، يمكن القول بأنه كان يأمل فى أن تقوم البنوك المحلية التى تأسست بمقتضى لوائح البنك الوطنى ، بنفس المهمة التى كانت تؤديها النظم الادارية السابقة فى القطاعات (hans) ازاء العملات النقدية (hansatsu) . فلا عجب

فى أنه كان يفضل النظام المصرفى الوطنى اللا مركزى ، فقد كان ذلك النظام نظاما قديما يتخفى فى زى حديث .

ارتبطت السياسة النقدية التى اتبعتها اكوما (Okuma) ارتباطا وثيقا بالسياسة التى اتبعتها لزيادة الانتاج والنهوض بالصناعة (Shokusan kogyo) . وبعد عودة بعثة أوكورا Iwakura من الولايات المتحدة وأوربا عام ١٨٧٣ ، شغل اكوبو Okubo - الذى كان ضمن أعضاء البعثة - منصب رئيس الوزراء الفعلى . وامتزج اسلوب اكوبو الادارى الذى يعتمد على الانفراد بالحكم بالسياسة الواقعية التى اتبعتها اكوما Okuma ، فأعطى ذلك دفعة جديدة لسياسة زيادة الانتاج والنهوض بالصناعة (Shokusan Kogyo) ، التى عمل قطاع الصناعة على دعمها منذ عام ١٨٧٠ . ولكن هذا لايعنى أن الدور الذى كانت تلعبه الحكومة للنهوض بالصناعة قد ازداد . ولم يكن البرنامج الذى وضعه كل من اكوبو Okubo واكوما Okuma مجرد حلقة من سلسلة البرامج السابقة التى كانت تستهدف دعم من بينهم مقاليد الحكم فى البلاد . قد أقام الرجلان عدة مشروعات تخضع لاشراف الحكومة ، مثل مصانع النسيج والأسمنت والبلاط ، وأظهرا اهتماما شديدا بادخال الأساليب الغربية الجديدة للاتصال وتحسين هذه الأساليب . ولكن تم تخفيض الأموال المخصصة لمد خطوط السكك الحديدية منذ عام ١٧٧٥ ، وهذا يعنى أن تلك المهمة تركت للقطاع الخاص للقيام بها . وعلق اكوبو واكوما أهمية كبيرة على المشروعات الخاصة . وبجانب قيام الحكومة باستثمار أموالها فى المصانع وأحواض بناء السفن ، فقد أقرضت الحكومة الأموال للشركات والأفراد المغامرين على أساس خاص وبصفة مؤقتة . وكانت شركة متسوى Mitsui وشركة متسوبيشى Mitsubishi ضمن شركات أخرى اقترضت من الحكومة .

علق اكوبو واكوما أمالهما على الصناعة المحلية والتجارة والمصانع الكبرى مثل شركة متسوى Mitsui وشركة متسوبيشى Mitsubishi لتحقيق الأهداف التى رسمها . وكان لديهما من الأسباب ما يحملهما على ذلك . أولا : وكما رأينا ، فقد كانت الصناعات الريفية ، خاصة صناعة الحرير الذى يصدر للخارج ، تزدهر فى تلك الفترة بوجه خاص . ثانيا : تزايد قلق الحكومة بشأن الميزان التجارى منذ عام ١٨٧٠ . فرغم زيادة الصادرات ، إلا أن الواردات - التى كانت تتمثل فى البضائع الاستهلاكية كالأقمشة القطنية والسكر والكبروسين - ازدادت بسرعة . لذلك أرادت الحكومة التوسع فى الصناعات المحلية ،

ليس فقط لأن تلك المصانع كانت تنتج البضائع التصديرية ، بل لأن منتجات المصانع الريفية يمكن أن تحل محل الواردات .

قد يتساءل المرء قائلا : كيف حاول اكوبو واكوما دعم النمو الصناعي الريفى ؟ كان انشاء المصانع النموذجية مثل مصانع بكرات الحرير فى موباشى Maebashi وتوميوكا Tomioka ، ومصانع غزل القطن فى ايتشى Aichi وهيروشيما Hiroshima ، أحد هذه الوسائل التى ساعدت على دعم النمو الصناعى الريفى ، ولكن لم يكن من المتوقع أن تأتى عملية انشاء المصانع بنتائج مباشرة .

فى هذه الناحية ، كانت سياسة اكوما النقدية ذات وزن كبير . وكانت خطته لتوفير الأموال لدعم المشروعات المحلية بالاستعانة بشبكة البنوك الوطنية ، تستهدف زيادة الانتاج والنهوض بالصناعة . ويمكن الرجوع بهذه الفكرة للوراء حتى أواخر فترة حكم طوكوجاوا .

أجريت اصلاحات عديدة فى كثير من الاقطاعات منذ فترة تمبو Tempō . ومن أشهر هذه الاصلاحات تلك التى أجريت فى الأربعينات من القرن التاسع عشر ، والتى أدت الى قيام الحملات المعادية للحكام العسكريين Shogunate ، ولكن هذه الاصلاحات ازدادت فى الحقبة التى سبقت فتح الموانئ . وكانت هذه الاصلاحات ذات دلالة خاصة ، اذ أن كثيرين من المصلحين قاموا باصلاحات تشبه هذه الاصلاحات التى قام بها قادة الميجى Meiji . وكانت السياسة التى توضعها الاقطاعات تهدف الى تحقيق التماسك الاقتصادى (fukoku kyohei) ومن ثم جاءت ضرورة الاهتمام بزيادة الانتاج والنهوض بالصناعة . وشجعت حكومات الاقطاعات المختلفة على انتاج المحاصيل النقدية والبضائع المصنعة وتصديرها لاوسكا Osaka والمراكز التجارية الأخرى . التجارية الأخرى . ولانجاز تلك المهمة ، كانت الاقطاعات تصدر العملات النقدية hansatsu أحيانا ، وذلك لتوفير رأس المال للمنتجين الذين يقومون بانتاج بضائعهم التصديرية .

نجحت الاصلاحات التى أجريت فى اقطاعية فوكوى Fukui وفى عام ١٨٥٨ أخذ متسواكا هيتشيرو Mitsukoka Hachiro زمام المبادرة وأصدر عملات نقدية (hansatsu) لشراء الحرير الخام والبضائع الأخرى ، ثم قام بارسالها الى ناجازاكي Nagasaki . وبذلك حصل على مبلغ قيمته ٥٠.٠٠٠ ريو ryo للاقطاعية . وجددير بالملاحظة أن زعماء القرية والتجار الأثرياء قد شاركوا فى هذا المشروع . ورغم عدم توفر تفاصيل هذا المشروع ، الا أن قيام التجار

بتوفير العملات الورقية للقرية كان فاتحة خير . وبفضل ذلك النجاح
تولى متسوكا مسئولية توفير الأموال لحكومة الميجي Meiji حديثة
العهد . واعتمدت سياسته على اصدار أوراق حكومية تقدر بنحو ٥٠ مليون
ريو Ryo . ولكن هذه السياسة بامت بالفشل ، وحل اكوما
Okuma محله . ولكن أفكار اكوما المتعلقة بتوفير النقود عن طريق
البنوك الوطنية لتمويل الصناعة المحلية لم تكن تختلف كثيرا عن أفكار
يورى Yuri المتعلقة باصدار العملات الورقية . فقد كان الأخير يرى
ضرورة اصدار عملات ورقية للنهوض بالصناعة (Kosan shihe)

لكن ماذا عن دور الحكومة المحلية ؟ ظلت الحكومة المحلية تلعب
دورها في عملية صنع القرار حتى بعد أن ألغت الحكومة نظام الاقطاعيات
واستبدلته بنظام الولايات (haihan chicken) . لذلك فنحن نجد في
اقليمي تشيكوما Chikuma وشيراكاوا Shirakama
المؤسسات التجارية و / أو المؤسسات المالية التي تشبه المؤسسات التي
أسسها متسوكا Mitsuoka في مقاطعة فوكوى Wukui
التي كانت تتجرع مع ولاية ناجازاكي Nagasaki .

أبدى كثيرون من محافظي الولايات اهتماما كبيرا بزيادة الانتاج
والنهوض بالصناعة على المستوى المحلي . وأظهر ميشيما متشيتسون
Mishima Michitsune محافظ ولايتي فيكيوشى Fukushima
وباماغاتا Yamagata مقسمة غير عادية على تنفيذ مشروعات
تعبيد الطرق . وظل فيجيمورا شىرو Fujimura Shiro
يشغل منصب محافظ ولاية ياماناشى Yamanashi لمدة ١٤ عاما .
وقد أطلق عليه لقب Doro kenrei ، أى المحافظ الذى يعبد
الطرق . ولكنه أظهر اهتماما شديدا بالنهوض بالصناعة خلال فترة
خدمته الطويلة التى بدأت من عام ١٨٧٣ . وتراوحت الأعمال التى
قام بها بين توزيع بذور التوت على الفلاحين فى المناطق التى لم تعرف
تربية دودة القز من قبل ، وبناء مصانع بكرات الحرير ومصانع الصباغة
فى الولاية ، والحصول على الأموال من الحكومة المركزية للانفاق على
المشروعات الخاصة . ونحن لا نستبعد أن يكون اكوبو Okubo - الذى
شغل منصب وزير الشؤون الداخلية - قد سمح للمحافظين المحليين بممارسة
قدر كبير من الحرية فى تخطيط وتنفيذ المشروعات المتعددة على مستوى
الولاية . ان نمط العلاقة بين الحكومات المركزية ، والمحلية يقترب من نمط
العلاقة التى كانت قائمة فى ظل نظام باكوهان ، وهى علاقة تختلف عن
العلاقة التى نعرفها اليوم .

الخاتمة

لقد تعرضنا حتى الآن لجانبين من جوانب التواصل في أواخر عهد طوكوجاوا Tokugama والتاريخ الاقتصادي في أوائل فترة الميجي Meiji . ما هي الدلالات التي ينطوي عليها الحوار السابق ؟ وقد صاغ البروفسير الراحل الكسندر جيرتشيנקرون Alexander Gerschenkron مصطلح « التخلف الاقتصادي » من أجل دراسة الدول الصناعية المتأخرة . ولكن هل لحوارنا هذا علاقة بالتخلف الاقتصادي لليابان في منتصف القرن التاسع عشر ؟

مما لاشك فيه أن اليابان كانت متخلفة اقتصاديا آنذاك . وتوحي لنا تقديرات كوزنت Kuznet بأن اجمالي الناتج القومي للفرد الياباني أثناء فترة الاستعادة كان منخفضا عن اجمالي الناتج القومي للفرد في الدول الغربية . ووجدت اليابان ما يستحثها على النهوض قبل عصر النمو الاقتصادي ، مما يعني أنها كانت تملك مقومات النمو الاقتصادي ، رغم انخفاض اجمالي الناتج القومي للفرد . ويقول جيرتشيנקرون « ان رجال الصناعة كانوا يمانون من التوتر ، فرغم العقبات التي كانت تحول دون التطور الصناعي ، الا أن الأمل كان يحدهم في تحقيق ذلك التطور الصناعي » . ولاشك أن هذا النوع من التوتر كان سائدا في اليابان في فترة الاستعادة . ولكن من المؤكد أن هذا ما كان ليؤدي الى انجاح التطور الصناعي الحديث بالضرورة . فالتطور الصناعي كان يتطلب وقتا طويلا . مكن التطور الذي تحقق أثناء فترة الاستعادة - أي تطور الصناعات المحلية التي يمكن تتبع جذورها الى أزمنة سابقة - حكومة الميجي Meiji وأصحاب المشروعات التجارية من توفير الوقت الكافي للتطور الاقتصادي الحديث .

تتعلق النقطة الثانية بمدى اشراف الحكومة على التطور في اليابان . وهناك رأي يقول بأن دور الحكومة كان لاغني عنه ، بينما ذهب رأي آخر الى ضرورة اشتراك العناصر الخاصة في عملية التنمية الفعلية . ولكن سواء قامت الحكومة أو قام القطاع الخاص بتنفيذ مشروع ما ، فهذا أمر لا يهم في شيء . فعلى سبيل المثال ، عندما قام فوكوي Fukui بتأسيس هيئة تجارية حكومية ، فانه ترك أمر ادارتها للتجار . وعندما قام أحد رجال الأعمال بولاية يماناشي Yamanashi بوضع خطة طموحة لاقامة مشروع تجاري ، سعى ذلك الرجل الى الحصول على قرض من الحكومة المركزية ، وتوسل الى أحد المحافظين المحليين من أجل تحقيق ذلك .

وأخيرا ، ربما كانت المركزية اللا مركزية هي القضية الحقيقية •
وكان نظام gunken ينطوى على المركزية من الناحية النظرية ، ولكن
من الناحية العملية ، لم يقيم قادة الحكومة - وربما لم يستطيعوا - وضع
ذلك النظام موضع التنفيذ فى السبعينات من القرن التاسع عشر • وبعد
التحول من النظام اللا مركزى الى النظام المركزى (haihan chicken)
أدرك أولئك القادة ضرورة التوازن - فى المجالات الاقتصادية على الأقل -
بين المبدأ المعلن وميراث الماضى • وبعد الانكماش الاقتصادى الذى تم على يد
ماتسوكاتا Matsukata ، لم يعد للنظام اللا مركزى أى تأثير ،
وتغلغلت الرقابة البيروقراطية التى مارستها الحكومة المركزية داخل
الادارات المحلية • ومن ثم ينبغى التأكيد على عنصر «عدم التواصل» •

الاستعادة وتاريخ التكنولوجيا

بقلم

Yoshida Mitsukuni

يوشيدا متسيكيوني

جامعة طوكيو

طوكيو - اليابان

عندما يتزايد الاتصال بين الثقافات المختلفة ، فالترجمة هي السبيل الأول التي تستعين به هذه الثقافات لزيادة التفاهم فيما بينها . ويصدق هذا القول على القرن الثاني عشر ، حينما شجعت أوروبا نقل المعارف العلمية من العالم الإسلامي ، ويفسر لنا أهمية نشر كتاب *Kaitai shinsho* (الكتاب الجديد في التشريح) على يد سوجيتا جنباكا Sugita Genpaka ومانيو ريوتاكو Maeno Ryotaku وكانت هذه الماحولة هي الأولى من نوعها لجعل التكنولوجيا والعلوم الغربية في متناول اليابانيين بوجه عام . وكان ذلك الكتاب هو النسخة الهولندية لكتاب ألماني عن التشريح قام بتأليفه جون آدم كولموس Johann Adam Kulmus وجد اليابانيون أن وصف كولموس لجسم الإنسان يختلف عما جاء في العلوم الطبية الصينية التقليدية ، كما أدركوا أن التشريح الغربي أكثر دقة . ومنذ لحظة ظهور الكتاب ، ساد اعتقاد راسخ بأن العلوم الغربية تفوق العلوم الصينية في قدرتها على تفسير العالم الخارجي . فالعلوم الصينية كانت تركز على المذهب الكونفوشي ، كما كانت هي المادة التي يستقى منها اليابانيون معارفهم آنذاك . وبدأ كثيرون منهم يدرسون اللغة الهولندية ، وظهرت سلسلة كاملة من ترجمات المؤلفات الهولندية في مختلف المجالات . ويتضح ذلك من خلال الأرقام الواردة في الشكل (١) .

الموضوع	١٧٢٠ - ٩٩	١٨٠٠ - ٣٩	١٨٤٠ - ٥٥	١٨٥٦ - ٦٠	١٨٦١ - ٦٧	المجموع
أحوال البلدان الأخرى	١٤	١٨	١١	٤	٤	٥١
التشئون العسكرية	٨	١١	٣٩	١٩	٢٦	١٠٣
الفلك	٨	١٥	٢	١	١	٢٧
التاريخ الطبيعي	٦	٧	٢	١	١	١٧
الطب	١١	٤٧	٢٠	٢١	٩	١٠٨
الجغرافيا والمسح الطبوغرافى	٦	١٢	١٣	٢	٢	٣٥
الرياضيات والطبيعة		١٣	٧	٣	٦	٢٩
الكيمياء		١٦	١	٠	٢	١٩
السياسة والاقتصاد	٦	٤	٧	٥	١	٢٤
اللغة	٨	٢٠	١٠	٦	٧	٥٤

يوضح الشكل (١) عدد المؤلفات الغربية التى ترجمت الى اللغة اليابانية من ١٧٢٠ الى ١٨٦٧ .

وأثبت الطب وعلم الأدوية الغربيان فاعليتهما فى علاج الأمراض ، فحلا محل الطب التقليدى ، وترجمت مؤلفات عديدة فى مجالات الطب ، وجاءت ترجمة العلوم العسكرية فى المرتبة الثانية بعد علوم الطب . وكان التأكيد على الجانب النفعى للعلوم الطبية والعسكرية أحد سمات التكنولوجيا فى فترة باكوماتسو Bakumatsu .

لماذا اهتم اليابانيون اهتماما شديدا بالعلوم العسكرية ؟ يرجع السبب فى ذلك الى تأثر اليابانيين بالقوة العسكرية الغربية - تلك القوة العسكرية التى أدرك اليابانيون مدى تفوقها بعد هزيمة الصين فى حرب الأفيون فيما بين عامى ١٨٤٠ - ١٨٤٢ ، وبعد وصول اسطول الكومودور Commodore الأمريكى الى شواطئ اليابان عام ١٨٥٣ . وجاء بناء الصين للسفن الحربية كرد فعل لهزيمتها فى حرب الأفيون .

وأدركت الصين أن سبب هزيمتها في الحرب إنما يرجع إلى افتقارها إلى السفن البخارية المزودة بالمدافع ، وأنها لن تقوى على الصمود أمام الغرب إلا إذا كان لديها سفن حربية تعمل بالبخار . لذا لم تضع وقتاً في بناء حوض للسفن في فتشو Foochow بجنوب الصين . واستقدمت المهندسين الغربيين للمساعدة في بناء السفن . وفي أواسط الصين افتتح مكتب تشينجنان Chiangnan للإشراف على تصنيع أنواع متعددة من الأسلحة والمعدات . وبدأت حركة منظمة لترجمة المؤلفات الغربية في مجالات العلوم والتكنولوجيا .

لم يختلف رد فعل اليابان عن الصين . فبعد حرب الأفيون ، أدرك اليابانيون مدى تفوق الغرب في مجال تكنولوجيا بناء السفن وصنع المدافع ، ولم تقم حكومة باكوفو Bakufu وحدها بصناعة المدافع ذات الطابع الغربي ، بل إن إقطاعيات كثيرة هي التي أسرعت بذلك . ورغم أن المدافع التي صنعت آنذاك كانت مدافع برونزية ذات طابع عتيق ، فقد تم وضع خطة لصنع مدافع حديدية حديثة فيما بعد في مقاطعات ساجا Saga وساتسوما Satsuma وميتو Mito ونيراياما Nirayama التي كانت جزءاً من أراضي الحاكم العسكري Shogun . واعتمدت جميع تلك المشروعات على كتاب قام أولريتش هيوجن Ulrich Huguenin - الهولندي - بترجمته عن الهولندية . وتناول ذلك الكتاب طرق صناعة المدافع ، واحتوى على رسومات وشروح مفصلة لعملية بناء وتشغيل الأفران العالية والأفران العاكسة . واستعان الإقطاعيات بترجمات متعددة من ذلك الكتاب في محاولة لبناء الأفران العاكسة وصناعة المدافع .

وانتهت إقطاعية ساجا Saga من بناء أول فرن عاكس عام ١٨٥٠ ، ثم قامت ببناء فرنين آخرين في العامين التاليين ، وجلبت رمل الحديد من إوامي Iwami (ولاية توتري Tottori الحالية) ، واستخدمت الفحم النباتي كوقود . ولكن اعتماد صناعة المدفع على مجرد نظرية مكتوبة في كتاب كان أمراً بالغ الصعوبة . ولم يتم بناء أول مدفع صالح للاستخدام إلا بعد عام ونصف .

عقب وصول الكومودور بيرى Commodore Perry إلى شواطئ اليابان ، قررت حكومة باكوفو Bakufu تقوية دفاعاتها الساحلية وطلبت خمسين مدفعاً من إقطاعية ساجا Saga . وبحلول عام ١٨٥٥ ، كانت قد انتهت من صنع المدافع المطلوبة . وأخذت المدافع التي تعبأ من الخلف تحل محل المدافع العتيقة التي كانت تعبأ من الأمام ١٨٦٤ . وفي

الفترة من عام ١٨٤٣ حتى عام ١٨٦٧ ، كانت اليابان قد أنتجت ٣٤٦ مدفعا وفقا للطراز الغربى ، ولكن ٨٠ مدفعا منها فقط كان مصنوعا من الحديد ، أما الباقي فكان مصنوعا من البرونز .

وقامت اقطاعية ساتسوما Satsuma ببناء فرن عاكس عام ١٨٥٣ ، ولكن تلك المحاولة الاولى قد باءت بالفشل . فقامت ببناء فرن ثان عام ١٨٥٦ وفرن ثالث عام ١٨٥٧ . وكانت صناعة المدافع فى ساتسوما صناعة ناجحة ، ولكن معظم انتاجها كان مقصورا على صناعة المدافع البرونزية ، كما هو الحال فى ساغا Saga . وفى اقطاعية ميتو Mito ، قام اوشيما تاكاتو Oshima Takato وآخرون ببناء الفرن العاكس عام ١٨٥٥ ، واستخدم الفحم كوقود . ولضمان توافر الحديد الخام ، قام اوشيما بحفر منجم للحديد فى كامايشي Kamaishi

اعتمد أورشيما على طرق استغلال الحديد الواردة بكتاب هوجنن Huguenin عندما قام بتطوير منجم الحديد فى كامايشي . وكان ذلك يعنى استخدام فرنا عاليا ، أى الاستعانة بطريقة تختلف اختلافا كليا عن طريقة تاتارا Tatara التى كانت اليابان تستخدمها من قبل . وفى عام ١٨٥٧ ، قام أوشيما ببناء فرن حرارى له قاعدة جرانيتية ، واستخدم الفحم النباتى فى صناعة الحديد . وكان ذلك الفرن الحرارى نموذجا مصغرا يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار . وكان يتم التحكم فى تيار الهواء عن طريق منافخ كير يدار بواسطة ساقية . وكان كل فرن صغير من ذلك الطراز يحقق ناتجا سنويا يتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ طن من الحديد الزهر .

فى منطقة نيراياما Nirayama الواقعة فى شبه جزيرة ايزو Izu ، قام ايجيوا هيدتاتسو Egwa Hidetatsu (١٨٠١ - ١٨٥٥) ببناء فرن عاكس عام ١٨٥٥ ، ولكن مسبك الفرن لم ينجح فى صنع المدفع الا بعد أن استقدم هيدتاتسو بعض المهندسين ذوى الخبرة من ساغا Saga ، وقام بانتاج بعض المدافع ، ولكن عددا قليلا منها فقط كان صالحا للاستخدام . وفى عام ١٨٦٤ ، قامت حكومة باكوفو Bakufu بإغلاق ذلك الفرن العاكس وركزت جهودها على صناعة الأسلحة ، فأقامت مسبكا لصنع المدافع فى ايدو Edo

جاءت السفن البخارية فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد المدافع . وقد أمر شيموزا نارياكيرا Shimazu Nariakira (١٨٠٦ - ١٨٥٨) ، سيد اقطاعية ساتسوما ، بترجمة كتيب عن محركات السفن البخارية ، وأجريت محاولة لبناء سفينة بخارية بالاستعانة بذلك الكتيب . وجاء فى مقدمة الكتيب أن الدول الغربية تجوب شتى بقاع

العالم بحرية تامة لأنها نملك المدافع والسفن . وكانت اليابان قد تعلمت صناعة المدافع بالفعل ، وبقي أن تتعلم الأساليب الغربية في بناء السفن . واستخدم ذلك الكتيب في استكمال بناء السفينة Unkomaru وجرى اختبارها في ميناء ايدو Edo ، ولكن ثبت عدم صلاحيتها للمعمل . وبذل شيموزا نارياكيرا جهودا مكثفة للنهوض بصناعات أخرى ، كصناعة الزجاج . ووصلت صناعة الزجاج ذروتها على يد ذلك الرجل . كما قام بتشغيل مصانع الغزل والنسيج مستعينا بالمعدات التي تدار بقوة المياه . وقام كذلك بافتتاح ورش السيراميك والخزف والجلود والبويات . وانشئت معظم تلك الورش على شاطئ ايزو Iso باقطاعيه كاجوشيما Kagoshima وكان هناك نحو ١٢٠٠ رجل يعملون في تلك الورش . وقد انبهر الطبيب الهولندي بومب فان ميردار فونت Pompe Van Meerdervoont (١٨٢٩ - ١٩٠٨) حينما رأى ما حققته الصناعة من ازدهار أثناء زيارته لليابان . وكان لدى شيموزا اعتقادا راسخا بأن العلم والفيزياء هما أساس الاقتصاد ، وسعى للنهوض باقتصاد الاقطاعية بادخال التكنولوجيا والعلوم ذات الطابع الغربي .

جلب نابشيما ناوماسا Nabeshima Naomasa (١٨١٤ - ١٨٧١) ، سيد اقطاعية ساجا Saga سفنا غربية الطابع ، ووضع خطة لبناء مصنع لاصلاح السفن . وفي عام ١٨٥٧ ، أرسل في طلب الآلات والمعدات من هولندا . ووصلت المعدات الى ساجا Saga في العام التالي ، ولكن الظروف المالية الصعبة التي عانت منها اقطاعية ساجا حالت دون بناء المصنع . وقدم نابشيما المعدات لحكومة باكوفو ، ولكنها لم تستخدمها . وكان على تلك المعدات أن تنتظر تشكيل حكومة الميجي Meiji الجديدة حتى يمكن تشغيلها . وافتتح نابشيما مكتبا لاستخراج المعادن ، وأجرى أبحاثا على السفن البخارية والقاطرات البخارية وصمم نماذج للمحركات .

وتبين لنا هذه الأمثلة أن سادة الاقطاعيات قد أخذوا زمام المبادرة ، فدخلوا التكنولوجيا عندهم . وبدأ أولئك السادة مسيرة البناء انطلاقا من المبدأ القائل بأنه ينبغي لليابان أن تمتلك القدرات العسكرية . وكان السبيل الوحيد لامتلاك هذه القدرات العسكرية يتمثل في الحصول على السفن البخارية والأسلحة التي تمكن اليابان من صد أي هجوم عسكري من جانب القوى الغربية . وقام أولئك السادة بتنفيذ معظم المشروعات دون الأخذ في الاعتبار الحالة المالية للاقطاعية ، مما عرض الحكومات المحلية لتأعب مالية جسيمة . وكانت وفاة سيد الاقطاعية أو وقوع بعض

الاضطرابات السياسية يؤثر على خطة التنمية ، ويجعلها تسير فى اتجاه جديد .

زادت معدلات التضخم فى أواخر سنوات حكومة باكوفو Bakufu وارتفعت أسعار المصادر المحلية . وكان ذلك يعنى أن تكاليف التنمية الذاتية ستستمر فى الارتفاع . وكان انتاج المدفع المصنع محليا الذى يبلغ وزنه مائة رطل ، يكلف اقطاعية ساتسوما حوالى ٥٠٠ ريو Ryo أى أن تكلفته كانت تزيد على تكلفة مدفع مستورد من الولايات المتحدة . هذا فضلا عن أن معدل الانتاج كان بطيئا ، فقد ذكر أحد التقارير أن الوقت اللازم لانتاج العدد المطلوب من المدافع سيتراوح بين ثمان أو تسع سنوات .

كان التغيير السياسى يتم بخطى سريعة داخل وخارج البلاد أثناء فترة حكم باكوماتسو Bakumatsu . وبذلت الحكومة جهودا مكثفة لمسايرة ذلك التغيير . وفى النهاية تخلت حكومات الاقطاعيات عن سياسة التنمية التدريجية والاكتفاء الذاتى ، وبدأت تستورد الأسلحة والسفن البخارية . وقد استغل كثيرون من التجار شغف الاقطاعيات فى الحصول على الأسلحة والسفن البخارية ، فباعوا لليابان أسلحة نارية عتيقة وسفنا قديمة من أوروبا والولايات المتحدة . ومع ذلك فقد ظلت الحكومات المحلية والمركزية تسعى للحصول على أحدث أنواع الأسلحة ، فقد أدرك اليابانيون أن الغلبة فى ميدان القتال انما تتحقق فقط لمن يمتلك السلاح المتطور . واستوردت اليابان حوالى ٢٠,٠٠٠ قطعة سلاح من الغرب .

وكما ركزت الاقطاعيات جهودها للنهوض بالصناعة وصناعة الأسلحة ، احتضنت حكومة باكوفو Bakufu صناعة الأسلحة ذات الطابع الغربى ، فأنشئت ستة مصانع لانتاج السلاح . واستولت حكومة الميجى Meiji الجديدة على تلك المصانع . وتلك المصانع هى مصنع سيكيجوتشى Sekiguchi لانتاج المدافع (أطلق عليه اسم ترسانة طوكيو فيما بعد) ، وحوض سفن اشيكافا جيما Ishikawajima (وخضع للقطاع الخاص فيما بعد) ، ومصنع يوكوسوكا Yokosuka (ترسانة يوكوسوكا البحرية) ، ومصنع حديد ناجازاكي (حوض سفن ناجازاكي ومتسوبيشى) ، وترسانة اكابن Akabane البحرية ، وكانت تضم معدات اصلاح السفن التى قدمتها اقطاعية ساجا Saga لحكومة باكوفو Bakufu ، ومصنع ايتاباشى Itabashi لصناعة البارود .

كان مصنع ناجازاكي ومصنع يوكوسوكا أكبر هذه المصانع . وقد أنشأت الحكومة هذين المصنعين لبناء السفن ، واستقدمت الحكومة المهندسين الأجانب لبناء السفن والاشراف على تشغيلها . وقامت حكومة باكوفو باستيراد كافة الآلات والمعدات التي استخدمت في بناء السفن . وسارت حكومة الميجي Meiji على نفس الدرب الذي سارت عليه حكومة باكوفو Bakufu السابقة ، فجلبت المهندسين الغربيين من الدول المتقدمة ، كما قامت باستيراد المعدات التي تحتاجها المصانع من تلك الدول . وساعدت هذه الخطوة التي اتخذتها الحكومة على توطيد أسس الصناعة الحديثة والتكنولوجيا في اليابان .

وساعدت هولندا في بناء مصنع حديد ناجازاكي . وقررت حكومة باكوفو Bakufu بناء أسطول على الطراز الغربي ، بعد أن اضطرت الى توقيع اتفاقية مع الكومودور بيرى ، افتتحت بمقتضاها الموانئ اليابانية . وأيدت هولندا فتح الموانئ ، وعرضت على الحكومة تقديم أية مساعدة تحتاجها لبناء الأسطول ، إذ أنها كانت تسعى للحصول من الحكومة على امتيازات لم تحصل عليها الولايات المتحدة أو الدول الأخرى من قبل ، كما كانت تسعى الى إقامة علاقات وطيدة مع اليابان . في عام ١٨٥٥ ، استكملت المفاوضات بشأن بناء الأسطول ، وافتتحت مدرسة للتدريب البحري في ناجازاكي . ووصل أول فريق تدريب من الجيش الهولندي ، وقدمت هولندا لليابان سفينة Soembing التي بلغ قوة محركها ١٥٠ حصانا . وفي نفس الوقت وضعت الحكومة خطة لبناء حوض لاصلاح السفن الحربية ، وأرسلت في طلب المعدات اللازمة من هولندا . وفي عام ١٨٥٧ ، وصلت المعدات اللازمة الى ميناء ناجازاكي ، كما وصل فريق ثان للتدريب البحري . وقام كل من ريدير هويجنس فان كاتنديجيك Ridder Huijssen Van Kattendijke ، قائد الفريق ، و هـ . هاردز H. Hardez ، المهندس المشرف ، باختيار موقع المصنع . وشرعت الحكومة في بناء المصنع تحت توجيه هاردز . واستكمل بناء مصنع سبك المعادن عام ١٨٦١ ، وكان المصنع يتكون من ثلاثة أقسام ، وهي قسم طرق المعادن وقسم البناء وقسم صهر المعادن . وكانت معدات المصنع تشمل آلة بخارية قوتها ٢٩ حصانا ومخرطة ميكانيكية قوتها ١٨ حصانا ومطرقة بخارية . وكلفت تلك المعدات حكومة باكوفو Bakufu مبلغا ضخما قيمته ٥٨٠٠٠ ريو Ryo وحتى بعد رحيل فريق التدريب ، بقي هاردز مع عشرة آخرين لاسداء النصيح في المسائل الفنية . وقد اثنى كل من سير روثر فورد الكوك Sir Rutherford Alock أول وزير بريطاني لدى اليابان ، و ف . أف . ارمينجون Arminjon .

المبعوث الايطالى ، على حوض السفن المجهز تجهيزا جيدا ، وعلى الانجازات التى حققها هاردز . وكان الكوك يعتقد أن الهولنديين سوف يصابون فى يوم ما من انفجار لغم من صنع أيديهم .

فى عام ١٨٦٣ ، اسنأجرت حكومة باكوفو Bakufu ١٤ مهندسا هولنديا ، وشرعت فى بناء حوض للسفن حتى تتمكن من صنع سفن حربية تسير بقوة البخار . وبذلك اضطرت مرة أخرى الى استيراد معدات من الخارج . وواصلت حكومة مييجى Meiji تنفيذ ذلك المشروع ، ولكنها لم تنته من بناء حوض السفن الا فى عام ١٨٧٩ .

فى شرق اليابان شرعت الحكومة فى بناء حوض سفن يوكوسوكا Yokosuka ، ووضعت خطة للحصول على المساعدة من الحكومة الفرنسية . وشجعت فرنسا اليابان على بناء حوض للسفن بالقرب من ايدو Edo ، وأرسلت فريقا من العسكريين لتدريب جيش حكومة باكوفو Bakufu على الأساليب الغربية . كما أرسلت مهندسا يدعى فرنسوا ليونس فيرنى Francois Léonce Verny عام ١٨٦٥ . وقام ذلك الرجل بوضع خطة بمجرد وصوله لليابان ، اقترح فيها بناء مصنع فى مدينة يوكوهاما Yokohama لاصلاح السفن والتدريب وتوفير الخبرة فى مجال العمل ، كما اقترح انشاء مصنع كبير لصهر المعادن وبناء حوض للسفن . ووقع اختياره على حوض سفن ميناء طولون بفرنسا ليكون المثال الذى تحتذيه اليابان . وعاد الى فرنسا لقضاء بعض الوقت بها ، ثم عاد الى اليابان عام ١٨٦٦ ومع المعدات وبرفقتة المهندسون اللازمون ، وشرع فى تنفيذ المشروع فى الحال . وأعدت الأرض لبناء أول حوض للسفن فى عام ١٨٦٧ . وبعد المصادمات التى صاحبت فترة حكم الاستعادة Restoration ، آلت ملكية مصنع صهر المعادن لحكومة المييجى Meiji الجديدة عام ١٨٧١ . واستمر البناء طوال الفترة التى ظلت فيها حكومة المييجى Meiji تسيطر على مقاليد الحكم فى البلاد . واستكمل بناء أول حوض للسفن فى ذلك العام . وكان هناك ٣٥ مهندسا فرنسيا يعملون فى ذلك المشروع . ولم يقتصر دور حوض السفن على صناعة السفن فقط ، بل كانت تتم فيه صناعة المنارات الحديثة ومعدات المناجم . وغادر فيرنى اليابان عام ١٨٧٦ .

لم تتقبل حكومة باكوفو bakufan مساعدات هولندا وفرنسا فحسب ، وانما كانت تنلهف للحصول على المعلومات المتعلقة بأحوال العالم الخارجى . وفى عام ١٨٦٠ ، أرسلت بعثة دراسية تتكون من

٧٧ طالبا للدراسة فى الولايات المتحدة • وقام أولئك الطلاب بتسجيل ملاحظاتهم عن الحضارة الأمريكية • فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى تقع فيها عيونهم على حضارة تختلف اختلافاً كلياً عن حضارتهم • ثم أرسلت حكومة باكوفو Bakufu بعثة دراسية أخرى تتكون من ٣٦ رجلاً لأوروبا فى عام ١٨٦٢ بغرض إجراء مباحثات دبلوماسية ، ومعاينة المؤسسات والحضارة الغربية • وأعد أفراد البعثة تقريراً عن أحوال المؤسسة والصناعة والأسلحة • ألخ فى الدول التى زاروها • كما كان أفراد البعثة يتطلعون الى تعلم الأنظمة العسكرية وصناعة الأسلحة فى الغرب ، وكتبوا ملاحظات مفصلة عن نظم الانتاج والمعدات الموجودة بترسانة وولويتش Woolwich وترسانة اينفيلد Enfield فى انجلترا ، حيث كان يصنع مدفع ارمسترنج Armstrong

وأثناء ذهاب أفراد البعثة الى أوروبا وعودتهم منها ، كانوا يمرون بالمراكز التى أنشأها الاستعمار ، مما جعلهم يقفون على حقيقة التوسع الغربى فى آسيا • فبدؤوا يشعرون بالحذر ، وأصبحوا أكثر إدراكاً لما ينبغى أن تقوم به اليابان حتى تظل دولة مستقلة • وما تزال اليابان تحتفظ بالكثير من الملاحظات اليومية التى دونها أفراد البعثة ، وتضمنت هذه الملاحظات وصفهم لطبيعة التوسع الغربى فى الشرق وصراع القوة بين الدول الغربية لفرض هيمنتها • وقد رأى أفراد البعثة أن القوة العسكرية والدبلوماسية الناجحة تعد من العوامل التى تساعد على كسب المعركة •

فى عام ١٨٦٤ ، أرسلت اليابان مبعوثاً لفرنسا ، وتلته بعثة دبلوماسية عام ١٨٦٥ للتفاوض بشأن المسائل المتعلقة بإقامة مصنع حديد يوكوسوكا الذى سبق الإشارة إليه • وأرسلت حكومة باكوفو Bakufu مجموعة ضخمة من منتجاتها لتعرض فى المعرض الدولى الذى أقامته باريس عام ١٨٦٧ • فكانت منتجاتها تشمل المنتجات الزراعية والمنسوجات والمنتجات المدبوغة والدهانات والسيراميك والورق والكتب • وكانت اليابان تهدف من وراء عرض منتجاتها الى فتح طرق تجارية جديدة ، كما كانت ترمى الى عرض منتجاتها التقليدية • وعادت هذه الخطة بالنفع على اليابان ، اذ أنها جعلت الغرب يتنبه لوجود اليابان • والتزمت حكومة الميجى Meiji بنفس الخطة حينما اشتركت اليابان فى المعرض الدولى بفيينا عام ١٨٧٣ ومعرض فيلادلفيا المئوى عام ١٨٧٦ ومعارض أخرى • ولم يكد يطرأ أى تغير يذكر على الأفراد الذين كانوا يشرفون على تنظيم المعارض •

فى القرن التاسع عشر ، كانت المعارض الدولية بمثابة غرف عرض تعرض فيها الدول المشتركة بضائعها . وافتتح نابليون الثالث معرض باريس بكلمة قال فيها « ان هذا المعرض فرصة للتنافس بين شعوب العالم فى مجال الخبرة والصناعة ، كما كان الاغريق يتنافسون فى المباريات الاولمبية لاطهار القوة الجسدية » .

وكان معرض باريس الذى اقيم عام ١٨٦٧ يتكون من سبعة أجنحة بيضاوية الشكل . وفى الجناح الخارجى عرضت المنتجات المرتبطة بالصناعة التى تعتمد على الآلة . وخصص الجناح الاوسط لعرض الفنون . وكانت معظم الآلات المعروضة تدار بالبخار ، حتى بلغت قوة هذه الآلات ١٠٠٠ حصان ، فكان ذلك ايدانا بحلول عصر قوة البخار . وكان المعرض يضم كثيرا من الآلات التى تعمل بالكهرباء كالتلغراف والفنارات الكهربائية ، فكان ذلك ايدانا باقتراب حلول عصر الطاقة الكهربائية . وعرضت ألمانيا - تلك الدولة الناشئة - الكثير من المعدات العسكرية التى كانت تضم المدفع الضخم الذى قامت شركة كروب Krupp بصناعته ، وبلغ وزنه ٥٠ طنا ، فاثار دهشة كل من رآه .

تنافست الدول الغربية فيما بينها تنافسا شديدا لتحقيق أهداف التصنيع ، فترك ذلك أثرا عميقا لدى أفراد البعثة اليابانية . وقد ارتبك شيبوساوا ايتشى Shibusawa Eiichi (١٨٤٠ - ١٩٣١) - الذى أصبح فيما بعد أحد رواد عالم التجارة فى اليابان - لكثرة الآلات التى رآها فى المعرض . وكتب يقول ان المعرض قد نقله الى عالم الأحلام ، ولكنه أبدى اهتماما خاصا بآلات الغزل والمعدات الزراعية والأجهزة العلمية التى عرضتها الولايات المتحدة وانجلترا . واذا كان الوفد اليابانى قد أصيب بالدهشة لما رآه من معروضات الدول الغربية ، فقد شعر بالارتياح عندما أثنت الصحافة المحلية فى الغرب على حسن تنظيم المعرض اليابانى ، فوصفته بأنه كان أفضل معارض دول آسيا اعدادا وتنظيما . كما امتدحت جمال الفنون وروعة المنتجات اليدوية . وعرفت أوروبا أن اليابان تشتترى الكثير من السفن البخارية ، وأنها تبذل الكثير من الجهد لادخال المخترعات الغربية . وقامت بعثة أخرى بزيارة إنجلترا ، وكان شيبوساوا Shibusawa ضمن أفرادها . وزار أفراد البعثة ترسانة وولويتش Woolwich وجريدة التايمز وبنك إنجلترا والقصر البلورى ومراكز تدريب الجيش .

وواصلت حكومة الميجى Meij سياسة حكومة باكوفو Bakufu السابقة ، فأرسلت البعثات للخارج لدراسة ومراقبة أحوال الدول المتقدمة

وجميع المعلومات • وتعد البعثة التي أرسلتها اليابان الى الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا عام ١٨٧١ بقيادة اواكورا تومومي Iwakura Tomomi (١٨٢٥ - ١٨٨٣) خير مثال على ذلك • وكانت تلك البعثة كبيرة العدد ، فقد كانت تتألف من حوالى ٥٠ فردا ، وكان قادتها من الشخصيات البارزة فى الحكومة الجديدة ، أمثال اواكورا ، وكيدو تاكيوشي ، واكوبوتوشيميتشى ، وايتوهيروبومي • وكان من بين هذه الشخصيات من اتبحت له فرصة زيارة الدول الغربية فى الفترة التى سبقت حكم الاستعادة Restoration • وكان متوسط عمر أفراد البعثة ثلاثين عاما ، لذا فقد كانوا ينتمون لجيل يسهل عليه تقبل الثقافات الأخرى • ورافقت بعثة اواكورا Iwakura مجموعة من الطلاب بلغ عددهم ٥٩ طالبا ، توجهوا الى مناطق متفرقة من الولايات المتحدة وأوربا • وطبقا للتفديرات ، فقد بلغ عدد اليابانيين بالخارج نحو ٥٠٠ يابانى ، اتبحت لهم فرصة معاينة الحضارة الغربية عن كثب •

وكان معظم المسئولين الذين تولوا مسئولية الشئون العملية فى بعثة اواكورا Iwakura من البيروقراطيين الذين عملوا فى حكومة باكوفو Bakufu السابقة • وكانوا ينتمون لخبراء التنظيم الصناعى الجدد الذين ظهرت فى السنوات الأخيرة لحكم طوكوجاوا Tokugawa وفى عام ١٨٥٥ ، أقامت حكومة باكوفو معهد بانشو شيرايشو Bansho Shirabesho لترجمة ودراسة وتدريس اللغات الغربية والعلوم • وعمل الأشخاص القادرون من مختلف القطاعات بالتدريس فى ذلك المعهد • وأظهر أولئك الرجال قدرة فائقة فى مجال اللغات ، وكونوا البيروقراطية الجديدة فى حكومة باكوفو Bakufu وترفعت تلك البيروقراطية الجديدة عن الاهتمام بالمصالح الضيقة للاقطاعات القديمة • وفى عام ١٨٦٢ ، اتخذ معهد بانشو شيرايشو Yosho Shirabesho اسما جديدا له هو اسم يوشو شيرايشو وتساوى فى المرتبة مع معهد شوهيكو Shokeiko للتعاليم الكونفوشية • ولم تجر الأبحاث باللغة الهولندية فحسب ، بل أجريت باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية • وبدأت دراسة الكيمياء والرسم والعلوم الطبيعية والرياضيات بالبلاد • ونظرا لأن أولئك الرجال لم يرتبطوا بروابط الولاء لحكومة باكوفو Bakufu ، فقد تمتعوا بمكانة عالية بين أفراد الطبقة البيروقراطية ، وذلك بفضل معرفتهم بأحوال الغرب • كما كانوا خبراء محايدين فى التنظيم الصناعى ، وكان يتم الحكم على قدراتهم على أساس الكفاءة وحدها •

قام أعضاء معهد يوشو شيرايشو بترجمة خلاصة التعليقات التى

كانت توردتها الصحف الأجنبية ، وقدموها لكبار المسئولين في حكومة باكوفو Bakufu . وبذلك أصبح أولئك المسئولون على دراية بكافة أنواع النقد التي كانت الدول الأخرى تكيهه للحكومة اليابانية . كما كانوا في وضع يؤهلهم لانتقاد الجهاز الحكومي الذي يعملون فيه في كثير من الأحيان .

اللغة هي إحدى مهارات الإنسان . وكما ارتفع مقام البيروقراطيين بفضل مهاراتهم اللغوية ، وكانوا محايدين ، فقد ارتفع مقام مهندسيو الانتاج التكنولوجي ، فأصبحوا من ذوي الخبرة في مجال التنظيم الصناعي . فعلى سبيل المثال ، نجد أن اوشيما تاكاتو Oshima Takato كان أحد رجال الساموراي باقطاعية نانبو Nanbu ، وقام ببناء أول فرن عاكس في اقطاعية ميتو Mita كما قام بتطوير منجسم حديد كامايشي Kamaishi . وكان هناك كثيرون من الرواد في مجالات التكنولوجيا . وتخطت جهود أولئك الرواد المصالح الضيقة لمقاطعاتهم . وكان تاكيدا اياسابورو Takeda Ayasaburo (١٨٢٧ - ١٨٨٠) أحد أولئك الرواد ، وكان من موظفي حكومة باكوفو Bakufu ، ونال تقدير الحكومة باعتباره خبيرا في مجال التكنولوجيا العسكرية . ولعب دورا في فتح موانئ اليابان . وعاد بعد فترة الى ايدو Edo حيث لعب دورا رئيسيا في تصنيع السلاح بمصنع سيكيجوتشي Sekiguchi للمدافع ، وفي الترسانات الأخرى . وحرص على عدم الاشتراك في الصراع القائم بين حكومة باكوفو والقوات المعادية للحكام العسكريين Shogunate . فقد كان يعتقد اعتقادا راسخا بأن مهمته يجب أن تقتصر على صنع السلاح فقط ، ولا يجب أن تمتد الى الحرب في ميدان القتال . لذا فقد تعرض لكثير من النقد من جانب المؤيدين لحكومة باكوفو Bakufu ، ولكنه تمسك بموقفه المحايد كأحد الخبراء في مجال التنظيم الصناعي . وتحول الى العمل تحت لواء حكومة الميجي Meiji الجديدة فيما بعد .

وكانت شخصية انيوموتو تاكيaki Enomoto Takeaki شخصية مختلفة تماما (١٨٣٦ - ١٩٠٦) ، وان كان من خبراء التنظيم الصناعي . وولد انيوموتو في أسرة تنتمي الى طبقة الساموراي الدنيا ، ولكنه ارتفع الى صفوف الطبقة البيروقراطية بفضل انجازاته في فترة حكم باكوماتسو Bakumatsu . وكان ترتيبه الثاني بين الطلاب الذين تخرجوا من المدرسة البحرية في ناجازاكي ، ثم ذهب الى هولندا للدراسة . وكان انيوموتو يختلف عن تاكيدا ، فقد كان يدين بالولاء الشديد لحكومة باكوفو Bakufu ، باعتباره من صفوة

البيروقراطيين . وانضم الى العمل لدى حكومة الميجي Meiji ، عقب سقوط حكومة باكوفو وانهيار النظام العسكري بعد معركة هاكودت Hokodate ، شأنه في ذلك شأن معظم خبراء التنظيم الصناعي الذين عملوا لدى حكومة باكوفو Bakufu ، ثم انضموا تحت لواء حكومة الميجي Meiji الجديدة .

لذلك فقد كان من الطبيعي أن تلتزم حكومة الميجي Meiji بسياسة التصنيع التي وضعها خبراء التنظيم الصناعي ، عندما كانت حكومة باكوفو تسيطر على مقاليد الحكم في البلاد . وعمل قادة حكومة الميجي Meiji على تركيز السلطة السياسية في أيديهم ، وذلك بعد أن تفرقت بين أيدي الكثيرين من الحكام الاقطاعيين في الاقطاعيات بما يتماشى مع النظام اللامركزي الذي اتبعته حكومة باكوفو ، الذي حولته حكومة الميجي Meiji لنظام مركزي .

كانت الوحدة إحدى سمات التكنولوجيا والصناعة أثناء حكم استعادة الميجي Meiji Restoration ومن أجل زيادة الوحدة وتماسك السلطة ، عملت الحكومة على استكمال شبكة التلغراف القومية ، وتصنيع القاطرات البخارية محليا . وسعت الحكومة لتحسين كفاءة أنظمة النقل وتوزيع المعلومات في كافة أنحاء البلاد ، كما أسست وزارة الأشغال العامة عام ١٨٧٠ . وتعددت مهام هذه الوزارة . وتمثلت هذه المهام في القيام بالأبحاث في مجال الهندسة ، والنهوض بالتصنيع ، وتأمين وإدارة المناجم ، وصناعة السفن وإصلاحها ، وتوفير معدات السفن ، ومد السكك الحديدية وإدارتها ، وأنظمة التلغراف . وفي جميع هذه المحاولات ، كان الغرب هو النموذج المثالي الذي تحتذيه اليابان .

عملت حكومة الميجي Meiji على اتباع سياسة الحكومة السابقة ، فواصلت سياسة التنمية الصناعية ، والسير بخطى واسعة ، فاستقدمت المهندسين الغربيين واستعانوا بالآلات الغربية . وعملت الحكومة كذلك على استيراد التكنولوجيا في جميع المجالات ، وسعت الى الاستفادة من مهارات المتخصصين الأجانب في تعليم اليابانيين . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل فامت بوضع الاطار العام للدولة ، وتخطيط البنية الادارية والاقتصادية الذي تعمل الدولة من خلاله . ويمكن لنا القول بأن اليابان كانت أشبه ما تكون بمعمل التجارب في نظر مثقفي أوروبا في القرن التاسع عشر . فقد كانت اليابان دولة تختلف عن أية دولة أخرى في قارة آسيا . ولهذا السبب فقد كان الخبراء الأجانب الذين استقدمتهم الحكومة اليابانية من أكفأ الرجال في بلادهم . وأصبح من

المعروف لدى الغرب منذ اقامة المعرض الدولي فى لندن عام ١٨٦٢ ، أن اليابان دولة لم يسبق للأوروبيين التدخل فى شئونها قط ، كما أنها دولة ذات نظام نقافى متكامل بشكل فريد . وكان ادخال الحضارة الغربية الى اليابان مثار اهتمام كثيرين من المثقفين الأوروبيين .

سعى كثيرون من المتخصصين فى مجالات العلم والتكنولوجيا الى الذهاب لليابان أثناء فترة الميجي Meiji . وكانت اليابان تقبل معظم دون تردد . وكانت التكنولوجيا الحديثة ماتزال فى طور النمو فى منتصف القرن التاسع عشر ، وكان التغيير والتطوير يسيران بخطى ثابتة . أما فى مجال صناعة السفن ، فلم تعد السفن تصنع من الخشب فقط ، بل أصبحت تصنع من الخشب والحديد معا ، ثم أصبحت تصنع بكاملها من الحديد . وكانت الطاقة الكهربائية ماتزال فى مهدها . وتم الاعتراف بالعلم والهندسة كمهنتين مستقلتين فى نهاية الأمر . وأخذ التطور التكنولوجى يعتمد على عملية المحاولة والخطأ والتجريب .

لم تكن وزارة الأشغال العامة وحدها صاحبة شعار « زيادة الانتاج والنهوض بالصناعة » ، بل شاركتها وزارة الشئون الداخلية فى رفع ذلك الشعار . وبخلاف وزارة الأشغال العامة التى اعتمدت اعتمادا كاملا على تطبيق النماذج المثالية الغربية ، نجد وزارة الشئون الداخلية تعتمد على الزراعة كأساس لها ، وتسعى لادخال عنصر التصنيع على الصناعات الحرفية التقليدية فى الريف . بل ان هذه الصناعات الحرفية تطورت كثيرا بعد ادخال الاسلوب الصناعى الغربى عليها . واستفاد النظام الزراعى كثيرا بعد أن قامت محطات التجارب الزراعية باختيار السماد والنباتات المحسنة . وأجرى تحسينا على نوعية الحرير الخام - الذى كان أهم منتج تصدره اليابان - وذلك بتطبيق الأساليب الإيطالية والفرنسية . وقد أثنى كثيرا على الحرير الخام اليابانى فى المعرض الدولى الذى أقيم فى فيينا عام ١٨٧٣ . واقترنت الأساليب الفرنسية فى لف خيوط الحرير على بكرات الحرير بالأساليب التقليدية ، فنتج عن ذلك ابتكار اسلوب جديد فى لف خيوط الحرير . وانتشر ذلك الاسلوب الجديد انتشارا واسعا بين أصحاب الصناعات الحريرية الصغيرة . وأدخلت وزارة الشئون الداخلية الأساليب الغربية فى مجالات أخرى مثل عزل ونسج الأقمشة الصوفية ، كما سعت الى توفير النماذج المثالية التى تساعد على الارتقاء بالأساليب المحلية .

فى عام ١٨٧٧ ، أقامت وزارة الشئون الداخلية معرضا قوميا فى حى يونو Ueno بطوكيو ، على غرار معرضى باريس وفيينا . وطبقت اليابان مبدأ التنافس الصناعى بين دول العالم فى المعارض الدولية على

المستوى المحلي فى ذلك المعرض . وبلغ عدد المعروضات ٨٠ر٠٠٠ قطعة ، وبلغ مجموع المعارضين ١٦ر٠٠٠ عارض ، وزار المعرض ٤٠٠ر٠٠٠ زائر . وعرضت كثير من آلات الغزل وبكرات لف الحرير ، ولكن جميع تلك الآلات كانت تدار بقوة المياه . وكانت الآلة الوحيدة التى تدار بقوة البخار من تصميم وزارة الأشغال العامة . وكان ذلك المعرض نموذجا مصغرا لدولة فى أوائل عهدها بالتصنيع . وكانت الشموع والمصابيح الزيتية ومصابيح الغاز معروضة بجانب نول النسيج المستورد من فرنسا ، ولم يختلف ذلك النول كثيرا عن النول التقليدى . وأقيمت تلك المعارض خمس مرات أثناء فترة حكم الميجى Meiji تحت رعاية الحكومة . وساهمت تلك المعارض فى التوسع الصناعى فى كافة أنحاء البلاد .

بذلت الوزارتان جهودا كبيرة لتعليم الهندسة . وأقامت وزارة الأشغال العامة كلية الهندسة (Kobu Daigakka) عام ١٨٧٧ ، وهو العام الذى أقيم فيه المعرض القومى . وكان يجرى تدريس الهندسة المتخصصة فى هذه الكلية ، وكانت هذه الكلية تفخر باتباع نظام مثالى فى تدريس الهندسة المهنية لم تسبقها اليه أية دولة أخرى فى العالم . ولكن تدريس هذا البرنامج الهندسى كان مكلفا جدا ، حتى أن الحكومة اضطرت الى وقفه بعد سنوات قليلة . وقامت اليابان بتعليم التكنولوجيا الحديثة وفقا لبرنامج تعليمى مخطط . وساهم المتخصصون والمستشارون الأجانب فى ادخال نظم التكنولوجيا . وساعد النظام التعليمى - الذى أكد على الجانب العملى للتعليم - على تطوير التكنولوجيا الصناعية أثناء فترة حكم الميجى

هذا المقال هو صورة موجزة لاتجاهات التكنولوجيا فى الفترة السابقة لحكم الاستعادة وبعدها . وفيما يتعلق بالتكنولوجيا ، فقد حدثت الاستعادة فى المجال السياسى فقط ، وواصلت حكومة الميجى Meiji حركة التصنيع التى بدأت أثناء فترة حكم طوكوجاوا وبدأ الاتجاه نحو التصنيع والتصدير أثناء فترة حكم باكوماتسو . وعمل خبراء التنظيم الصناعى الذين جاءوا بعد ذلك على استمرار ذلك الاتجاه .

واستأجرت وزارة الأشغال العامة الخبراء الأجانب لنشر التكنولوجيا فى طول البلاد وعرضها . وبدأت عملية انتقاء التكنولوجيا ، بعد قيام حكومة الاستعادة ، لاختيار ما يتناسب منها مع أحوال البلاد الاجتماعية والطبيعية ، وأصبح من المعروف لدى اليابانيين أن التكنولوجيا الحديثة ليست ظاهرة خاصة ، بل يمكن لاية دولة الاستعانة بها ، ولكن لم تقم اليابان بمواءمة التكنولوجيا مع البيئة اليابانية الا فى بداية القرن العشرين .

الانتقال من مرحلة نقل التكنولوجيا الى مرحلة الاستقلال التكنولوجى

بقلم

Hayashi Takeshi

هاياشى تاكيشى

معهد التنمية الاقتصادية

طوكيو - اليابان

عناصر ومراحل تواجد التكنولوجيا :

سبق أن عرفنا التكنولوجيا بأنها نظام للخبرات والمعرفة . ونحن نختار هذا النظام عن قصد كوسيلة توفر لنا الانتاج وتعطينا منتجا ما (كالسلع والخدمات والمعلومات) . والمعرفة التى تكمن وراء التكنولوجيا الحديثة لا تقوم الا على المبادئ العلمية وحدها ، ولكن يمكن لآى شعب فى أى عصر استخدام المبادئ العلمية بلا وعى - أى بلا قصد - لتكوين العادات والتقاليد ، وبدون الحاجة الى الرجوع لمصطلحات العلم الحديث .

وبما أن التكنولوجيا هى تطبيق للمبادئ العلمية ، فانها ترتبط بمشاكل التنمية اليوم ، كما أنها تعمل فى ظل قيود معينة . وتتمثل هذه القيود فى الظروف الطبيعية والموارد المتاحة وأساليب العمل ووسائل النقل والطاقة . ومن الناحية النظرية ، فلا بد أن تتزامن التكنولوجيا مع الثقافة ، ولكن واقع الأمر ، هو أن أشكال التكنولوجيا تتعدد وتختلف من بلد لآخر . وإذا كانت النزعة العالمية تغلب على العلم سواء بشكل نظرى أو عملى ، فالحال يختلف بالنسبة للتكنولوجيا . وبما أن التكنولوجيا ليست عالمية ، فهى تميل للجانب النفعى أو العملى .

تكمن مزايا التكنولوجيا الحديثة فى امكانية نقلها من بيئة لآخرى . ولكن نقل التكنولوجيا من مكان لآخر يتطلب توافر بعض الظروف

والاشتراطات الأساسية ، ولهذا السبب فاننا نجد أن أداء التكنولوجيا يختلف طبقا للزمان والمكان .

تعتمد التكنولوجيا فى وجودها على خمسة عناصر أساسية هى :
(١) المواد وتشمل الطاقة (٢) القوة العاملة (٣) الآلات (٤) الادارة (٥) الأسواق . ونحن نخطيء اذا أشرنا الى العنصر الثالث فقط أى الآلات وحدها ، عند مناقشتنا لقضية التكنولوجيا والتنمية . وتكنولوجيا الانتاج لا تعمل بصورة صحيحة فى غياب أى عنصر من العناصر الخمسة . وتنخفض المحصلة النهائية للانتاج ، اذا انخفض العامل المشترك الذى يوحد بين هذه العناصر الخمسة ذلك لأن طريقة عمل التكنولوجيا تعتمد على الترابط الداخلى بين العناصر الخمسة .

لابد من توافر العناصر الخمسة لدى أى قطاع صناعى . ففى حالة الطاقة مثلا ، يمكن عدم توليد الطاقة الكهربائية فى المصنع ذاته ، بل يمكن الحصول عليها من مصنع آخر . كما أنه لا يتحتم على بعض الصناعات التى تنتج وتبيع المواد ، كالحديد والصلب ، أن تنتج منتجات مكتملة المصنع ، بل يمكن لهذه المنتجات أن تكون على درجات متفاوتة من التصنيع . ولكن أهمية العناصر الخمسة تبقى كما هى بالنسبة لكل قطاع ، بل ان أهميتها نظل كما هى حتى بالنسبة للمتخصصين فى صناعة الآلات التى تدير مصانع الانتاج . فتوافر هذا العنصر يقتضى بالضرورة توافر العناصر الأربعة الباقية . ويمكن أن يتحقق الاستقلال التكنولوجى عندما تترابط العناصر الخمسة معا . وتتميز التكنولوجيا الصناعية الحديثة بوجود الروابط الأفقية والرأسية والمتعددة الجوانب والمتعددة الطبقات بين القطاعات الصناعية .

باستعراضنا للعناصر الخمسة الأساسية التى تعتمد عليها التكنولوجيا ، يسهل علينا معرفة العقبات التى تواجه التصنيع والنهوض بالبلاد ، كما يمكننا تحديد مدى ارتباط هذه العقبات بأى عنصر من العناصر الخمسة . ويعتمد عطاء الوحدة الانتاجية على مدى توازن وتناسق العناصر الخمسة داخل الوحدة . كما يمكن الحصول على أداء أفضل عن طريق تعديل وتقييم هذه العناصر . واذا أجرى أى تحسين أو تغيير على أى عنصر من العناصر الخمسة ، فلا بد أن يشمل ذلك العناصر الأربعة الباقية . واذا كان التحسين على مستوى عال ، فسوف يزيد عطاء الوحدة الانتاجية بصورة كبيرة .

يساعد الامام بهذه العناصر الخمسة على ما اذا كان نقل التكنولوجيا سيكون أمرا سهلا أم صعبا . فعلى سبيل المثال ، فانه يصعب على دولة ما أن تستورد تكنولوجيا تحتاج لموارد لا تمتلكها هذه الدولة ، ويزداد

الأمر صعوبة حين تحاول تطوير هذه التكنولوجيا .- وقد تمتلك بعض الدول هذه الموارد ، فتستخدم تكنولوجيا محلية قد تكون عتيقة الطراز من حيث طبيعتها وحجمها . وفي هذه الحالة ، فإنه حتى لو لم تتمكن الدولة من استبدال العناصر الخمسة العتيقة بعناصر خمسة حديثة ، فيمكننا أن نجد ترابط بين الاثنين مما يساعد الدولة على نقل التكنولوجيا بسهولة .

لتحقيق التنمية عن طريق نقل التكنولوجيا ، هناك خمس مراحل لابد من اجتيازها للوصول الى الاستقلال التكنولوجي . وهذه المراحل هي :
(١) اكتساب الأساليب التشغيلية (٢) توافر المهارات الفنية والصيانة (٣) أساليب الإصلاح والتحسينات الطفيفة (٤) التصميم (٥) الانتاج المحلي أو ادارة أنظمة جديدة للتنمية . وفيما يتعلق بالمرحلة الأولى ، فإن تشغيل الآلة دون الحصول على تدريب مناسب ، يؤدي الى خطورة بالغة لكل من العامل والآلة ذاتها . فالأساليب التشغيلية لا تتأتى الا بالمران المستمر . ومن هنا تأتي أهمية المرحلة الثانية . فباستمرار المران وزيادة الخبرة ، تتوافر للعامل المهارات الفنية وأساليب العمل المتقدمة الأكثر تعقيدا . كما تجدر الإشارة الى أن عمر الآلة وكفاءتها يعتمدان على الصيانة المناسبة . ومن ثمة فإن المرحلة (١) و (٢) ترتبطان ارتباطا لا ينفصم . فكلما زاد تقدم التكنولوجيا، كلما تعقدت صيانة الآلة . ولابد للعامل أن يكون على دراية تامة بطرق الإصلاح الدوري للآلة واستبدال الأجزاء المستهلكة أو التالفة . ولا تتأتى السيطرة الكاملة على التكنولوجيا الا من خلال الصيانة فالصيانة هي لب الادارة التكنولوجية . ويعنى كل مهندس بأنه لا توجد آلة ، ولا يوجد مصنع يعمل بنفس الكفاءة التي أرادها له مهندسو التّصميمات عند بناء المصنع بشكل مستديم . أما اذا كان مستوى الأداء منخفضا ، فهذا يعنى عدم التمكن من السيطرة على الأساليب التشغيلية بصورة متكافئة ، أو قد يعنى ضرورة القيام بتحسينات على التصميم الأصلي . وقد بين لنا التاريخ أن استقرار وتطبيع التكنولوجيا فى بيئة جديدة يحتاج دائما لوقت طويل . وبعدئذ تأتي المرحلة الثالثة حيث تحتاج التكنولوجيا الى عمليات الإصلاح والتحسينات .

نظرا لأن نظريات التصميم بالمرحلة الرابعة موحدة قياسيا ، فإنه من السهل تعلم ونقل هذه النظريات باعتبارها نوعا من الخبرات العلمية والهندسية . وبما أن التصميم موحّد قياسيا ، فسوف يزداد استخدامه على المستوى العالمى . ويتحقق الاستقلال التكنولوجي عندما تتوافر القدرة على ادخال عدة تحسينات بسيطة على العمليات الهندسية ، وتتوافر قدرات هندسية منظمة تتناسب مع الأساسيات التكنولوجية المحلية ، وتتوافر المعرفة المتعلقة بالمبادئ العلمية .

وكما نرى ، فإن الاستقلال التكنولوجي في حقل ما انما يعتمد على تطوير القطاعات التكنولوجية الأخرى المرتبطة به . كما أن تكنولوجيا صناعية محددة قد تكون بمثابة القوة الدافعة التي تساعد على وضع برنامج يسير في هذا الاتجاه . وبعبارة أخرى ، يمكن القول بأنه يمكن اختيار تكنولوجيا معينة ، وبالتالي اختيار صناعة معينة . ويمكن نقل التكنولوجيا بما يتماشى مع خطط التنمية القومية . وينبغي اعطاء الأولوية لهذه الصناعة ، كما ينبغي مواءمة أى تعديل يجرى على هذه الصناعة مع الصناعات الأخرى المرتبطة بها ، بحيث يتم هذا التوائم على مراحل . وفي أثناء ذلك يمكن للدولة النهوض بصناعاتها ، فيتحقق لها الاستقلال التكنولوجي . ويستتبع ذلك نقل وتطبيق التكنولوجيا الحديثة . وهذه هي مرحلة « الاعتماد على الذات » .

سلكت اليابان طريقا مختلفا عن الطريق الذي سلكته روسيا والصين . فقد اختارت المضي في طريق الرأسمالية متى يتسنى لها الأخذ بأسباب التقدم . ولم يكن أمامها خيار آخر . ولهذا السبب ، فإننا نجد بعض التشابه المخيف بين التصنيع الرأسمالي في اليابان وتجارب الدول الأوروبية . وكما هو الحال في أوروبا ، فقد تطورت الصناعة الثقيلة في اليابان على أساس تطور الصناعات الخفيفة . وأثناء هذه المرحلة ، كانت هناك فترة سار فيها كل شيء في طريق الاعداد للحرب . ولكن سرعان ما غيرت اليابان مسارها بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ، فغدت تمتلك اليوم تكنولوجيا فائقة التقدم ، وأصبح بمقدورها تطوير تكنولوجيا جديدة . وتغيرت الأحوال في اليابان ، فبعد أن اضطرت اليابان الى استيراد التكنولوجيا من الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية في الماضي ، أصبح بمقدورها تصدير التكنولوجيا لهذه الدول وللدول الأخرى . وكان الطريق الذي سلكته اليابان لتحقيق تقدمها الحالي طريقا شاقا ومؤلما . ولم يتحقق هذا التقدم الا بعد انقضاء ما يزيد على قرن من الزمان ، مرت اليابان خلاله بتجارب مريرة . وتعد اليابان قدوة تحتذيها الدول النامية الأخرى ، فبما أن اليابان - تلك الدولة التي كانت نامية ذات مرة - قد استطاعت تحقيق كل هذا التقدم ، فيعني ذلك أن هذا ممكنا لأي دولة ، نامية أخرى ، فلا بأس أن تحذو الدول الأخرى حذوها .

تجربة اليابان

أشرت فيما سبق الى أن اليابان قد اختارت المضي في طريق الرأسمالية ، وأن هذه الرأسمالية تشابهت مع الرأسمالية التي اتبعتها الدول الأوروبية . فما سبب هذا التشابه ؟ قد لا يكون من السهل علينا الاجابة على هذا السؤال في سياق تناولنا لمشاكل التنمية ، وذلك نظرا

لأنه لم تجر في اليابان أبحاث علمية مستفضية حول هذا الموضوع حتى الآن .

اليابان قبل العصر الحديث

هناك عدة عوامل أدت الى وجود تشابه بين اليابان والدول الغربية . فقد تشابهت اليابان مع انجلترا ، فقد كان تعداد السكان واحدا في البلدين تقريبا وقت قيام الثورة الصناعية في كل منهما . وإذا كان الأمر يتطلب تحليل البنية الاجتماعية اليابانية ، وخاصة التركيب الطبقي ، حتى يمكن تقييم اليابان تقييما دقيقا ، فإن ذلك يعد مؤشرا على أن اليابان كان قد أصبح لديها سوق قومية متكاملة وقت قيام الثورة الصناعية . وإذا افترضنا أن حجم اليابان كان متكافئا مع معدل السوق المحلية ، فيمكننا القول بأن التكامل الاجتماعي ذا المستوى العالي في اليابان - تلك الدولة الجزرية - ساعد على توفير الظروف الملائمة للأخذ بأسباب التقدم .

كما يجدر بنا أن نلاحظ أن اليابان قد مرت بتجربة المجتمع الاقطاعي الناضج دون أن تتعرض للتدخل الأجنبي . وكان من الطبيعي أن يختلف النظام الاقطاعي في اليابان عن الأنظمة الاقطاعية التي عرفتها أوروبا من الناحيتين الاجتماعية والتاريخية . ولكن وصول اليابان لمرحلة النضج قبل العصر الحديث قد ساعدها على مواجهة المؤثرات الخارجية ومسايرة طابع العصر والأخذ بأسباب التقدم . فما كانت اليابان لتقدر على مواجهة الغرب ، إذا لم تكن قد مرت بالتغيرات السياسية والاجتماعية الكبرى ، التي تمثلت في قيام حكومة استعادة الميجي .

لم تقع الثورة السياسية عام ١٨٦٨ بين عشية وضحاها أو بدون تحذير سابق . بل كانت تمثل ذروة الأحداث التي أخذت تتطور على مدى عشرات السنوات ، شأنها في ذلك شأن بقية الأحداث التاريخية . وبدأت ارماسات التغيير الاقتصادي والتكنولوجي في الظهور منذ عام ١٨٢٠ ، ولكن التحول كان يتحين الفرصة للظهور . فكان عليه الانتظار حتى وصول الأسطول الأمريكي الى خليج ايدو عام ١٨٥٣ بقيادة الكومادور بيرى ، قادما من الهند الشرقية ، فاضطرت اليابان الى فتح أبوابها على مصراعها أمام التجارة الدولية ، بعد أن هدد الأسطول باستخدام القوة العسكرية إذا لم ترضخ لطلبه . وكشف ذلك الحادث عن عدم مقدرة حكومة طوكوجاوا Tokugawa على مواجهة التطورات الجديدة ، وعجل بسقوطها .

لفت وصول الأسطول الأمريكي الذي أطلق اليابانيون عليه اسم « السفن السوداء » أنظار اليابانيين الى أهمية التكنولوجيا . وبعد هزيمة الصين على يد القوة الغربية في حرب الأفيون - وكانت حضارة الصين

قد أسهمت بدور كبير فى تطور اليابان - أدرك بعض المثقفين فى اليابان قوة التكنولوجيا العسكرية الحديثة . وكانت بعض المعلومات المتفرقة المتعلقة بالتكنولوجيا والعلوم العسكرية تدخل اليابان عن طريق ميناء ناجازاكي . وكان هذا الميناء هو النافذة الوحيدة التى تطل منها اليابان على العالم . وسمحت حكومة طوكوجاوا لهولندا والصين فقط بدخول هذا الميناء . وكانت فئة قليلة العدد من الأطباء والخبراء العسكريين هى القادرة على قراءة الكتب الهولندية المتعلقة بالموضوعات التقنية . وكانت تلك الفئة قد درست اللغة الهولندية (ولم تكن تحظى بمكانة عالية فى المجتمع) . وأقبل المثقفون على قراءة المؤلفات الغربية التى تناولت موضوعات العلوم والتكنولوجيا ، بعد أن قامت البعثات التبشيرية بترجمتها للغة الصينية . وكان تأثير أولئك المثقفين كافيا لدفع الجهود نحو صناعة المدافع وإقامة الأفران العاكسة بعد أن تمت الاستعانة بالمعلومات الواردة فى الكتب المترجمة . وتجاهلت الاقطاعات القوية فى الجزء الجنوبى الغربى من اليابان الحظر الذى فرضته حكومة باكوفو على استيراد الكتب الغربية ، فجلبت كتب العلوم والتكنولوجيا الغربية (وحصلت على الأموال التى تدفعها فى شراء تلك الكتب عن طريق تجارة التهريب . وأخذت هذه الاقطاعات بزمam المبادرة فيما بعد لتكوين حكومة الميجى Meiji الجديدة ، وتولى كثيرون من الرجال الموهوبين بهذه المقاطعات مناصب هامة فى تلك الحكومة .

وجهها الاستعادة

كثيرا ما يضح المثقفون بالشكوى فى الدول النامية حينما نبدا فى مناقشة تجربة اليابان المتعلقة باستعادة الميجى Meiji Restoration فهم لا يعنيه الماضى ، ولا يهتمون الا بعلوم وتكنولوجيا اليوم . ولكن التكنولوجيا لا تعنى الآلات وحدها . وبدون عناصر التكنولوجيا الخمسة التى أشرنا اليها فيما سبق ، لا يمكن للتكنولوجيا أن تؤدى وظيفتها . واليد العاملة (المهندسون والعمال) هى احدى هذه العناصر الخمسة . ولا يظهر العمال المهرة الا بعد مرور فترة طويلة من الزمن ، اذ لا يمكن لقاطح الأشجار فى يوم أن يتحول الى صناعة السفن فى اليوم التالى . ولا يمكن للمزارع أن يصبح عاملا على مخرطة ميكانيكية فى يوم وليلة ، كما لا يمكن لعامل المصنع أن يتحول الى فلاح الأرض فى فترة وجيزة . فالمزارع تتوافر لديه معلومات غزيرة ومهارات كثيرة تتعلق بالمحاصيل والتربة وتربية المواشى والرى وأساليب الزراعة والحفاظ على المحاصيل وطرق تخزينها ، كما تتراكم لديه خبرات غزيرة فى هذه النواحي . هذا فضلا عن أن المزارع ذاتى العمل ، فهو لا يعمل لدى طرف ثان . ويتوافر

كل هذه الخبرات ، يستطيع المزارع أن يبدأ العمل في قطاع ثالث كالتجارة مثلا ، أكثر مما يستطيع العمل بأحد المصانع ، اذ لا يمكن للمرء العمل في المصانع الحديثة الا بعد اكتساب المهارات . ولا تتأتى هذه المهارات الا بالتدريب الشاق . واذا لم يلتزم العامل بتطبيق قوانين العمل الجماعي دون تهاون ، فلن يعرض نفسه فقط لمخاطر الاصابة الجسدية أو حتى الموت ، بل قد يعرض زملاءه في العمل لمثل هذه المخاطر .

يتطلب تحول الأمة من الزراعة الى الصناعة سنوات طويلة من العمل الشاق . وقد قمت فيما سبق بتصنيف المراحل الخمس التي لابد أن تجتازها الأمة حتى يتحقق لها الاستقلال التكنولوجي بعد نقل التكنولوجيا . وقد تستطيع أمة حديثة العهد بالتطور الصناعي أن تجتاز كل مرحلة من هذه المراحل بسرعة حين تستفيد من خبرات الأمم السابقة ، بل وحين تعثر على طرق أفضل . ولا تحتاج هذه الأمة قضاء الكثير من الوقت ، كما كان الحال بالنسبة للأمم السابقة ، ولكنها لن تستطيع أن تحذف أو تتخطى أية مرحلة من المراحل الخمس ، اذا ما أرادت تحقيق الاستقلال التكنولوجي الحقيقي .

اذا عدنا لتجربة اليابان ، فلم يلبث المزارعون ، الذين كانوا يهتمون بزراعة الأرز في المقام الأول – أن اعتادوا على العمل التعاوني المنظم في مجال بناء وصيانة ورقابة وحدات الري اللازمة لزراعة الأرز . وتزايد اهتمام اليابانيين بأساليب الانتاج في أوائل القرن التاسع عشر ، بعد أن تعرضوا لزيادة الضغوط السكانية ، وقاموا بتجديدات كثيرة في مجال الانتاج . ولم يعد المزارعون الأثرياء الذين توافر لديهم الوقت والمال هم وحدهم الذين يهتمون بالتكنولوجيا الجديدة دون سواهم ، فقد أظهر صغار المزارعين المستأجرين رغبة شديدة في التعلم . ولم تصدر عنهم أية بادرة لرفض التكنولوجيا . ووصل الانتاج الى أقصى درجة يمكن بلوغها بعد الاستعانة بأساليب التكنولوجيا القائمة ، ولم يبق أمام اليابان سوى ادخال نظام التكنولوجيا الجديد . وكان هناك اجماع قومي على ضرورة نقل التكنولوجيا الجديدة . وكان ذلك يعني تحول المجتمع الياباني من مجتمع زراعي الى مجتمع صناعي ، وكان لابد من تغيير بنية المجتمع ومبادئه تغييرا شاملا . وكان المجتمع الياباني في حاجة الى ثورة سياسية . وجاءت هذه الثورة في صورة استعادة الميجي Meiji Restoration وفي ظل النظام الجديد حصل أفراد الشعب على الحق في اختيار مكان اقامتهم ، وفي اختيار العمل الذي يناسبهم ، فتركت لهم حرية العمل في التجارة أو الزراعة . وساعدت هذه الحريات الاجتماعية والاقتصادية على ازدهار الرأسمالية في اليابان .

أما الوجه الآخر للميجي Meiji فهو أن الحرية السياسية ، وخاصة اشتراك الشعب في السياسة ، قد تأخرت بعض الشيء . وتمثلت مطالب الشعب للاشتراك في السياسة في الحركة الشعبية للمطالبة بالحقوق ومنح الحريات (Jiyu minken undo) وفامت الحملات في القرى والمدن الكبرى بجميع أنحاء البلاد احتجاجا على مركزية الحكم وسيطرته أقلية صغيرة على مقاليد الحكم في البلاد . وتزعمت طبقة الساموراي السابقة - التي كانت تشكل أقل من ١٠ بالمائة من مجموع السكان ، والتي ألغت الحكومة الجديدة مكانتها الاجتماعية وموارد رزقها - قيادة تلك الحملات . ثم تولى المزارعون الأثرياء قيادة تلك الحملات بعد ذلك . وأقامت الحكومة نظام الانتخاب القومى عام ١٨٨٩ ، ولكن لم يتم إلغاء القيود المفروضة على حق الانتخاب ، بما كانت تتضمنه من نصوص قانونية تتعلق بحجم الضريبة والعقارات والدخل والخلفية التعليمية ، الا فى عام ١٩٢٥ ، وأصبح لجميع الذكور ، ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٥ عاما فما فوق ، الحق فى الانتخاب . ولم تحصل النساء على حق الانتخاب الا فى عام ١٩٤٥ . حينما تساقطت البقية الباقية من مؤسسات الميجي Meiji عقب هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية .

قبل أن تتحقق أية حرية سياسية حقيقية ، كان لابد من قيام الثورة الصناعية وما صاحبها من نمو القوى الاجتماعية بصورة تدريجية (الصحافة وحركة العمالة) ، ولم توطد حكومة الميجي Meiji ساطتها ونمد نفوذها طول البلاد وعرضها ، الا بعد مضى عشرين عاما على قيامها ، ولم ترسخ مكانتها الا بعد قيام الحرب اليابانية الصينية عامى ١٨٩٤ - ١٨٩٥ . وكانت الحكومة فى حاجة الى ثلاثة عقود حتى توطدت شرعيتها السياسية .

دعمت الحكومة مركزها باتباعها سياسة التقدم ومسايرة طابع العصر ، وذلك حتى يتمكن من دفع حركة التنمية الرأسمالية ، وتضمن تدفق رأس المال المتراكم لدى طبقة المزارعين الأثرياء على القطاع غير الزراعى (١) . وما كان لذلك أن يتم لو لم تشرف الحكومة على عملية نقل التكنولوجيا ، ولو لم تتخذ الحكومة قرارا يسمح للشركات الأجنبية بتطوير المناجم واستخراج المواد الخام من باطن الأرض وامتلاك وتشغيل السكك الحديدية .

تحمس أصحاب الرأى لتلك السياسة القومية ، وايدوا سياسة التنمية التكنولوجية التى اتبعتها الحكومة ، فأدخلت الحكومة التكنولوجيا - ليس فقط فى مجل العلوم العسكرية - وانما فى جميع المجالات الأخرى التى شملت السكك الحديدية وصناعات الحديد والصلب والاتصالات

والتعليم العالي ، وذلك بعد أن استعانت بالخبراء الأجانب وأعطتهم أجورا خيالية ، بل ان أجورهم كانت تفوق أجور الوزراء . وبما أن الحكومة لم تكن تنظر بعين الرضا لجميع الأعمال التي كان يؤديها الخبراء الغربيون ، ونظرا لتزايد الطلب على الخبرة الفنية ، فقد قامت الحكومة المركزية والاقليمية (والمؤسسات الخاصة فيما بعد) بارسال كثيرين من الناس للدراسة في الخارج . وعاد أولئك الناس لليابان للاسهام في التنمية الصناعية والتعليمية بتصويب وافر (٢) .

اعداد المهندسين اليابانيين

كانت السياسة التي اتبعتها حكومة الميجي Meiji بشأن تدريب العاملين سياسة ناجحة تماما . وكان عالم الأمس يختلف عن عالم اليوم اختلافا كبيرا ، فقد كان عدد الخبراء محدودا نسبيا ، وكان أولئك الخبراء ينتقلون من مكان لآخر . وكانوا يعملون في أكثر من مكان في وقت واحد في بعض الأحيان ، فقد كانوا يجمعون بين العمل في الحكومة والعمل في المؤسسات الخاصة والجامعات أيضا . ونتيجة لذلك ، فقد ظهر نوع جديد من المهندسين في اليابان . وكانوا يستطيعون القيام بعدة مهام ، لأنهم كانوا على دراية واسعة بأساليب الآلات . كما كانوا يساعدون في سد العجز الناتج عن نقص كبار الميكانيكيين . وقاموا كذلك بتدريب العمال في مواقع العمل . وكانوا يتابعون آخر التطورات في مجال التكنولوجيا ويقومون بدور مهندسي التصميمات ، فيطبقون أحدث المعلومات على عمليات الانتاج . ولم تكن هناك فروق واضحة بين هندسة التصميم وهندسة التشغيل . وانتقل المهندسون بين العمل في هذين النوعين من الهندسة ، فأصبحوا مهندسين متمرسين ، وقسموا عملية التصنيع ، وأعادوا تنظيمها ، وأدخلوا التحسينات على الأدوات والمعدات حتى يسهل استخدامها وتصبح أكثر كفاءة وقدرة على الانتاج . كما درس المهندسون جميع النواحي المتعلقة بالتكنولوجيا . وبذلك توطدت دعائم التكنولوجيا الأجنبية في اليابان . ولم تساعد التحسينات التي قام بها المهندسون اليابانيون على تطبيع التكنولوجيا فحسب ، وإنما كانت قاعدة الانطلاق لتحقيق التطور التكنولوجي المستقل .

فعلى سبيل المثال ، فقد قام مهندس الماني يدعى ل . بيانتشي L. Bianchie ببناء مصنع للحديد الزهر . وكان ذلك الرجل حجة يعتد بها في مجال الحديد . وكان التصميم الذي وضعه لبناء الفرن العالي باهظ التكاليف ، ولكن سرعان ما انهار بعد شهور قليلة من بنائه ، وذلك لأنه لم يول اهتماما كبيرا للفروق الشاسعة بين أنواع الوقود والحديد

الخام فى كل من اليابان وأوربا • ولم يتغلب المهندسون الغربيون على تلك المشكلة ، بل قام بحلها المهندسون اليابانيون أنفسهم (٣) •

وقام المهندسون اليابانيون بعد ذلك بتطوير أسلوب تبخير مياه الينابيع والبحيرات لتحويل خام الحديد المنخفض الجودة الى حديد صالح للاستخدام • وفى الستينيات من القرن التاسع عشر قام المهندسون اليابانيون بوضع التصميمات لاستكمال بناء مصانع الصلب لتحويل خام الحديد المنخفض الجودة الى حديد صلب • وبذلك ساهموا فى تحويل اليابان الى دولة رائدة فى تكنولوجيا صناعة الصلب بالعالم • ويرجع سر نجاح هذه الصناعة الى التدريب الذى كان يتلقاه المهندسون اليابانيون منذ فترة حكم الميجى Meiji • ولا يمكن اغفال دورهم بأى حال •

وهناك عاملان ساعدا على ظهور المهندسين اليابانيين بأعداد وفيرة • وتمثل العامل الأول فى أن العلم والتكنولوجيا قد أصبحا ضمن المناهج الدراسية فى معاهد أوربا فى فترة حكم استعادة الميجى Meiji Restoration ، لذلك تمكن اليابانيون من تعلم نظرية الهندسة بشكل منتظم (٤) • وتمثل العامل الثانى فى أن معظم الآلات كان يجرى تجميعها يدويا آنذاك ، فكان يسهل تصنيع أو استبدال الأجزاء التالفة من هذه الآلات باتباع الطرق التقليدية التى كانت متبعة فى الحدادة والنجارة وأساليب طرق المعادن • وبمجرد فهم طريقة عمل الآلة ، كان بالإمكان استبدال الأجزاء الخشبية منها بأخرى معدنية (٥) •

وكان من الطبيعى أن تفوق النماذج الأصلية النماذج المقلدة من حيث الأداء وعمر الآلة وقدرتها على الانتاج ، ولكنها كانت باهظة التكاليف ، ولم يكن من السهل اصلاحها • كما لم يكن من السهل الحصول على بعض أجزائها • وطرحت الآلات المقلدة التى كانت تشبه الآلات الأصلية من حيث طريقة عملها فى الأسواق بكميات وفيرة • وشجعت تلك الآلات على انتشار التكنولوجيا •

فى عام ١٨٩٧ كان لآلات النسيج السابق فى قيام الثورة الصناعية فى اليابان • وكانت هذه الآلات عبارة عن أنوال مصنوعة من الخشب • وبدأت الأجزاء المعدنية تحل محل الأجزاء الخشبية بالتدريج ، حتى تم اختراع الآلات الاتوماتيكية عام ١٩٢٦ ، فأصبحت آلات النسيج تصنع بكاملها من المعدن • ويمكن القول ان تكنولوجيا الغرب الناضجة ساعدت التكنولوجيا اليابانية الحديثة على اجتياز مرحلة المراهقة والوصول الى مرحلة النضج • وبينما استخدمت الآلات الحديثة فى مصانع الغزل والنسيج ، فقد تزايد الطلب فى الأسواق المحلية على الأقمشة التقليدية ذات المساحة الضيقة، لا الأقمشة العريضة ذات الطابع الأوربى (وكانت اليابان

كنتج الأقمشة العريضة لتصديرها) . وبذلك تركت عملية نسج الأقمشة للقطاع التقليدي ، وأصبحت التكنولوجيا الجديدة ذات طابع محلي ، وامتزجت مع التكنولوجيا التقليدية . وتزايد الإنتاج بإتباع الأساليب التقليدية بعد أن تزايد الاستهلاك المحلي للأقمشة اليدوية ، فكان انتاج هذا النوع من الأقمشة اليدوية يتم بعد التعاقد مع صاحب العمل . وساعد ذلك على زيادة الروابط التي تربط بين التكنولوجيا الجديدة والقديمة . فلولا هذه الروابط ، لعانت التكنولوجيا المستوردة من العزلة ، وما كان لها أن تساعد في بناء السوق المحلية ودعمها ، أو أن تسهم اسهاما كبيرا في قيام الثورة الصناعية باليابان .

تكوين شبكة تكنولوجيا وطنية :

في العشرين سنة الأولى من القرن العشرين، شمل التطور التكنولوجي جميع الصناعات الرئيسية كصناعة الصلب والاتصالات والصناعات الثقيلة والصناعات الكيماوية ، وبذلك تكونت في اليابان شبكة تكنولوجيا وطنية ، فبلغ المستوى التكنولوجي في اليابان نفس المستوى الذي حققته أوروبا في القرن التاسع عشر . وكانت البلاد قد شهدت تغيرات كبيرة في استخلام الطاقة في القطاعات الصناعية المتقدمة . فحل البخار محل الساقية التي تدار بالماء . ثم عرفت اليابان القوة الكهربائية ، واقتصرت مصادر الطاقة على الخشب والفحم النباتي ثم الفحم الحجري . وأخيرا عرفت اليابان مصادر الطاقة الكهربائية الناتجة عن تساقط المياه ، ولكنها لم تتخل عن مصادر الطاقة القديمة ، بل ان القطاعات المتقدمة ظلت تستخدمها الى جانب مصادر الطاقة الكهربائية . فعلى سبيل المثال ، نجد أن الفحم النباتي عالي الجودة لم يستخدم في صناعة الصلب نظرا لطول فترة الحرارة الناتجة عنه فحسب ، بل أنه ساعد على تطوير أساليب معالجة الحرارة التقليدية المستخدمة في تشكيل وطرق المعادن ، والحفاظ على تلك الأساليب .

قدمت الحرب العالمية الأولى فرصة كبيرة للتكنولوجيا اليابانية حتى تتطور دون أن تلقى منافسة من جانب التكنولوجيا الغربية . فأحرزت تكنولوجيا صناعة الآلات والكيماويات وطرق المعادن تقدما ملحوظا في أثناء تلك الفترة ، وأخذت اليابان تصدر الآلات للأسواق الآسيوية منذ ذلك الحين .

اتسعت الفجوة بين مستويات التكنولوجيا في كل من أوروبا واليابان في مجال الآلات الكهربائية والصناعات الكيماوية والصناعات الثقيلة في سنوات الحرب العالمية الأولى ، ولكن الفترة التي استغرقتها اليابان في

نقل التكنولوجيا لسد تلك الفجوة كانت أقل عن ذي قبل ، اذ أن اليابان كانت قد تمكنت من اقامة شبكة تكنولوجية أساسية ، ولم تكن فى حاجة لاستيفاء جميع الشروط المسبقة التى يتطلبها نقل التكنولوجيا مرة أخرى . ويرجع الفضل فى ذلك للروابط التكنولوجية التى أوجدتها اليابان بين جميع قطاعات الانتاج .

فى عام ١٩٦٠ ، بدأت دول عديدة ، ومنها الدول النامية ، تظهر اهتماما بالتكنولوجيا اليابانية . فقد نهضت اليابان بسرعة فائقة ، ونفخت عنها غبار الدمار الذى احاق بها بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية ، ولكنها لم تبدأ من لاشئ . فرغم أن جميع المصانع والآلات كانت قد دمرت تقريبا أو تعطلت أثناء الحرب ، فقد بقيت لليابان قوتها العاملة ، فقد نجا بعض أصحاب الخبرة من أهوال الحرب التى خاضتها اليابان ، ليواصلوا تطوير التكنولوجيا بعد انتهاء الحرب . وبذلك لم تختلف اليابان عن المانيا التى خاضت غمار حربين عالميتين . وبدأت جميع التكنولوجيا والمهارات التى كانت قد حشدت لخدمة المجهود الحربى فى اليابان ، تتجه نحو خدمة الأحوال المعيشية للأمة مرة أخرى . وهذه حقيقة قد يتناسها الكثيرون أحيانا . فقد أوجد الأشخاص المهرة روابط تكنولوجية كثيرة ، وعملوا على تطويرها . وكان الدور الذى لعبه المهندسون والمقاولون بعد الحرب لا يقل أهمية عن الدور الذى لعبوه أثناء فترة حكم الميجى Meiji . ولم تمض فترة طويلة بعد الحرب حتى أخذت المؤسسات الخاصة بزماد المبادرة ، فكان لها السبق فى ارياد مجال التكنولوجيا المتطورة بعيدا عن أى تدخل من جانب الحكومة . وكما كان الحال فى مراحل التصنيع المبكرة فى فترة حكم الميجى Meiji ، فقد عملت الحكومة على تنفيذ برامج تدريب لمهندسى التكنولوجيا الذين كانوا يربون جميع انحاء العالم لجمع المعلومات ، ويخططون لتطبيق هذه المعلومات فى مجال الصناعة ، وانشغلوا بتنسيق سياسة التكنولوجيا والصناعة على المدى البعيد . هذا فضلا عن انتشار التعليم فى الميادين العلمية والتكنولوجية ، اذ أن التكنولوجيا الحديثة والمتطورة تتطلب عمال ومهندسين على مستوى عال من التعليم . ويعمل الجيل الذى تلقى تعليمه بعد الحرب على مواصلة النهوض بالتكنولوجيا الحديثة .

التطور التكنولوجى بعد الحرب العالمية الثانية :

كان من الطبيعى أن تستورد اليابان بعض التكنولوجيا بعد الحرب . وبشر ادخال أساليب الانتاج بالجملة بقدم مرحلة جديدة فى تاريخ الصناعة اليابانية . وزاد التنافس الصناعى بين الدول بصورة كبيرة ،

مما أدى الى الصدام الاقتصادي من آن لآخر . ويجدر بنا ملاحظة أن العمال اليابانيين قد شاركوا مشاركة فعالة في مجال الرقابة على الانتاج وجودته . ولفتت الميزات التي منحتها هذه الظاهرة للصناعة اليابانية انظار دول كثيرة للاستلوه الياباني في مجال الادارة وتكنولوجيا الادارة . كما استرعت شركات التجارة العامة في اليابان - التي لا مثيل لها في أية دولة أخرى - اهتمام العالم بأسره . ولكن هذه الشركات كانت عبارة عن تجمعات مالية ، كما كانت نتاجا للمجتمع والثقافة ، وكانت تمثل أنظمة تكنولوجية لم يكن من السهل انتقالها لدولة أخرى . ويمكن لأية دولة تجد ميزة في مثل هذه الأنظمة ، وترغب في تطبيقها ، أن تقوم بدراسة المبادئ الأساسية لهذه التكنولوجيا ، ثم تقوم بادخال أنظمة تتناسب مع ظروفها . وهذا شيء يمكن لأية دولة القيام به .

لا يمكن لأى نقاش يتناول التطور التكنولوجى فى اليابان بعد الحرب العالمية الثانية أن يتجاهل البيئة الدولية . فعلى سبيل المثال ، ازدهرت مصانع الصلب المتكاملة على طول الساحل الياباني بفضل توافر المواد عالية الجودة بكميات كبيرة على مدى فترة طويلة من الزمن ، بصورة لم يسبق لها مثيل . وتتطلب التغييرات التي طرأت على الموارد الدولية قيام اليابان بتغيير أنظمة التكنولوجيا القومية بها ، اذ لم تعد تكفيها الموارد التي اعتمدت عليها فى سنوات التصنيع الأولى ، وذلك بعد أن أصبحت دولة متقدمة صناعيا ، مما سيضطرها الى اجراء تحولات بنيوية على المدى البعيد ، أى أنها ستتخلى عن التقسيم الرأسى للعمل . وتتجه نحو التخصص الصناعى الأفقى على المستوى الدولى . ويبقى سؤال حيوى ، وهو هل ستمكن اليابان من تطوير تكنولوجيا جديدة تماما أثناء مرحلة التحول هذه ؟

الخلاصة :

ان الخلاصة التى قدمتها بشأن تجربة اليابان غير كافية فى حد ذاتها . وأنالم أتعرض لقضية هامة ، ألا وهى ازدواج بنية التكنولوجيا اليابانية . لقد ازدهرت مؤسسات كبيرة فى القطاعات التكنولوجية التى ساعدت على النمو القومى . وسعت هذه القطاعات التكنولوجية الى التطور دون النظر الى مسألة الربح . وأثناء عملية التطور ، انقسمت عمليات التصنيع المحدودة الى اجزاء مختلفة لاختصار الوقت المطلوب لاكتساب المهارات . وكانت عمليات التصنيع المحدودة تعمل بصورة منفصلة عن العمليات الكبيرة التى سعت الى تقليل تكاليف التشغيل الى أقل حد ممكن . وخضعت هذه العمليات المحدودة والمصانع الصغيرة والمتوسطة لسيطرة

رأس المال • وعندما كان التطور التكنولوجي يحقق مستوى كبيرا ، أثبتت المشروعات الصغيرة والمتوسطة ، كصناعة معدات الآلات مثلا ، ما لديها من قدرة وقوة ، وذلك باستخدام التكنولوجيا المتقدمة الاستخدام الأمثل • وما تزال معظم هذه المصانع بمثابة الواقى الطبيعى الذى يمتص الضربات التى يتعرض لها رأس المال الكبير والمصانع الضخمة •

وهناك مشكلة أخرى تتمثل فى قيام نسبة كبيرة من العمال اليابانيين بالعمل لبعض الوقت أو فى موسم العمل فقط أو لدى مقاولين من الباطن ، ليس فقط فى صناعات الصلب والسيارات ، بل فى المؤسسات الكبرى • ويعمل أولئك العمال بجانب العمال المنتظمين ، ولكن هناك فوارق كبيرة فى الأجور والأرباح الهامشية بين الفريقين ، وذلك رغم أن الفريق الأول هو الذى يمثل القاعدة الأساسية لقوة اليابان التكنولوجية • ولن يقال أن اليابان قد أخذت بأسباب التقدم فعلا ، الا بعد قيامها بتسوية هذه المشكلة •

قد تكون مشكلة التلوث من أخطر المشاكل المصاحبة للتصنيع التى تواجه اليابان • فحينما تحظى التنمية والتكنولوجيا بالأولوية ، يصبح التلوث أمرا لا بد منه ، فتتلوث المياه والتربة والنباتات أولا ، مما يؤدى الى قتل الأسماك وتلف المحاصيل ومصادر غذاء الانسان وفقدان الموارد العامة كالأخشاب والفحم النباتي • وتؤدى هذه المشاكل بدورها الى حدوث الفيضانات والكوارث الطبيعية الأخرى التى تأتى على الأخضر واليابس • ولكن الانسان يعى جيدا أن هذه الكوارث يمكن تجنبها ، اذا امكنه السيطرة على التكنولوجيا بصورة صحيحة •

تزداد حوادث العمل وتصبح الأمراض المهنية مزمنة فى الشركات التى تتسبب فى احداث التلوث • ويسود فى المصانع اليابانية مبدأ اخلاقي يقول للعامل : « عليك بتحمل نفقات الغذاء والاصابة » • وبذلك أصبح العاملون يعتبرون أن سلامتهم أثناء العمل جزء لا يتجزأ من مهاراتهم • ولكن الصناعة الحديثة تسبب أمراضا مهنية ليست لها علاقة بمهارات العمال • ولا يمكن تحقيق التنمية فى مجتمع يحرص على منح المواطن حقوقه الانسانية ، دون القضاء على التلوث والأمراض المهنية • وستختفى جميع هذه المشاكل بمجرد الاعتراف الدولى بأن جميع الناس متساوون - وإذا قدر لهذا أن يحدث ، فلا بد من وجود وسيلة يضمن بها المواطن حقوقه عندما يتصلنى للمعاملة السيئة ، أو عندما يدغى للتصدي لها •

مراجع وملاحظات :

For further details see the informative work edited by (١) Nahamura Takafusa and Umemura Mataji, Matsukata Zaisei to shokusan — kogyo seisaku (Matsukata's Fiscal Policy and the "Increase Production and Promote Industry" Campaign) (United Nations University, Tokyo, 1983), which grew out of the UNU Japanese Experience project.

(٢) لعبت الأسواق والمعارض دورا هاما في نشر التكنولوجيا

See Iida Ken'ichi's paper prepared for the United Nations (٣) University's Human and Social Development Programme, Project on Technology Transfer, Transformation and Development : The Japanese Experience ; published in Entrepreneurship : The Japanese Experience, no. 3 (1982) : 7-16; discussion of the Bianchie project, pp. 9-10.

See the series of the works by the late Professor Hiroshige (٤) Toru, including Kagaku no shakaishi (A social History of Science) (Chuo Koronsha, Tokyo, 1973).

See the forthcoming Gijutsushi to gijutsu seisaku (The (٥) History of Technology and Technology Policy) by Nakao-ka Tetsuro and Uchida Hoshimi, from a NUN project in collaboration with the Institute of Developing Economies.

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٦
أولا : نظرة على الميجى ايشن	١٠
الميجى اشن وسياقها السياسى	١١
ثورة الميجى ومسايرة اليابان لطابع العصر	٣١
الاستقلال ومسايرة طابع العصر فى القرن التاسع عشر	٤١
الميجى اشن : ثورة بورجوازية لم تكتمل	٥٧
مغزى التحويلات الثورية	٦٧
ثانيا : المحيط الدولى	٧٥
النهوض باليابان ومسايرتها لطابع العصر من منظور	
العلاقات الدولية	٧٧
العلاقات الدولية فى أوائل عهد الميجى اشن	٩١
ثالثا : السياسة والشخصية	٩٩
الميجى اشن وسياقها السياسى	١٠١
رابعا : الثقافة	١٢٣
الميجى : ثورة ثقافية	١٢٥
اثر الميجى على الثقافة الشعبية	١٤٣
دور الأدب فى تطور الثقافة	١٥٩

١٦٧	خامسا : التاريخ الفكرى والتعليم -
١٦٩	التعليم فى اوائل فترة حكم الميجى
١٧٩	المعارف الغربية والميجى اشن
١٨٧	ثورة الميجى التى لم تكتمل والتاريخ الفكرى
٢٠٣	التاريخ الاقتصادى اثناء فترة الاستعادة
٢٢١	الاستعادة وتاريخ التكنولوجيا
	الانتقال من مرحلة نقل التكنولوجيا الى مرحلة الاستقلال
٢٢٧	التكنولوجى

● ● كتب صدرت عن مشروع الألف كتاب (الثاني)

اسم الكتاب	المؤلف
١ - أحلام الأعلام وقصص أخرى	برتراند رسل
٢ - الإلكترونيات والحياة الحديثة	بي . رادونسكايا .
٣ - نقطة مقابل نقطة	الدس هكسلي .
٤ - الجغرافيا في مائة عام	ت . و . فريمان
٥ - الثقافة والمجتمع	رايموند وليامز
٦ - تاريخ العلم والتكنولوجيا - ج ٢ -	ر . ج . فوربس
القرن الثامن عشر والتاسع عشر	ليستر ديل راى
٧ - الأرض الغامضة	والتر آلن
٨ - الرواية الانجليزية	لويس فارجاس
٩ - المرشد الى فن المسرح	فرانسوا دوماس
١٠ - آلهة مصر	د . قدرى حفى وآخرون
١١ - الانسان المصرى على الشاشة	أولج فولكف
١٢ - القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة	هاشم النحاس
١٣ - الهوية القومية فى السيتما العربية	ديفيد وليام ماكديوال
١٤ - مجموعات النقود	عزيز الشوان
صياننها .. تصنيفها .. عرضها	
١٥ .. الموسيقى - تعبير تسمى - ومنطق	
١٦ - مصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى	
١٧ - ديLAN توماس	
مجموعة مقالات نقدية	
١٩ - الرواية الحديثة - الانجليزية - والفرنسية	جون لويس
ج ١	بول ويست
٢٠ - المسرح المصرى المعاصر - فصله وبدايته	د . عبد المعطى شعراوى
٢١ - على محمود طه - الشاعر والانسان	أنور المعداوى
٢٢ - القوة النفسية للأهرام	بيل شول وأدثبيت
٢٣ - فن الترجمة	د . صفاء خلوصى

المؤلف	اسم الكتاب
رالف لى ماثلو	٢٤ - تولستوى
فيكتور برومبير	٢٥ - ستندال
فيرنر هيزنبرج	٢٦ - رسائل وأحاديث من المنفى
فيكتور هوجو	٢٧ - الجزء والكل (محاورات فى مصمار الفيزياء الذرية)
سدنى هوك	٢٨ - التراث الغامض ماركس والماركسيون
ف . ع أدنيكوف	٢٩ - فن الأدب الروائى عند تولستوى
هادى نعمار الهيتى	٣٠ - أدب الأطفال . (فلسفته - فونه - وسائله)
د . نعمة رحيم العزاوى	٣١ - احمد حسن الزيات . كاتباً وناقداً
د . فاضل أحمد الطائى	٣٢ - اعلام العرب فى الكيمياء
فرنسيس فرجون	٣٣ - فكرة المسرح
هرى باربوس	٣٤ - الجحيم
السيد عليوة	٣٥ - صنع القرار السياسى فى منظمات الاداره العامة
جوكوب برونوفسكى	٣٦ - التطور الحضارى للانسان (ارتقاء الانسان)
د . روجر ستروجان	٣٧ - هل نستطيع تعليم الاخلاق للأطفال ؟
كاتى ثير	٣٨ - تربية الدواجن
ا . سينسر	٣٩ - الموتى وعالمهم فى مصر القديمة
د . ناعوم بيتروفيتشى	٤٠ - النحل والطب
جوزيف داهموس	٤١ - سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى
د . لينوار تشامبرز دايت	٤٢ - سياسة الولايات المتحدة الأمريكية اراء مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤
د . جون شتدلر	٤٣ - كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة
جيمس الير	٤٤ - الصحافة
الدكتور غريال وهبه	٤٥ - اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيل
د . رمسيس عوض	٤٦ - الادب الروسى قبيل الثورة البلشفية وبعدها
د . محمد نمان جلال	٤٧ - حركة عدم الانحياز فى عالم متغير
فرايدريك نيتشه باومر	٤٨ - الفكر الأوروبى الحديث ج ١

اسم المؤلف	اسم الكتاب
شوكت الربيعة	٤٩ - الفن التشكيل المعاصر في الوطن العربي ١٨٨٥ - ١٩٨٥
د : محيي الدين أحمد حسين	٥٠ - التنشئة الأسرية والأبناء الصغار
تأليف : ج . دادلي أندرو	٥١ - نظريات الفيلم الكبرى
حوزيف كونراد	٥٢ - مختارات من الأدب القصصي
د . جوهان دورشنر	٥٣ - الحياة في الكون كيف نشأت وأين توجد ؟
طائفة من العلماء الأمريكيين	٥٤ - مبادرة الدفاع الاستراتيجي حرب الفضاء (دراسة تحليلية لأسلحة واستراتيجيات حرب الفضاء)
د . السيد عليوة	٥٥ - إدارة الصراعات الدولية (دراسة في سياسات التعاون الدولي)
د . مصطفى عناني	٥٦ - الميكروكمبيوتر
مجموعة من الكتاب	٥٧ - مختارات من الأدب الياباني (الشعر - الدراما - الحكاية - القصة القصيرة)
اليابانيين القدماء والمحدثين	٥٨ - الفكر الأوروبي الحديث ج ٢ (الاتصال والتغير في الأفكار) من ١٦٠٠ - ١٩٥٠
فرائكلين ل . باومر	٥٩ - تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة
جابريل باير	٦٠ - أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة
أنطوني دي كرسبني	٦١ - الفكر الأوروبي الحديث ج ٣
وكينيث مينوج	٦٢ - كتابة السيناريو للسينما
فرائكلين ل . باومر	٦٣ - الزمن وقياسه
دوايت سوين	٦٤ - أجهزة تكييف الهواء
زافيلسكي ف . س	٦٥ - الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي
ابراهيم القرضاوي	٦٦ - سبعة مؤرخين في العصور الوسطى
بيتر ر . داي	٦٧ - التجربة اليونانية
جوزيف داهموس	٦٨ - مراكز الصناعة في مصر الإسلامية
س . م بورا	٦٩ - العلم والطلاب والمدارس
د . عاصم محمد زروق	٧٠ - الشارع المصري والفكر
رونالد د . شيمبون	
و نورمان د . أندرو	
د . الواسع المالك	

المؤلف

الاسم

- ٧١ - حوار حول التنمية
٧٢ - تبسيط الكيمياء
٧٣ - العادات والتقاليد المصرية
٧٤ - التدوق السينمائي
٧٥ - التخطيط السياحي
٧٦ - الينور الكونية
٧٧ - دراما الشاشة
٧٨ - الهيروين والايدز
٧٩ - صور أفريقية
٨٠ - نجيب محفوظ على الشاشة
٨١ - الفكر الأوروبي الحديث ج ٤
٨٢ - الكمبيوتر في مجالات الحياة
٨٣ - دراما الشاشة ج ٢
٨٤ - المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية
٨٥ - وظائف الأعضاء من الألف إلى
٨٦ - الهندسة الوراثية
٨٧ - تربية أسماك الزينة
٨٨ - كتب غيرت الفكر الانساني
٨٩ - الفلسفة وقضايا العصر ج ١
٩٠ - الفكر التاريخي عند الاغريق :
٩١ - قضايا وملامح الفن التشكيلي
٩٢ - التغذية في البلدان النامية
٩٣ - الفلسفة وقضايا العصر ج ٢
٩٤ - بداية بلا نهاية
٩٥ - الحرف والصناعات
من مصر الاسلامية
٩٦ - حوار حول النظامين الرئيسيين
للكون ج ١
٩٧ - حوار حول النظامين الرئيسيين
للكون ج ٢
٩٨ - حوار حول النظامين الرئيسيين
للكون ج ٣
- والت روستو
فريد هيس
مون بوركهارت
آلان كاسبر
سامي عبد المعطي
فريد هويل
شندرا ويكرا ماسينج
حسين حلمي المهندس
دوركاس ماكلينتوك
هاشم النحاس
فرانكلين ل. بلومر
د. محمود سري طه
حسين حلمي المهندس
بيتر لوري
بوريس فيدوروفيتش سيرجيف
ويليام بينز
ديفيد الدرتون
أحمد محمد الشنواني
جمعها : جون . ر . بورر
وميلتون جولد ينجر
أرنولد توينبي
د. صالح رضا
م. ه. لنج واخرون
جمعها : جون . ر . بورر
وميلتون جولد ينجر
جورج جاموف
د. السيد طه أبو سديرة
جاليليو جاليليه
جاليليو جاليليه
جاليليو جاليليه

اسم المؤلف	اسم الكتاب
٩٥ - الحرف والسنانعت فى مصر الاسلامية	د٠ السيد ملة أبو سديرة
٩٦ - حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج ١	جاليليو جاليليه
٩٧ - حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج ٢	جاليليو جاليليه
٩٨ - حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج ٣	جاليليو جاليليه
٩٩ - الارهاب	أريك موريس ، آلان مو
١٠٠ - اخناتون	سيريل الدريد
١٠١ - القبيلة الثالثة عشرة	آرثر كيستلر
١٠٢ - الفلسفة وقضايا العصر ج ٣	جمعها : جون ر٠ بورر
١٠٢ - الأساطير الاغريقية	ميلتون جولد ينجر
١٠٤ - العلم والتكنولوجيا	كوفلان
١٠٥ - التوافق النفسى	ر٠ ج٠ قويس ،
١٠٦ - الدليل البيليوجرافى	ر٠ ج٠ ديكسترموز
١٠٧ - لغة الصورة	توماس أ٠ هاريس
	اختيار لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
	روى آرمر

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥٦٨٣ / ١٩٩٢

ISBN — 977 — 01 — 3109 — 0

عن هذا الكتاب من نسخة جامعة القاهرة
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من
التي هي من المخطوطات القديمة التي هي من

0395489



0395489

Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com